الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة

للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي

(دراسة وتحقيق وشرح)

رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير

تخصص عقيدة

إعداد الطالبة

مريم طاهر أحمد طالبي مدخلي

إشراف أ. د/ علي محمد ناصر فقيهي

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

دار الشريف للنشر والتوزيع

للمراسلات ص.ب ٥٨٢٨٧ الرياض ١١٥٩٤

هاتف وفاكس ٤٧٣١٤٦١

البريد الإلكتروني daralsharief@yahoo . com

ح دار الشريف للنشر والتوزيع ، ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحكمي ، حافظ بن أحمد

الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة / حافظ بن أحمد الحكمي ؛ مريم طاهر أحمد طالبي مدخلي – الرياض ، ١٤٢٥هـ

٣٩٤ ص ؛ ١٧ X ٢٤ سم

ردمك : ٣ – ٧٩ – ٨٦٦ – ٩٩٦٠

١– العقيدة الإسلامية أ– مدخلي ، مريم طاهر أحمد طالبي (محقق) ب– العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٢٥/٦٥٣

رقم الايداع: ١٤٢٥/٦٥٣

ردمك: ٣-٧٩-٨٦٦-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

دار الشريف للنشر والتوزيع

للمراسلات ص.ب ٥٨٢٨٧ الرياض ١١٥٩٤

هاتف وفاكس ٤٧٣١٤٦١

البريد الإلكتروني daralsharief@yahoo . com

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لتعليم البنات
الإدارة العامة لكليات البنات
بالمنطقة الغربية - جدة
كلية التربية للبنات - بجدة
الأقسام الأدبية
مكتب الدراسات العليا

الرقم : ....
التاريخ : ....
مرفقات: ....

إعتماد لجنة المناقشة والحكم

نوقشت رسالة الطالبة : مريم بنت طاهر طالبي مدخلي

بتاريخ ١٥/٢/١٤٢٢هـ الموافق ٩/٥/٢٠٠١م .

وتكونت لجنة المناقشة والحكم من الأساتذة :

الأسماء	الوظيفة	التوقيع
أ.د. علي محمد ناصر الفقيهي.	أستاذ العقيدة بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة . " مشرفاً على الرسالة "	[توقيع]
د. محمد ربيع هادي مدخلي.	الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الاسلامية قسم العقيدة . " ممتحناً خارجياً "	[توقيع]
د. زينب محمد رجاء الله الحربي.	الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الاسلامية لدينا بالكلية . " ممتحناً داخلياً "	[توقيع]

قرار اللجنة : منح الطالبة درجة :. الماجستير بتقدير : ممتاز

تاريخ موافقة مجلس الكلية على المنح : / /١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

وكيلة الكلية للدراسات العليا يعتمد،،،، عميدة كلية التربية للبنات بجدة

" د.ثريا محمد عطيه الغامدي " " د. جوهرة بنت مسعود بن محمد المقاطي

ختم الكلية

تصاد..

شكر وعرفان

بكل التقدير والإمتنان أتقدم بالشكر الجزيل لكل من كان له يد في إنجاز هذا البحث وأخص بالذكر والدي العزيز الذي رعاني بتربيته وإحسانه وتابع دراستي في كل مراحلي الدراسية لاسيما في مجال العقيدة حيث كانت دراستي الابتدائية والمتوسطة في ثلاث دول تختلف منهج العقيدة فيها عن منهج أهل السنة والجماعة فكان والدي بحق الموجه والمرشد لمنهج أهل السنة والجماعة فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

أما هذا البحث فكانت له اليد الطولى في إنجازه وذلك من خلال توجيهاته وتوفير كافة المراجع المطلوبة له فجزاه الله خيراً وجعله في ميزان حسناته.

كما أقدم شكري وتقديري لأمي الحبيبة التي رعتني وربتني على الأخلاق الفاضلة وهيأت لي كل الأجواء المناسبة لإنجاز هذا البحث ، فشكراً لها على ما بذلت ورعت وربت وجزاها الله عني خير الجزاء .

كما أقدم شكري وتقديري لزوجي العزيز الذي ساعدني في إنجاز هذا البحث بوقته وجهده فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكلية التربية بجدة عمادة وأساتذة وإدارة هذه الكلية التي فتحت لي أبوابها طالبة للعلم في مرحلة الماجستير في قسم العقيدة. هذا القسم الذي تشرفت بالانتماء إليه.

كما أقدم الشكر الجزيل للأستاذ الدكتور علي بن محمد ناصر فقيهي المشرف على هذا البحث الذي لم يضن عليّ بوقته وعلمه وملحوظاته فكان نعم الأستاذ ونعم المعلم.

كما أقدم الشكر الجزيل للأستاذين الفاضلين المناقشين لهذه الأطروحة وهما:

١- الدكتور محمد ربيع مدخلي – الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

٢- الدكتورة زينب محمد الحربي – أستاذ مساعد بكلية التربية للبنات بجدة

على قبولهما مناقشة هذا البحث وتكبدهما عناء القراءة والإطلاع عليه وإبداء ما يريانه من ملحوظات ، وستكون لملحوظاتهما كبير الأثر في نفسي وزيادة معلوماتي إن شاء الله .

كما أقدم شكري لجميع الأخوات اللواتي وقفن إلى جانبي في إنجاز هذا البحث.

إلى هؤلاء وغيرهم ممن سدوا وقاربوا شكري وتقديري، فجزاء الله الجميع عني خير الجزاء.

فهرس الموضوعات

مقدمة الباحثة

إن الحمد لله نحمده ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[آل عمران:١٠٢] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أما بعد

فإن خير ما تبذل فيه الجهود وتقضى فيه الأوقات هو عمارة الدنيا بالطاعات والسعي لبلوغ الآخرة بصالح الأعمال. وقد دلت الشريعة الغراء على أن العلم من القربات التي افترضها الله على عباده، فقد أمر الله عز وجل نبيه وخليله محمداً ﷺ بالعلم في أول آية أوحى بها إليه فقال

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق:١]

وأبان عز شأنه وتقدست أسماؤه ما أعده للعلماء من الرفعة يوم القيامة فقال ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة:١١] وفاضل سبحانه وتعالى بين العلماء وغيرهم فقال ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾ [الزمر:٩]، وأوضح تبارك وتعالى أن العلم هو داعية خشيته فقال : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ ﴾ [فاطر:٢٨].

والآيات الدالة على فضل العلم وأهله العاملين به كثيرة جداً في كتاب الله تعالى. وقد تظاهرت الأحاديث النبوية الشريفة على الحث على طلب العلم والترغيب فيه وبينت ما أعده الله لطلاب العلم من خير في الدنيا وثواب في الآخرة. ولو شئنا أن نتتبع هذه الأحاديث لأعيانا حصرها لكثرة ما ورد منها في السنة المطهرة. وقد أورد العلماء والأئمة كثيراً من هذه الأحاديث في ثنايا مصنفاتهم، وقام العلماء بإفراد مصنفات خاصة تبين فضل العلم وأهميته في الإسلام[1].

---

(١) أنظر مثلاً كتاب العلم للحافظ أبي خيثمة زهير بن حرب النسائي المتوفى ٢٣٤هـ وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر المالكي فقد أحسنا وأجادا رحمهما الله تعالى.

قلت: والعلم المقصود في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إنما هو العلم الشرعي لا غـــير، إذ أن كل علم سواه إنما هو تبع له يؤجر صاحبه حسب جهده. فقوله عز شأنه :﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ ﴾

يعني العلماء من أئمة الدين والشريعة لا أصحاب العلوم الدنيوية التي ليس لها تعلق بأحكـــام الدين، فهؤلاء لهم ثواب العمل لا ثواب العلم والمعرفة. قال الله تعـالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ﴾ [الزمر:٩]

وقد أشار ناظم هذه الجوهرة العلامة حافظ بن أحمد الحكمي في منظومته القصيدة الميميـة في الآداب العلمية إلى ذلك فقال :

١. يا طالب العلم لا تبغـي بـه بـدلا … فقد ظفرت ورب اللـوح والقلـم

٢. وقدس العلم واعرف قدر حرمتـه … في القول والفعل والآداب فـالتزم

٣. واجهد بعزم قـوي لا انثنـاء لـه … لو يعلم المرء قـدر العلـم لم ينـم

٤. والنصح فابذله للطـلاب محتسبا … في السر والجهر والأستاذ فـاحترم

٥. ومرحباً قـل لمـن يـأتيك يطلبـه … وفيهم احفظ وصايا المصطفى همـ

٦. والنية اجعـل لوجـه الله خالصـة … إن البنـاء بغـير الأصـل لم يقـم

٧. ومن به يبتغي الدنيـا فليـس لـه … يوم القيامة مـن حـظ ولا قسـم

ولما كان العلم الشرعي بهذه المترلة فقد وُجهت إلى دراسته وتقديمه على غيره مــن العلــوم راغبة في تحصيل المعارف الشرعية محبة لها باذلة لها طاقتــي وجهدي ما استطعت ، ولمـــا كـــان تصحيح المعتقد هو أهم العلوم والمعارف إذ به يعبد العبد ربه وخالقه على بصيرة وعلـــم، فقــد وُجهت أيضاً لدراسة العقيدة في مراحلي الدراسية داخل وخارج المملكة وقد كان من توفيــق الله ونعمته عليَّ أن انتدبت بعد تخرجي من الدراسة الجامعية من التعليم العام إلى الكليــــة المتوســطة بصامطة ومن توفيق الله لي أيضاً أن اخترت من قبل عمادة الكلية لتدريس مادة العقيدة ، وبعــــد مرور سنتين رأيت أنه لابد لي من التزود بالعلم والمعرفة في هذا المجال بصورة أدق وأعمق فتقدمت لهذه الكلية بطلب الإلتحاق بها لمواصلة دراستي العليا فكان ما ترونه اليوم من هذا الجهد المتواضـــع ولله الحمد والمنة.

وكان من توفيق الله تعالى لي أن وقع اختياري على منظومة الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لتكون موضوعاً لبحثي لنيل درجة الماجستير في العقيدة، وقد اخترت هذا الموضوع للأسباب التالية :

١. مكانة الناظم العلمية ، فهو عالم فذ ، ونابغة فريدة شهد له القاصي والداني ممن تتلمذوا على يديه أو قرأوا له.
٢. إبراز جهد الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي في الحفاظ على عقيدة السلف والدفاع عنها.
٣. اشتمال المنظومة على أصول الدين، بالاعتماد على أمهات كتب العقيدة والتفسير والحديث والأصول.
٤. موافقتها لمنهج أهل السنة والجماعة، وردها على أهل البدع والأهواء وإبطال أقوالهم.
٥. تعرضها لبعض المذاهب المعاصرة والرد عليها.
٦. عرضها للعقيدة السلفية بأسلوب معاصر سهل جامع موجز تسهيلاً وتقريباً لطلاب العلم.
٧. أنها لم تشرح من قبل فرأيت أن أقوم بجهدي المتواضع بشرحها خدمة للعقيدة السلفية وتحقيقاً للنفع والفائدة منها.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وقسمين وخاتمة.

المقدمة :

وتتضمن أسباب اختيار الموضوع ، وخطة البحث ، والمنهج المتبع فيه.

القسم الأول : الدراســـــة

المبحـــث الأول : التعريف بمؤلف المنظومة .

المبحـــث الثـــاني : منهج المؤلف في تقرير العقيدة.

المبحث الثـــالث : التعريف بالجوهرة الفريدة وأهم موضوعاتها.

المبحـــث الرابـــع : منهج ا لمؤلف فيها .

المبحث الخـــامس : مصادر المؤلف التي اعتمد عليها.

المبحث الســـادس : موقف المؤلف من المبتدعة من خلال هذه المنظومة.

القسم الثاني :

التحقيق والشرح :

المبحـــــث الأول : وصف النسخة المخطوط والنسخة المطبوعة والمعتمدة في التحقيق والشرح .

المبحـــث الثـــاني: المنهج المتبع في التحقيق والشرح ويشتمل على :

١) قراءة النص ومقابلة نسخ المنظومة وإثبات الفروق في الهامش.
٢) تقسيم النص إلى وحدات موضوعية كما قسمه المؤلف.
٣) شرح النص شرحاً علمياً بالاعتماد على أمهات كتب العقيدة والتفسير والحديث والأصول.
٤) بيان معاني المفردات الغريبة.
٥) الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.
٦) ذكر بعض أقوال السلف الصالح في المواضع التي قد تحتاج لذلك.
٧) الرد على أقوال أهل البدع والأهواء وإبطال أقوالهم.
٨) الترجمة للأعلام غير المشهورين.
٩) التعريف الموجز بالفرق الواردة في النص.
١٠) عمل الفهارس المتنوعة .
أ / فهرس الآيات القرآنية .
ب/ فهرس الأحاديث النبوية .
ج/ فهرس الآثار .
د/ فهرس الأعلام .
هـــ/ فهرس المصادر.
و/ فهرس الموضوعات .

الخاتـــــــــمة :

وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها أثناء البحث ، وبعض الوصايا العلمية التي أراها نافعـة في هذا المجال.

والله ولي التوفيق .

القسم الأول

(الدراسة)

(المبحث الأول)

التعريف بالشيخ حافظ الحكمي

- المطلب الأول اسمه ونسبه وقبيلته .
- المطلب الثاني مولده ونشأته .
- المطلب الثالث صفاته الخَلقِيَّة والخُلُقِيَّةِ .
- المطلب الرابع نبوغه وأسبابه .
- المطلب الخامس شيوخه .
- المطلب السادس تلاميذه .
- المطلب السابع آثاره العلمية .
- المطلب الثامن شعره .
- المطلب التاسع وفاته ورثاء العلماء له .

التعريف بالشيخ حافظ الحكمي

(١٣٤٢-١٣٧٧هـ) (١٩٢٣ – ١٩٥٨م)

يعد الشيخ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي من كبار علماء الإسلام في العصر الحديث، وقد نبغ الشيخ في مجالات العلوم الشرعية المختلفة من فقه وأصول وحديث بجانب اللغة والنحو والأدب، و لم تقتصر شهرة الشيخ حافظ على بلاده بل تعداها إلى جميع البلاد الإسلامية فصار اسما من بين أسماء العلماء الأعلام، ولا أدل على ذلك من أن العلامة خير الدين الزركلي أدرجه ضمن من ترجم لهم في موسوعته المعروفة (بالأعلام) وهي أكبر موسوعة ترجمة لنوابغ العرب والمسلمين منذ الجاهلية حتى القرن الرابع عشر الهجري، ولمكانة الشيخ حافظ العلمية المرموقة ودوره في نشر العقيدة الصحيحة فقد أفرد له الباحثون مجموعة من الكتب والمقالات التي ترجمت له، ولا تزال الدراسات عن الشيخ حافظ وجهوده مستمرة حتى اليوم[٢].

اسمه ونسبه وقبليته :

هو حافظ بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن مين بن علي بن مهدي بن أحمد بن الحسين بن علي بن صغير بن علي بن محمد بن علي بن عبده بن عبد الهادي بن صديق بن الطاهر بن أبي القاسم بن علي بن أبي بكر الحكمي الأصغر بن محمد بن علي بن عمر بن عثمان بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الواحد بن الشيخ محمد العواجي بن أبي بكر الحكمي الأكبر.

(٢) أفرد كتابا عن حياة الشيخ حافظ الحكمي كل من أحمد بن علي علوش مدخلي في كتاب (الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب) وزيد بن محمد بن هادي المدخلي في كتاب (الشيخ حافظ الحكمي، حياته وجهوده العلمية والعملية) وقد ترجم للحكمي أيضا الزركلي في الأعلام ١٥٩/٢ وأحمد بن حافظ الحكمي في مجلة العرب ٣٣٩/٧ وفي مقدمة معارج القبول (الطبعة الثالثة) ومحمد بن علي السنوسي في مجلة المنهل (الجزء الأول / مجلد ١٩) وهناك أخبار متفرقة عن الشيخ في عدد من المؤلفات التي تحدثت عن النهضة العلمية في الجنوب مثل كتاب النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية لصاحبها فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي لعمر بن أحمد جردي المدخلي وكتاب السمط الحاوي لأسلوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي لعلي بن قاسم بن سليمان الفيفي وغيرها.

هذا أبعد ما وجد من نسب الشيخ حافظ ، وهي نسبة صحيحة لأن الشيخ كتبها بخط يده، وقد أوردها عمر بن أحمد جردي المدخلي في كتابه النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية وعلي بن قاسم بن سليمان الفيفي في كتابه السمط الحاوي لأسلوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي[١] وأحمد بن علي علوش مدخلي في كتابه عن الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي[٢] وابنه الدكتور أحمد الحافظ الحكمي في مقدمة كتاب معارج القبول[٣]. وأما زيد بن محمد بن هادي المدخلي فقد اكتفى في كتابه عن الشيخ بذكر جده الأول علي بن أحمد [٤] وكذلك الزركلي في الأعلام[٥].

وأما نسبة الحافظ فهي : **الحكمي**، وهي نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة بن مذحج (أشهر وأعظم قبيلة من شعب كهلان) بن سبأ بن يشحب بن يعرب بن قحطان [٦] وينتسب إلى هذه القبيلة كثير من العلماء والمصلحين منهم :

الشيخ صديق بن أبي بكر الحكمي (ت ٨٧٣هـ).

والشيخ الهادي بن أبي القاسم بن علي بن أبي بكر الحكمي (ت ٩٣٩ هـ).

والشيخ محمد بن صديق بن أبي الفتح الحكمي (ت ٩٧٧ هـ) .

والشيخ علي بن صديق الحكمي (ت ٩٨١ هـ) .

والشيخ عمر بن عبد القادر الحكمي (ت ٩٨١ هـ) .

والشيخ أبو القاسم بن مهدي الحكمي (ت ١٠٦٦ هـ).

---

(١) السمط الحاوي لأسلوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي لعلي بن قاسم بن سليمان الفيفي ص ٩٧ الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ .

(٢) الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب ص ٣٨ تأليف أحمد بن علي علوش مدخلي ، مكتبة الرشد - الرياض ، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

(٣) مقدمة معارج القبول ، الطبعة الثالثة .

(٤) الشيخ حافظ الحكمي ، حياته وجهوده العلمية والعملية لزيد بن محمد بن هادي المدخلي ص ٣٣ ، دار علماء السلف - الإسكندرية ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

(٥) الأعلام للزركلي ١٥٣/٢ دار العلم للملايين ، البيان - بيروت ، الطبعة السابعة ١٩٨٦م .

(٦) الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٣٨ . انظر : معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة ٢٨٦/١ مؤسسة الرسالة ، الطبعة السادسة ١٩٩١م .

مولده ونشأته :

ولد الشيخ حافظ –رحمه الله تعالى– بقرية السلام التابعة لمدينة المضايا الواقعة بجنوب المملكة العربية السعودية لأربع وعشرين ليلة مضت من شهر رمضان سنة ١٣٤٢ هـ وانتقل مع والديه وهو صغير إلى قرية الجاضع وعمل في رعي غنم والده مع أخيه الأكبر محمد الحكمي، بدأ حافظ في حفظ القرآن الكريم وقراءة بعض المتون أثناء رعي الغنم وكانت نفسه تترع للتعليم والتفقه في الدين ، وفي تلك الأيام جاء إلى المنطقة الشيخ الداعية عبد الله القرعاوي قادماً من نجد لنشر العلم والعقيدة السلفية بالجنوب ، فلما سمع به حافظ كتب إليه رسالة بعثها مع أخيه محمد يخبره فيها برغبته في العلم، وفي سنة ١٣٥٩هـ التقى الشيخ القرعاوي بحافظ لأول مرة فأعجب به وبذكائه فطلب من والديه الإذن ليصطحبه للدراسة بمدرسته بصامطة . ولكن الأبوين لم يأذنا له بذلك لحاجتهما له في رعي الغنم ، وبعد عام من ذلك –أي في سنة ١٣٦٠هـ – توفيت والدة حافظ ثم تبعها أبوه في نفس العام وهو قادم من الحج، وهنا تفرغ حافظ للعلم فلحق بالشيخ عبد الله القرعاوي بصامطة فاحتفى به الشيخ في مدرسته . ومن ذلك التاريخ بدأت رحلة حافظ مع شيخه عبد الله القرعاوي، ولم تمض سوى سنوات قلائل حتى كان حافظ أعلم تلاميذ مدرسة صامطة مما جعل الشيخ القرعاوي يوكل إليه وضع مقرر الدراسة وتأليف المتون العلمية للطلاب، وكان أول عمل قام به حافظ هو تأليف منظومة (سلم الوصول في علم الأصول) ، وقد تم كل ذلك في وقت قياسي لم يتسن لأحد من أقرانه .

وفي سنة ١٣٦٣هـ أي بعد ثلاثة سنوات من التحاق حافظ بمدرسة صامطة أوكل له الشيخ عبد الله القرعاوي إدارة المدرسة وتفرغ هو للتحول على بقية المدارس التي أنشأها في المناطق المجاورة [(١)].

وفي سنة ١٣٦٦هـ حج الشيخ القرعاوي وقابل ولي العهد الأمير سعود بن عبد العزيز وكبار المسئولين عن التعليم ، وفي أول المحرم سنة ١٣٦٧ هـ استدعى الشيخ عبد الله القرعاوي حافظ إلى مكة وزوجه ابنته تكريماً له ولعلمه[(٢)].

---

(١) السمط الحاوي لأسلوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي ص ٤٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٦١ .

تجول الشيخ حافظ في كل من السلامة العليا من قرى بيش وأم الخشب ومدينة صبيا ومدينة ضمد، وكان في كل مدينة يدخلها يلقي الدروس على طلبة العلم ويقرأ عليهم الأمهات الست فأفاد الله به خلقاً من الناس.

وفي عام ١٣٧٢هـ تم تعيين الشيخ حافظ مديراً لمدرسة جازان التابعة لوزارة المعارف فاستمر في إدارتها وتربية طلابها حتى تأسس المعهد العلمي بصامطة سنة ١٣٧٤هـ فتولى إدارته والتدريس فيه وتأليف مقرراته ومناهجه ، واستمر على ذلك حتى وافاه الأجل المحتوم سنة ١٣٧٧هـ [١].

صفاته الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة .

كان الشيخ حافظ –رحمه الله- ربعة أسمر اللون ، مستدير الوجه ، مفلج الأسنان ، خفيف اللحية والعارضين أقرن الحاجبين [٢].

وكان –رحمه الله- آية في الورع والزهد وخشية الله ، مع الاشتغال بما يعنيه من علم وتدريس وتأليف وعبادة، وكان حسن المعاملة مع جميع الناس على اختلاف طبقاتهم ومراكزهم، ولذلك أحبه الناس ووقروه بما لا مزيد عليه من توقير العلماء، قال زيد بن محمد بن هادي المدخلي (وكنا نستدل بذلك التقدير والاحترام والمحبة والطاعة الشرعية على أن الله قد وضع له القبول في الأرض بعد أن أحبه وأحبته الملائكة في السماء، وجعل له لسان صدق يذكر به أيام حياته وبعد مماته ، إذ هو بحق وصدق قدوة حسنة ومثال يحتذى في صدق التعامل مع الله خالقه وبارئه وحسن التعامل مع عباد الله على اختلاف طبقاتهم وشتى مستوياتهم [٣].

وقال عمر بن أحمد جردي المدخلي (هو مربوع القامة ، أسمر اللون ، خفيف اللحية، قوي البنية، نشيطاً صحيحاً في بدنه ، مرحاً مع زملائه ، كان يداعبهم ويغلبهم ، وكان آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ، كان مساعداً للشيخ عبد الله ومساعداً في دعوته ويتجول على مدارس الشيخ

---

(١) الشيخ حافظ الحكمي ، حياته وجهوده العلمية والعملية لزيد بن محمد بن هادي المدخلي ص ٤٤ .

(٢) الشيخ حافظ الحكمي حياته وجهوده العلمية والعملية ص ٣٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٣ . وانظر أيضاً السمط الحاوي ص ١١٧ .

علي حمار اشتراها لهذا الشأن ، وكان حافظ مع الشيخ عبد الله بمنزلة الروح من الجسد لا يخالف له أمرا) [١٤].

وقال أيضا في موضع آخر من كتابه (كان -رحمه الله- زاهدا عن الدنيا عازفا عنها همه وهمته طلب العلم وتعليمه وبيانه للناس قولا وعملا ، ومن زهده لم يشغل نفسه بالدنيا ولا بحطامها، ولا بجمع المال منها [١٥].

وقد حفظ لنا مترجموا الشيخ حافظ أبياتا قالها ردا على أحد الذين امتدحوه، وهذه الأبيات تكشف لنا عن نفسية الشيخ واعتزازه بالله وحده وزهده في مدح الناس إذ هو لا يعلم ما له عند الله ، أو بما يختم الله له ، وهذا شأن الورع الذي يرجو الله ولا يأمن مكره .

يقول الشيخ في هذه الأبيات وهي من نفس بحر وروى القصيدة التي مدح بها [١٦]:

١. عادت عليكم تحيات مضاعفة ... أما المديح فمالي حاجة فيه
٢. ولست أرضاه في سر ولا علن ... ولست أصغي إلى من قام ينشيه
٣. إذ يورث العبد إعجابا يسر به ... وما جناه من الزلات ينسيه
٤. ما لي وللمدح والأملاك قد كتبوا ... سعي جميعا ورب العرش محصيه
٥. ولست أدري بما هم فيه قد سطروا ... وما بقي أي شيء صانع فيه
٦. وما اغتراري بأهل الأرض لو مدحوا ... وفي السماوات ذكرى لست أدريه
٧. إياكموا أن تعيدوا مثلها أبدا ... فاستقبل النصح مني حيث أمليه
٨. لكن على خير من هذا أدلكموا ... إن تقبلوه فما شيء يساويه
٩. دعاكموا لي بظهر الغيب لاسيما ... وقت الإجابة في الأسحار تلفيه
١٠. والنصح للمسلمين أبذله مبتغيا ... وجه الإله به للدين تحييه
١١. والعرف فأمر به والمنكر انه عنه ... وكن لله حبك والبغض اجعلن فيه
١٢. بدون ذا لم تنل قط ولايته ... فإن ربك مولى من يواليه
١٣. والحمد لله مع أزكى الصلاة على ... خير الأنام وصحب ثم تاليه

---

(١٤) النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٦٩ .

(١٥) المرجع السابق ص ١٨٣ .

(١٦) المرجع السابق ص ١٨٠ والسمط الحاوي ص ١١٧ ، والشيخ حافظ الحكمي حياته وجهوده العلمية والعملية لزيد بن محمد بن هادي المدخلي ص ٣٨.

فهذا الشعر من أنفس ما قيل في هذا المعنى، وقلّ أن نجد من العلماء من رفض مدح الشعراء وعلل رفضه بهذه الفصاحة والوضوح والعلم، أما العامة من الناس وأصحاب الرئاسات والوجهاء وأصحاب المناصب الدنيوية فإنهم يسعون لمدح الشعراء بكل حيلة ويبذلون لهم الأموال الطائلة نظير ما يمدحونهم به رجاء أن يخلدوا أسماءهم في كتب الأدب ، وهم في ذلك لا يبالون بما قاله الشاعر إن صدقاً وإن كذباً ، وما يفيد مدح الشاعر إذا كان الممدوح ممن لا وزن له عند الله؟ وما يضر هجاؤهم إذا كان المهجو من أولياء الله؟ .

نبوغه وأسبابه :

عاش الشيخ حافظ الحكمي خمسة وثلاثين عاماً إذ ولد سنة ١٣٤٢هـ وتوفي سنة ١٣٧٧هـ، ويعد هذا العمر قصيراً بالنسبة لأعمار كثير من علماء الأمة، ولكن الحكمي برغم قصر عمره حقق ما لم يستطع المعمرون تحقيقه، فنحن نجده بعد سنوات فقط من التحاقه بمدرسة الشيخ القرعاوي يصل إلى مرتبة كبار العلماء والمؤلفين في علوم الشريعة وهذا ما لم نسمعه إلا عن أفذاذ العلماء في التاريخ، ولا شك أن الله تعالى قد وهب الحكمي من الذكاء وقوة الحافظة فوق ما أعطى الآخرين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

هناك قصة تروى بشأن نبوغ الحكمي تقول أن امرأة صالحة من أشراف مدينة صامطة -وهي أم الشريف منصور بن حمود مكرمي والشريف أحمد بن حمود مكرمي- رأت فيما يرى النائم كأن الليل مظلم ظلمة شديدة وإذا هي بلبن يصب في فم ولد مستلق على ظهره في دار خلوفة طياش والد الشيخ ناصر بن خلوفة، وقد عبرت هذه الرؤيا فيما بعد أن اللبن هو العلم النافع وأن الولد المستلقي هو حافظ بن أحمد الحكمي، وذلك لأن المدرسة التي قرأ فيها حافظ بنيت بدار خلوفة طياش والد الشيخ ناصر بن خلوفة طياش مباركي[١].

إن أسباب نبوغ الشيخ حافظ الحكمي ترد -بعد تقدير الله تعالى- إلى عدة أمور منها [٢]:

---

(١) النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية لصاحبها فضيلة الشيخ عبد الله القرعاوي لعمر بن أحمد جردي المدخلي ص ٤٤ (دار النشر مجهولة وبدون تاريخ).

(٢) للتوسع في هذه الأسباب انظر : الشيخ حافظ الحكمي ، حياته وجهوده العلمية والعملية لزيد بن محمد بن هادي المدخلي ص ٤١-٤٣ .

١- إخلاص النية في طلب العلم ، فمن أخلص نيته لله لم يخيب الله رجاءه.

٢- طاعة الله تعالى في السر والعلن ، قال الإمام الشافعي رضي الله عنه فيما يروى عنه :

١. شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

٢. وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يعطى لعاصي

٣- توجيه الشيخ عبد الله القرعاوي لحافظ والأخذ بيده وتمهيد الطريق له لتحصيل العلم بمساعدته المادية والمعنوية.

شيوخه :

تفترض سعة معارف الشيخ حافظ وإحاطته بأنواع العلوم المختلفة وجود عشرات الشيوخ الذين تتلمذ عليهم حتى تمت له المعرفة الشاملة في الفقه والحديث والأصول والأدب والنحو واللغة وغيرها، ولكن الواقع على خلاف هذا الإفتراض، إذ ليس للشيخ حافظ سوى شيخ واحد تلقى عليه العلوم وهو الشيخ عبد الله القرعاوي، فجميع من ترجم لحافظ لا يذكر غيره، نعم هنالك بعض الإفادات من بعض أقرانه وشيوخ عصره لكنها لا ترقى أن تكون (مشيخة) بالمعنى المعروف، وعلى كل حال فإننا نستطيع تحديد من أفاد منهم الشيخ حافظ فيما يلي :

١- الشيخ عبد الله القرعاوي (١):

لا يذكر الشيخ حافظ الحكمي إلا ويذكر معه الشيخ عبد الله القرعاوي، فقد كان الشيخ القرعاوي صاحب الفضل بعد الله عز وجل في توجيه حافظ للعلم وترغيبه فيه وعنايته أثناء دراسته، فقد رعاه صغيراً وتكفل بإعاشته في مدرسة صامطة وزوجه ابنته، والشيخ القرعاوي هو العلامة الجليل أبو محمد عبد الله بن محمد بن حمد بن محمد بن عثمان بن علي بن نجيد القرعاوي، نسبة إلى قرعاء إحدى قرى القصيم، ولد الشيخ القرعاوي سنة ١٣١٥هـ في مدينة عنيزة وتوفي أبوه وهو حمل في بطن أمه فنشأ في حجر أمه، وقد أحسنت تربيته وعنيت بتعليمه فحفظ القرآن

(١) بتلخيص من السمط الحاوي لأسلوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي ص ٤٣ . وانظر كذلك : حافظ بن أحمد الحكمي، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب ص ٦١-٦٤ .

في الرابعة عشرة ، وقد قام الشيخ القرعاوي بعدة رحلات لطلب العلم فسافر للبصرة وبمبي الهند، وفي الهند التحق القرعاوي بالمدرسة الرحمانية بدلهي وقضى بها ثمان سنوات هي مدة الدراسة وتخرج بها ونال الشهادة العالمية سنة ١٣٥٧هـ . تلقى القرعاوي العلم على يد كثير من علماء نجد وغيرهم منهم :

الشيخ عبد الله بن مانع في عنيزة .

والشيخ عبد الله السليم ، والشيخ عمر بن سليم في بريدة .

والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في الرياض.

والشيخ عبد العزيز بن بشر في الإحساء .

والشيخ محمد بن مانع في قطر .

والشيخ عبد الله العنقري في المجمعة .

وقد قام الشيخ القرعاوي بجهود دعوية كبيرة في جنوب المملكة العربية السعودية وكان له أسلوبه الخاص والمميز في الدعوة ، وللباحثين كتب مفردة ترجموا فيها للشيخ القرعاوي وبينوا جهوده في الدعوة السلفية[1].

يقول أحمد بن علي علوش مدخلي (ويعتبر الشيخ عبد الله القرعاوي هو الشيخ الوحيد لتلميذه حافظ إذ يعود إليه الفضل –بعد الله تعالى – في اكتشافه ورعايته وتدريسه مذهب السلف وتوفير الكتب له من كل مكان، بل سكن الشيخ معه في بداية الطلب ما يقارب أربع سنوات حتى ذكر أنه غدا عالماً يشار إليه بالبنان، بل اعترف تواضعاً أن تلميذه حافظ فاقه في العلم والنشاط ، ويتضح ذلك من رسالة كتبها الشيخ لولي العهد سعود بن عبد العزيز رحمه الله حوالي عام ١٣٧١هـ أثنى فيها ثناءاً عطراً على تلميذه حافظ[2].

---

(١) منها السمط الحاوي لأسلوب الشيخ عبد الله القرعاوي في نشر التعليم بجنوب المملكة العربية السعودية لعلي بن قاسم بن سليمان الفيفي.

(٢) الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٦٣ .

٢- الشيخ محمد بن أحمد بن علي الحكمي :

وهو أخو الشيخ حافظ الأكبر(١)، ولد في قرية الجاضع سنة ١٣٣٧هـ وتلقى الدراسة في كتاب القرية بعد بلوغه سن السابعة ، قام محمد بتعليم أخيه حافظ القراءة والكتابة قبل وصول الشيخ القرعاوي للمنطقة ، وبعد وصول الشيخ القرعاوي التحق محمد وأخوه حافظ بمدرسته وصارا من الأقران ، وتدرج الشيخ محمد في مناصب التدريس وتنقل في عدة مدارس ومعاهد حتى تاريخ إحالته على التقاعد سنة ١٤٠٢هـ ، يدخل الشيخ محمد ضمن شيوخ حافظ لأنه هو الذي علمه القراءة والكتابة ، فهو واضع اللبنات الأساسية في حياة حافظ العلمية (٢).

٣- الشيخ محمد عبد الرازق حمزة :

من علماء الأزهر ، ولد بقرية كفر عامر بالقليوبية بمصر سنة ١٣١١هـ ، درس في قريته ثم انتقل إلى الأزهر ودرس به، أسندت إليه إمامة وخطابة المسجد النبوي سنة ١٣٤٧هـ وعمل مدرسا للحديث في الحرم المكي سنة ١٣٤٨هـ ، له عدة مؤلفات منها: ظلمات أبي رية والمقابلة بين الهدى والضلال والشواهد والنصوص ، توفي رحمه الله بمكة سنة ١٣٩٢هـ (٣).

درس الشيخ حافظ على الشيخ محمد عبد الرازق حمزة في فترات متقطعة أكثرها بعد الحج، وفي سنة ١٣٦٧هـ بقي حافظ بمكة أكثر من أربعة أشهر أتاحت له المزيد من الأخذ عن الشيخ حمزة ، فكان يدرس عليه مرتان، مرة مع جملة الطلاب ومرة منفردا ، وقد أخذ حافظ من حمزة علوم اللغة وخاصة البلاغة(٤).

٤- الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني :

ولد الشيخ عبد الرحمن بقرية المحاقرة برازح في اليمن سنة ١٣١٣هـ وفيها حفظ القرآن وهو صغير السن، التحق بعدها بالمدرسة الحكومية بالحجرية فتعلم الحساب واللغة التركية ثم تجول في أنحاء اليمن طلبا للعلم، ارتحل بعدها إلى الهند ودرس الحديث في حيدر أباد ثم عاد إلى جيزان

---

(١) يكبر الشيخ حافظ بخمس سنوات .

(٢) حافظ بن أحمد الحكمي ، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب ص ٥٨-٦٠.

(٣) الأعلام للزركلي ٢٠٣/٦ .

(٤) حافظ بن أحمد الحكمي ، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب ص ٦٥-٦٦.

فتولى رئاسة القضاء بالمنطقة ولقب بشيخ الإسلام، وفي سنة ١٣٤٢هـ عاد إلى الهند وعمل مصححاً لكتب الحديث في دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد عين أميناً لمكتبة الحرم المكي سنة ١٣٧٢هـ وبقي في هذا المنصب حتى وفاته سنة ١٣٨٦هـ حقق عدداً من كتب الحديث مثل تذكرة الحفاظ للذهبي والجرح والتعديل لابن أبي حاتم والفوائد المجموعة للشوكاني وغيرها ، من مؤلفاته كتاب التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ومقدمته طليعة التنكيل، رحمه الله[1].

كان الشيخ حافظ الحكمي يزور المعلمي في مكتبة الحرم ويدرس عليه علوم الحديث وكان المعلمي يعجب بحافظ ويقدره ، وقد قام المعلمي بمراجعة بعض كتب الشيخ حافظ أثناء طبعها[2].

هذا ما وقفنا عليه من شيوخ حافظ، ومما ذكرناه يتبين أن أهم شيوخه وأولهم هو الشيخ عبد الله القرعاوي .

رحم الله الجميع وغفر لهم ، وأسكنهم فسيح جناته.

تلاميذه :

لم يكن الشيخ حافظ الحكمي من أولئك الشيوخ الذين اقتصرت جهودهم في التدريس على حلقات العلم التي يأتيها من يأتيها ويتركها من يتركها، ولكنه كان معلماً في مؤسسات علمية تخرج طلاب العلم بانتظام وفي دفعات سنوية ، ومن هنا كثر عدد تلاميذ الشيخ حافظ وصعب إحصاؤهم . وبالطبع فليس كل من تتلمذ على يد الشيخ حافظ بلغ من العلم مبلغاً يستحق معه أن يترجم له مع تلاميذ حافظ، إذ أن البعض وقف في حد معين في الدراسة بينما تابع الآخرون، ولذلك فسنذكر هنا من تلاميذ حافظ من استمر في طلب العلم وارتقى في درجاته ومن كانت له آثار علمية منشورة أو جهود دعوية واضحة، ولن نستقصي الأسماء بل سنكتفي بالمشهورين[3].

---

(١) حافظ أبي أحمد الحكمي حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب ص ٦٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٨ .

(٣) ومن أراد التوسع في معرفة تلاميذ الشيخ حافظ فعليه بكتاب : حافظ بن أحمد الحكمي ، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب في المبحث الذي خصص لتلاميذه ص ٧٣-٩٧ .

١٢- الدكتور الشيخ / ربيع بن هادي المدخلي.[١]

من مواليد قرية الجرادية عام ١٣٥٢ هـ درس بمعهد صامطة العلمي حتى تخرج منه عام ١٣٨٠هـ ثم التحق بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة في أول افتتاحها ثم تخرج مع أول دفعة من الجامعة الإسلامية عام ٨٤-١٣٨٥هـ عمل مدرساً بالمعهد الثانوي بالجامعة ثم انتدب للتدريس في الجامعة السلفية بناني بالهند تحصل على الماجستير من جامعة أم القرى ثم الدكتوراة من جامعة أم القرى عام ١٤٠٠هـ عمل مدرساً بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتدرج في كادرها الجامعي حتى وصل إلى درجة أستاذ ثم أحيل للتقاعد .

قام بأعباء الدعوة في كثير من دول العالم كالهند والباكستان واليمن والصومال وكينيا على منهج أهل السنة والجماعة يدافع عن السنة والعقيدة بكل ما أوتي من وسائل وله ردود على بعض مخالفيه. من مؤلفاته : ١- مكانة أهل الحديث ٢- كشف موقف الغزالي من السنة ٣- أضواء إسلامية على بعض الأفكار الخاطئة ٤- المدخل إلى المستدرك للحاكم ٥- صد عدوان الملحدين وجواز الاستعانة بغير المسلمين ٦- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية تحقيق ٧- منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب .

١٣- الشيخ الدكتور علي محمد ناصر الفقيهي[٢]:

من مواليد سنة ١٣٥٤هـ ، درس بمعهد صامطة العلمي وتخرج بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ونال درجتي الماجستير والدكتوراة من جامعة أم القرى . عمل بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مدرساً حتى وصل إلى درجة أستاذ . قام بتحقيق عدة كتب من كتب الأئمة منها : ١- الرد على الجهمية ٢- وكتاب الإيمان ٣- وكتاب التوحيد ، وكلها للإمام الحافظ بن منده ٤- الأربعين في دلائل التوحيد ، للإمام الهروي ٥- كتاب الرؤية والنزول ، للإمام الدار قطني ٦- كتاب الحيدة للإمام الكناني ٧- كتاب الإمامة والرد على الرافضة كلاهما للحافظ أبي نعيم الأصبهاني . المؤلفات : ١- منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان ٢- الفتح المبين في الرد على نقد كتاب الأربعين ٣- الرد القويم البالغ في الرد على الكتاب المسمى بالحق الدامغ ٤- الوصايا في الكتاب والسنة .

---

[١] من أراد التوسع في ذلك فعليه بكتاب فرحة النظر للشيخ أحمد الشعفي المعافا ج١ – ص٢٨٦ – ٢٨٧.

[٢] هو أستاذي المشرف على هذه الرسالة متعه الله بالعافية والحياة الطيبة

١٤- الشيخ الدكتور طاهر أحمد طالي (١):

من مواليد سنة ١٣٥٦هـ ، درس بمعهد صامطة العلمي وتخرج بكلية الشريعة بالرياض، نال درجتي الماجستير والدكتوراة بجامعة أم درمان الإسلامية، عمل مسئولاً عن الدعوة في أثيوبيا وإرتريا والصومال، تقلد عدة مناصب آخرها ملحقاً دينياً بسفارتي المملكة بمسقط والخرطوم. أشرف على المناظرة التي جرت بالخرطوم بين مجموعة من النصارى وعلماء المسلمين وأدت إلى إسلام تلك المجموعة ، والمناظرة مطبوعة متداولة .

رحم الله من مات من تلاميذ الشيخ ، وبارك للأحياء في حياهم ونفع بهم .

آثاره العلمية :

خلف الشيخ حافظ الحكمي رغم قصر عمره آثاراً علمية جليلة سيبقى أثرها عميقاً بين أبناء الأمة الإسلامية ، وقد نفع الله بمؤلفات الشيخ حافظ فأفادت كثيراً من الناس في تصحيح عقائدهم المنحرفة في المملكة العربية السعودية وخارجها من بلاد الإسلام الواسعة ولا أدل على ذلك من الطبعات المتعددة لكتب الشيخ حافظ التي تنتشر في جميع أرجاء الأرض الآن ، وتتميز أكثر آثار الشيخ حافظ بأنها رسائل ومنظومات صغيرة الحجم(٢) ولكنها مع ذلك تحمل بين طياتها علماً غزيراً لا يوجد إلا في مؤلفات حافظ فيما يلي :

١- سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول ﷺ (٣).

ألفه بتوجيه من شيخه عبد الله القرعاوي سنة ١٣٦٢هـ ، وهو منظومة في أصول الدين عدد أبياتها ٢٧٠ بيتاً ، وقد قسمها إلى مقدمة وأحد عشر فصلاً وخاتمة ، وقد طبع سلم الوصول عدة طبعات في حياة الشيخ وبعدها.

---

(١) وهو والدي حفظه الله تعالى ومتعه بالعافية .

(٢) وصف الزركلي مؤلفات الشيخ حافظ في الأعلام ٢/ ١٦١ بقوله (وكلها رسائل) وهو خطأ والصواب (وأكثرها رسائل).

(٣) السمط الحاوي ص ١١٩ ، الأعلام ١٥٩/٢ ، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٢ ، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٥ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص١٢٦ .

٢- معارج القبول [١].

وهو شرح سلم الوصول السابق ، وهو أكبر مؤلفات الشيخ حافظ إذ يقع في مجلدين وقد أكمل تأليفه سنة ١٣٦٦هـ ، طبع الكتاب لأول مرة سنة ١٣٧٧هـ ثم توالت طباعته بعد ذلك، وأفضل طباعته الطبعة المحققة على يد ابنه الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي سنة ١٤٠٤هـ

٣- الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة [٢].

وهي منظومة في تقرير عقيدة السلف ، طبعت مرة واحدة بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣هـ ، وهي موضوع دراستنا ، قال أحمد بن علي علوش مدخلي (وهذا النظم بحاجة إلى شرح موجز يفصل أدلته ويوضح مجمله) [٣] نرجو أن نكون قد حققنا ذلك.

٤- أعلام السنة المشهورة لاعتقاد الطائفة المنصورة [٤].

وهو في العقيدة ، ألفه الشيخ على طريقة السؤال والجواب ، وقد حققه أحمد بن علي علوش مدخلي .

٥- مفتاح دار السلام بتحقيق شهادتي الإسلام [٥].

وهي في شروط شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وأدلتها من الكتاب والسنة ، وقد أدرجت الرسالة ضمن كتاب معارج القبول.

---

(١) السمط الحاوي ص ١١٩ ، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٢ الأعلام ١٥٩/٢ الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٥ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص١٣٦ .

(٢) السمط الحاوي ص ١١٩ ، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٣ ، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٥ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٤٦.

(٣) حافظ بن أحمد الحكمي ، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب ص ١٥١.

(٤) السمط الحاوي ص ١١٩، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٢ . الأعلام ١٥٩/٢ ، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٥.

(٥) الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٩ والشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٥١ .

٦- رسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقد أشار إليها الشيخ حافظ في كتابه أعلام السنة المنشورة [١].

٧- دليل أرباب الفلاح لتحقيق فن الإصلاح [٢].

وهو في مصطلح الحديث ، ألفه سنة ١٣٦٥هـ لطلاب المدرسة السلفية بصامطة ويقع في ١٧٤ صفحة. طبع طبعة واحدة كثيرة التحريف سنة ١٣٧٤ هـ وقد أشرف المعلمي على طباعة ثلاث ملازم منه وصنع جدولاً للخطأ والصواب لبقية الملازم.

٨- مختصر دليل أرباب الفلاح [٣].

وهو مختصر الكتاب السابق في نحو الربع .

٩- اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون [٤].

منظومة في علم مصطلح الحديث وتقع في ٣٤٠ بيتاً ، نظمها الشيخ سنة ١٣٦٦هـ ، طبعت طبعة واحدة في حياة المؤلف .

١٠- السبل السوية لفقه السنن المروية [٥].

وهي منظومة في الفقه تزيد على ٢٢٠٠ بيت ، طبعت عدة طبعات أولها في حياة المؤلف سنة ١٣٧٣هـ وقد شرحها تلميذه الشيخ زيد بن محمد هادي المدخلي في كتاب الأفنان الندية في ستة مجلدات.

---

(١) أعلام السنة ص ٨٩ مطابع الجزيرة العربية .

(٢) السمط الحاوي ص ١٢٠، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٣، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٥، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٥٤.

(٣) الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٦٣ .

(٤) السمط الحاوي ص ١٢٠، الأعلام ١٥٩/٢، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٣، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٦، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص١٦٤.

(٥) السمط الحاوي ص ١٢٠، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٢، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٦، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٦٨.

١١- النور الفائض من شمس الوحي في علم الفرائض(١).

وهي رسالة في المواريث تقع في ٤٦ صفحة ألفها سنة ١٣٦٤هـ ، وقد طبعت طبعة واحدة سنة ١٣٧٣هـ .

١٢- وسيلة الوصول إلى مهمات الأصول (٢).

وهي منظومة في أصول الفقه نظمها سنة ١٣٧٣هـ وتقع في ٦٤٠ بيتا ، طبعت عدة طبعات أولها في حياة المؤلف سنة ١٣٧٣هـ .

١٣- لامية المنسوخ (٣).

وهي منظمة في الناسخ والمنسوخ نظمها قبل عام ١٣٧١ هـ وتقع في ١٣٢ بيتا ، طبعت مرة واحدة مع اللؤلؤ المكنون سنة ١٣٧٣هـ .

١٤- شرح الورقات للجويني (٤).

وهو شرح للورقات في أصول الفقه لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن يوسف الجويني ، وقد أملاه الشيخ حافظ على طلابه ، ولا يزال مخطوطا .

١٥- نيل السول في تاريخ الأمم وسيرة الرسول ﷺ (٥).

وهي منظومة في التاريخ في ٩٧٤ بيتا ، طبعت مرة واحدة في حياة المؤلف سنة ١٣٧٣هـ.

---

(١) السمط الحاوي ص ١١٩، الأعلام ٢/١٥٩، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٣، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٩، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص١٨٣.

(٢) السمط الحاوي ص ١١٩، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٢، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٦، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٨٩.

(٣) السمط الحاوى ص ١١٩، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٣، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٩٥.

(٤) الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٩، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٢٠١.

(٥) السمط الحاوي ص ١٢٠، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٢، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٧، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٢٠٣.

١٦- نصيحة الإخوان عن تعاطي القات والتبغ والدخان (١).

وهي منظومة في التحذير من القات والتبغ والدخان نظمها سنة ١٣٦٧هـ فجاءت في ٤٢ بيتاً، فرد على الشيخ بعض علماء اليمن في خمسين بيتاً فأجابه الشيخ بأبيات أخرى فبلغ عدد أبيات المنظومة ١٩١ بيتاً. طبعت المنظومة مرة واحدة في حياة الشيخ سنة ١٣٧٤هـ .

١٧- المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية(٢).

وهي في الآداب في ٢٤٦ بيتاً . طبعت عدة مرات أولها في حياة المؤلف سنة ١٣٧٣هـ.

١٨- همزية الإصلاح (٣).

وهي قصيدة طويلة عدد أبياتها ٢٠٢ بيتاً نظمها المؤلف بمناسبة توطين اليهود بأرض فلسطين عام ١٩٤٨م.

١٩- القصيدة الحائية في الزهد (٤).

وهي في الزهد والتقلل من الدنيا وتقع في ٣٨ بيتاً ، وقد طبعت القصيدة مع شرحها لزيد بن محمد هادي مدخلي سنة ١٤٠٧هـ وفي كتاب النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية (٥) والسمط الحاوي (٦) وأبيات القصيدة الأولى تقول :

---

(١) السمط الحاوي ص ١٢٠، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٣، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٧، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٢١٠.

(٢) السمط الحاوي ص ١٢٠، النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٧٢، الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٧، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٢١٥.

(٣) الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٩، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٢٢٤.

(٤) الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ٤٨، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ٢٣١.

(٥) النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية ص ١٨٣-١٨٥ .

(٦) السمط الحاوي ص ١١٣-١١٥ .

١. ومالي وللدنيا وليست ببغيتي — ولا منتهى قصدي ولست أنا لها
٢. ولست بميال إليها ولا إلى — رئاستها نتناً وقبحاً لحالها
٣. هي الدار دار الهم والغم والعنا — سريع تقضيها قريب زوالها

هذه هي مؤلفات الشيخ حافظ الحكمي المطبوعة والمخطوطة، وهناك آثار غيرها من الخطب والأشعار والأمالي التي كان يمليها الشيخ على طلابه، ومن أراد التوسع في معرفة كتب الشيخ ومنهجه في تصنيفها فعليه بالمؤلفات التي أفردت لذلك خاصة كتاب (الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي) لأحمد بن علي علوش، فقد أجاد الكاتب في وصف مصنفاته.

شعره :

كان الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي شاعراً كبيراً بجانب علمه في العلوم الشرعية ولذلك فقد ترجم له الزركلي بقوله (فقيه أديب من علماء جيزان)[1] فجمع له بين الفقه والأدب، وقد حفظ لنا مترجمو الشيخ عدداً من قصائده التي تدل على تمكنه من قول الشعر لكن شعر حافظ كان كغيره من شعر العلماء ملتزماً بقضايا معينة ولذلك ترك كثيراً من الأغراض الشعرية كالغزل والوصف والهجاء وغيرها من الأغراض المنبوذة التي تزري بالعلماء وقد اقتصر شعر حافظ بمدح أولي الأمر ومداعبة الأصدقاء ومعاتبتهم والتهاني في المناسبات.

ومن الأبيات الطريفة التي قالها حافظ يداعب فيها تلميذه وصديقه الشيخ حسن بن زيد النجمي عندما رأى كتبه جديدة لم تقرأ :

١. بيت الشيخ كتب قد شراها — وجمّعها ولكن ما قراها
٢. وطابت نفسه منها بسلوى — إذا فتح المكان بأن يراها
٣. وينظر في قطائعها ويمضي — وهل تدري القطائع ما وراها
٤. فوا أسفي على الأيام ضاعت — سدى وقضى على نفسي كراها
٥. وقد قنعت من العليا بدون — وباعتها ببخس في شراها

ومن أراد الوقوف على أكثر شعر حافظ فلينظره في كتاب (الشيخ حافظ الحكمي حياته وجهوده العلمية والعملية) لزيد بن محمد هادي مدخلي والسمط الحاوي لعلي بن قاسم سليمان الفيفي.

---

(١) الأعلام للزركلي ١٥٩/٢ .

وفـــاته ورثـــاء العلماء لـــه :

توفي الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي بعد حياة قصيرة عامرة بالطاعات والدعوة إلى الله بعد أداء مناسك الحج ضحى يوم السبت ١٨ من ذي الحجة سنة ١٣٧٧هـ بمستشفى الزاهر بمكـــة المكرمة وصلى عليه في الحرم المكي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله ودفـــن بمقـــابر العدل بمكة، رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة في الدار الآخرة.

وقد خلف الشيخ رحمه الله من الأولاد سبعة ، أربعة أبناء وثلاث بنات، والأبناء هم :

١- الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي الأستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض .

٢- الدكتور عبد الله بن حافظ الحكمي رئيس مكتب الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

٣- الأستاذ عبد الرحمن بن حافظ الحكمي المدرس بالمعاهد العلمية.

٤- الشيخ محمد بن حافظ الحكمي ويعمل برئاسة إدارة البحوث العلمية بالمملكة .

وقد فجع الناس بموت الشيخ حافظ ورثاه عدد من الأدباء منهم تلميذه إبراهيم بن حسن شـــعي بقصيدة مطلعها [١]:

١. تـــوفي حـــافظ ركـــن البـــلاد	وخلـــف حســـرة لي في الفـــؤاد
٢. وقد ضاقت علـــى الأرض ذرعـــاً	بما رحبـــت ولم تســـع البـــوادي
٣. وســـاء الحـــال مـــني حـــين وافى	بنا نعـــي الفـــتى البطـــل العمـــاد
٤. وددت لـــو أن أمـــي لم تلـــدني	وإلا كنـــت مـــن بعـــض الجمـــاد
٥. أنـــا ممـــن فضيلتـــــه أنـــالت	وممـــن دربـــت تلـــك الأيـــادي
٦. فـــهلا يـــا إلـــه الخلـــق كـــانت	منيتـــه علـــى مثلـــي تنـــادي
٧. فدتك النفس مـــــن شـــيخ كـــريم	وليـــتي كنـــت أول مـــن يفـــادي
٨. لقـــد كنـــت المقـــدم في المزايـــا	من الخيرات يـــا قطـــب النـــوادي
٩. وكنـــت القـــائد المدعـــو فينـــا	فمـــن تختـــار بعـــدك للقيـــاد

(١) الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ١٠٠ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علـــي علـــوش مدخلي ص ١١٩ .

١٠. بعيد الهم لم تأنس بدنيا … ولم يطربك فيها صوت شادي
١١. فمن للشمل والأعباء يحمل … ومن للناس يرعى بالوداد
١٢. سلاح للمشاكل كنت فينا … ومصباح البحوث بكل وادي
١٣. وفي كل العلوم مددت باعاً … وهمتك العلية في ازديادي
١٤. لقد صنفت أسفاراً جلالا … وقد أجلت في حسن اعتقادي
١٥. ملأت قلوب أهل الدين حزناً … وظل الجمع في الكرب الشداد
١٦. بكاك العلم والعلماء طرا … وأرباب الحجا أهل الرشاد
١٧. لقد خلفت أشبالاً فضاعوا … دهتهم آفة قبل الحصاد

ومنهم تلميذه زاهر بن عواض الألمعي بقصيدة منها (١):

١. لقد دوى على المخلاف صوت … نعى النحرير عالمها الهماما
٢. تفجعت الجنوب وساكنوها … على بدر بها يمحو الظلاما
٣. وذاعت في الدنيا صيحات خطب … فهزت من فجائعها الأناما
٤. فكفكفت الدموع على فقيد … على الإسلام شمر واستقاما
٥. وأحيا في الربوع بيوت علم … وواس مقعدا ورعى يتاما
٦. أحافظ كنت للعلماء قطبا … وللإسلام طودا لا يسامى
٧. وبحرا في العلوم بعيد غور … كثير النفع قواما إماما
٨. وما متم فمنهجكم منار … يضيء دروبنا وبها أقاما

---

(١) الشيخ حافظ الحكمي لزيد بن محمد هادي مدخلي ص ١٠٠ ، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي لأحمد بن علي علوش مدخلي ص ١٢٠ .

المبحث الثاني

منهج المؤلف في تقرير العقيدة

نهج الشيخ حافظ رحمه الله في تقرير العقيدة منهج السلف الصالح الذين يثبتون لله ما أثبته لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العليا من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل وقد أشار إلى هذا المنهج في (سلم الوصول) حيث قال بعد تقريره توحيد المعرفة والإثبات.

١. وكل ما له من الصفات — أثبتها في محكم الآيات
٢. أو صح فيما قاله الرسول — فحقه التسليم والقبول
٣. نمرها صريحة كما أتت — مع اعتقادنا لما له اقتضت
٤. من غير تحريف ولا تعطيل — وغير تكييف ولا تمثيل
٥. بل قولنا قول أئمة الهدى — طوبى لمن بهديهم قد اهتدى[1]

وقال في الجوهرة الفريدة مقرراً لهذين الأصلين بعد أن تبرأ من مذاهب الضالين:

١. لكن لنا نص آيات الكتاب وما — عن الرسول روى الأثبات معتمد
٢. لنا نصوص الصحيحين اللذين لها — أهل الوفاق وأهل الخلف قد شهدوا
٣. والأربع السنن الغر التي اشتهرت — كل إلى المصطفى يعلو له سند
٤. كذا الموطأ مع المستخرجات لنا — كذا المسانيد للمحتج مستند
٥. مستمسكين بها مستسلمين لها — عنها نذب الهوى إنا لها عضد[2]

---

(١) سلم الوصول للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ص ٤.

(٢) الجوهرة الفريدة ص ٤ .

المبحث الثالث

التعريف بالجوهرة الفريدة وأهم موضوعاتها

الجوهرة الفريدة منظومة دالية في تسعة عشر صفحة وعدد أبياتها مئتان وستة وتسعون بيتاً وهي من البحر البسيط الذي يتكون من تكرار مستفعلن فاعلن أربع مرات.

أهم موضوعاتها :

تناولت هذه المنظومة أهم موضوعات العقيدة من الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره كما تناولت أركان الإسلام والإحسان واشتملت على ذكر بعض أنواع الشرك ونواقض الإسلام واشتملت على ذكر الخلافة ومحبة الصحابة ووجوب طاعة أولي الأمر والنصيحة في الدين ، كما اشتملت هذه المنظومة على مقدمة وخاتمة ، أما المقدمة فتتناول عقيدة المؤلف والرد على أهل البدع والأهواء ، وأما الخاتمة فاشتملت على بعض أمور الشرع وأصول الفقه، كما سيأتي الحديث عن ذلك من خلال المنظومة .

المبحث الرابع

منهج المؤلف فيها

اتبع المؤلف في هذه المنظومة.منهج التبويب حيث قسمها إلى أبواب متعددة بحسب وحداتها الموضوعية ، فقد بدأ هذا النظم بخطبة تضمنت حمد الله والثناء عليه ثم ذكر مقدمة لهذه المنظومة خصصها لبيان منهجه في العقيدة والرد على أهل البدع والأهواء ثم قسم المنظومة إلى أبواب متعددة بدأها بأبواب أمور الدين وختمها بباب في الشرع وأصول الفقه وتحت عنوان كل باب يبدأ في الحديث عن موضوع الباب وما يندرج تحته من أمور متعلقة به مستدلاً على ذلك بالقرآن الكريم والسنة النبوية ويذكر أقوال الفرق المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة ويفندها ويرد عليها معتمداً في كل ذلك على أمهات كتب العقيدة والتفسير والحديث والأصول[١].

---

(١) سوف يتضح هذا المنهج من خلال شرح المنظومة.

المبحث الخامس

مصادر المؤلف التي اعتمد عليها

لقد اعتمد المؤلف رحمه الله في نظمه لهذه المنظومة على أمهات كتب العقيدة والحديث والتفسير والأصول مثل الفتاوي ومنهاج السنة وشفاء العليل والصواعق المرسلة والكتب الستة وكتب المسانيد وفتح الباري وشرح النووي وتفسير ابن كثير وابن جرير وكتب الأصول مثل الوريقات والإحكام في أصول الأحكام . وغيرها .

المبحث السادس

موقف المؤلف من المبتدعة

يتضح من خلال هذه المنظومة موقف المؤلف من المبتدعة فقد تبرأ من جميع البدع وأهلها كما صرح بذلك حيث خص باباً من أبواب هذه المنظومة في البراءة منهم وسماه (براءة المتبعين من حراءة المبدعين وافتراءات المبتدعين) وقال في بدايته :

إني براء من الأهواء وما ولدت   ووالديها الحيارى ساء ما ولدوا

ثم شرع في ذكر فرق الضلال التي تبرأ منها وذكر بعض أقوالها المخالفة للشرع ورد عليها فذكر منها الجهمية ، المشبهة ، المعتزلة ، الجبرية ، الشيعة والنواصب.

وذكر أهل الفلسفة والمنطق اليوناني مثل ارسطو والطوسي وأهل الإلحاد القائلين بوحدة الوجود كابن عربي وأبن سبعين وذكر العصريين الذين اتبعوا سنن الغرب وقلدوهم في كل شيء. وذكر الطرق الصوفية المختلفة [1].

فقد تبرأ الناظم من كل هؤلاء وأبطل أقوالهم ورد عليها ثم بين أنه لا يحتكم إلى العقل والمنطق عند وجود النص كما يفعل أهل البدع والأهواء وإنما يسير وفق منهج الله المأخوذ من القرآن الكريم والسنة النبوية حيث قال :

١. ولا نحكم في النص العقول ولا   نتائج المنطق المحقوق نعتمد
٢. لكن لنا نص آيات الكتاب وما   عن الرسول روى الأثبات معتمد

---

(١) سيأتي ذكر أقوال هذه الفرق ورد الناظم رحمه الله عليهم مفصلاً أثناء شرح المنظومة.

القسم الثاني

(التحقيق والشرح)

المبحث الأول

النسخة المخطوطة والمطبوعة المعتمدة في التحقيق

١/ النسخة المخطوطة :

نسخة بخط النسخ وناسخها غير معروف على أوراقها ويقال أنها بقلم تلميذ المؤلف علـــي بن قاسم الفيفي[١] وعدد صفحاتها أربع وعشرون صفحة وعدد أبياتها أربع وعشـــرون وثلاثمائـــة بيت وقد رمزت لها بحرف (ع).

٢/ النسخة المطبوعة :

بعد البحث والتحري وجد أن هذه المنظومة قد طبعت عام ١٣٧٣هـ بمطابع البلاد في حياة المؤلف ودرسها لتلاميذه وهي مطبوعة[٢] وعدد أبياتها مائتان وستة وتسعون بيتاً. وقـــد اخـــترت النسخة المطبوعة كنسخة معتمدة في التحقيق ورمزت لها بالحرف (ط) ذلك أن النسخة المخطوطة عادة يعتريها الخطأ والحذف والزيادة، أما المطبوع فلا يطبع إلا بعد المراجعة وحذف ما يرى حذفه وزيادة ما هو مفيد خاصة وأن الطبع قد تم في حياة المؤلف وروجعت من قبله ودرســـها لطلابـــه كما هو الحال في هذه الجوهرة التي أنا بصدد تحقيقها وشرحها فإلى النسخة المطبوعـــة (الجوهـــرة الفريدة في تحقيق العقيدة).

---

(١) انظر الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ص ١٥١ .

(٢) قد يلاحظ القارئ اختلافاً في عدد الأبيات بين النسختين المخطوطة والمطبوعة، وذلك يرجع إلى أن النسخة المخطوطة قـــد اعتراها التغيير والحذف في حياة الناظم، والنسخة المطبوعة هي التي اعتمدها الناظم في حياته، وهي التي اعتمدتها في هـــذا التحقيق والشرح.

(المبحث الثاني)

(خطة الناظم في الجوهرة الفريدة)

المطلب الأول

نظم

الجوهرة الفريدة

في

تحقيق العقيدة

بقلم

حافظ بن أحمد الحكمي عفا الله عنه

أمر بطبع هذه المنظومة المباركة على نفقته جلالة الملك
المعظم محيي آثار السلف الصالح

ملك المملكة العربية السعودية

الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل
آل سعود

أيده الله ووفقه آمين

مطابع البلاد السعودية بمكة الشامية

سنة ١٣٧٣هـ

موضوعات عقيدة الجوهرة الفريدة

خطبة العقيدة

المقدمة

أبواب أمور الدين

باب الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته

فصل في بيان الشرك بالله سبحانه

الإيمان بالملائكة عليهم السلام

الإيمان بكتب الله المنـــزلة

الإيمان بالرسل عليهم السلام

الإيمان باليوم الآخر

إثبات النظر إلى الله تعالى في الدار الآخرة

الإيمان بالقدر خيره وشره

مجمل أركان الإسلام

جامع وصف الإحسان

باب نواقض الإسلام أعاذنا الله منها

باب شرك دون شرك وكفر دون كفر ...الخ

باب معنى النصوص التي فيها نفي الإيمان

باب التوبة وشروطها

باب حكم السحر والكهانة ..الخ

باب حكم الرقي والتعاليق

باب الخلافة ومحبة الصحابة .. الخ

باب وجوب طاعة أولي الأمر

باب وجوب النصيحة في الدين

باب الشرع وأصول الفقه.

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة العقيدة

١. الحمد لله لا يحصي له عدد ... ولا يحيط به الأقلام والمدد
٢. حمداً لربي كثيراً دائماً أبدا ... في السر والجهر في الدارين مسترد
٣. ملء السماوات والأرضين أجمعها ... وملء ما شاء بعد الواحد الصمد
٤. ثم الصلاة على خير الأنام رسو ... ل الله أحمد مع صحب به سعدوا
٥. وأهل بيت النبي والآل قاطبة ... والتابعين الألى للدين هم عضد
٦. والرسل أجمعهم والتابعين لهم ... من دون أن يعدلوا عما إليه هدوا
٧. أزكى صلاة مع التسليم دائمة ... ما إن لها أبداً حد ولا أمد
٨. وبعد ذي في أصول الدين (جوهرة ... فريدة) بسنا التوحيد تتقد
٩. بشرح كل عرى الإسلام كافلة ... ونقض كل الذي أعداؤه عقدوا
١٠. وما أبرىء نفسي من لوازمها ... وأحمد الله منه العون والرشد
١١. والله أسأل منه رحمة وهدى ... فضلا ومالي إلا الله مستند

- مقدمة -

(في براءة المتبعين من جراءة المبدعين وافتراءات المبتدعين)

١٢. إني براء من الأهوا وما ولدت ... ووالديها الحيارى ساء ما ولدوا
١٣. والله لست بجهمي أخا جدل ... يقول في الله قولاً غير ما يرد
١٤. يكذبون بأسماء الإله وأو ... صاف له بل لذات الله قد جحدوا
١٥. كلا ولست لربي من مشبهة ... إذ من يشبهه معبوده جسد
١٦. ولا بمعتزلي أو أخا جبر ... في السيئات على الأقدار ينتقد
١٧. كلا ولست بشيعي أخا دغل ... في قلبه لصحاب المصطفى حقد
١٨. كلا ولا ناصبي ضد ذلك بل ... حب الصحابة ثم الآل نعتقد
١٩. وما ارسطو ولا الطوسي أئمتنا ... ولا ابن سبعين ذاك الكاذب الفند
٢٠. ولا ابن سينا وفارابيه قدوتنا ... ولا الذي لفصوص[1] الشر يستند
٢١. مؤسس الزيغ والإلحاد حيث يرى ... كل الخلائق بالباري قد اتحدوا

---

(١) في المخطوطة (لفصوص) وهو الصحيح لأن المؤلف يتحدث عن محيي الدين بن عربي وكتابه فصوص الحكم

٢٢. معبوده كل شيء في الوجـود بـدا   الكلب والقرد والخنـزير والأسـد

٢٣. ولا الطرايق والأهواء والبـدع الـ   ضلال ممـن علـى الوحيـين ينتقـد

٢٤. ولا نحكـم في النـص العقـول ولا   نتـائج المنطـق المحـروق نعتمـد

٢٥. لكن لنا نص آيـات الكتـاب ومـا   عن الرسول روى الأثبـات معتمـد

٢٦. لنا نصوص الصحيحـين اللذيـن همـا   أهل الوفاق وأهل الخلف قد شـهدوا

٢٧. والأربع السنن الغر الـتي اشتهرت   كل إلى المصطفـى يعلـو لـه سـند

٢٨. كذا الموطأ مـع المستخرجات لنـا   كـذا المسـانيد للمحتـج مسـتند

٢٩. مستمسـكين بهـا مستسـلمين لهـا   عنها نذب الهـوى إنـا لهـا عضـد

٣٠. ولا نصيـخ(١) لعصـري يفـوه بمـا   ينـاقض الشـرع أو إيـاه يعتقـد

٣١. يـرى الطبيعـة في الأشـياء مؤثـرة   أين الطبيعة يـا مخـذول إذ وجـدوا

٣٢. ومـا لمجلاتهـم وردى ولا صـدرى   ومـا لمعتنقيـها في الفـلاح يـد

٣٣. إذ يدخلـون بهـا عـاداتهم وسـجا   يا هم وحكم طواغيت لهـم طـردوا

٣٤. محسـنين لهـا كيمـا تـروج علـى   عم(٢) البصـائر ممـن فاتـه الرشـد

٣٥. من أجل ذلك قـد أضحـى زنادقـة   كثيرهم لسبيل الغـي قـد قصـدوا

٣٦. يـرون أن تـبرز الأنثـى بزينتـها   ويمسها البعـع تـأجيلاً وتنتقـد

٣٧. من أجل ذلك(٣) بالإفرنج قد شـغفوا   هم تزيوا وفي ذي(٤) التقـى زهـدوا

٣٨. وبـالعوائد منـهم كلـها اتصفـوا   وفطـرة الله تغيـيراً لهـا اعتمـدوا

٣٩. على صحائفهم يا صاح قـد عكفـوا   ولو تلوت كتـاب الله مـا سـجدوا

٤٠. وعن تدبر حكم الشرع قـد صرفـوا   وفي المجلات كل الذوق قـد وجـدوا

٤١. وللشوارب أعفـوا واللحـى نتفـوا   تشـبهاً(٥) ومجـاراة ومـا اتـأدوا

٤٢. قالوا رقيـاً فقلنـا للحضيـض نعـم   تهـوون منـه إلى سـجين مؤتصـد

٤٣. ثقافة مـن سمـاج سـاء مـا ألفـوا   حضارة من مروج هم لهـا عمـدوا

٤٤. عصرية عصـرت خبثـاً فحاصلـها   سم نقيـع وبـا أغمـار فـازدردوا

٤٥. موت وسموه تجديـد الحيـاة فيـا(٦)   ليت الدعاة لها في الرمس قد لحـدوا

٤٦. دعاة سوء إلى السوأى تشابهت الـ   ـقلوب منهم وفي الإضلال قد جهدوا

٤٧. ما بـين مسـتعلن منـهم ومسـتتر   ومستبد ومنـها(٧) بالغـير محتشـد

---

(١) في المخطوطة (كلا ولست بعصري) (٢) في المخطوطة (عمي) وهو الصواب (٣) في المخطوطة (وآخرون فبالإفرنج

(٤) في المخطوطة (وفي زي) وهو الموافق للشطر الأول (٥) في المخطوطة (شبه المجوس لأولى للنار قد عبدو)

(٦) في المخطوطة (ألا يا ليتهم قبل ذا في الرمس)

٤٨. هم إلى دركات الشر أهوية ... لكن إلى درجات الخير ما صعدوا
٤٩. وفي الضلالات والأهوا لهم شبه ... وعن سبيل الهدى والحق قد بلدوا
٥٠. صم ولو سمعوا بكم ولو نطقوا ... عمي ولو نظروا بهت بما شهدوا
٥١. عموا عن الحق صموا عن تدبره ... عن قوله خرسوا في غيهم سمدوا
٥٢. كأنهم إذ ترى خشب مسندة ... وتحسب القوم أيقاظا وقد رقدوا
٥٣. باعوا بها الدين طوعاً عن تراض وما ... بالوا بذا(١) حيث عند الله قد كسدوا
٥٤. يا غربة الدين والمستمسكين به ... كقابض الجمر صبراً وهو(٢) يتقد
٥٥. المقبلين عليه عند غربته ... والمصلحين إذا ما غيرهم فسدوا
٥٦. إن أعرض الناس عن تبيانه نطقوا ... به وإن أحجموا عن نصره نجدوا
٥٧. هذا وقد آن نظم العقد معتصماً ... بالله حسبي عليه جل أعتمد

أبواب أمور الدين

٥٨. والدين قول بقلب واللسان ... وأعمال بقلب وبالأركان معتمد
٥٩. يزداد بالذكر والطاعات ثم له ... بالذنب والغفلة النقصان مطرد
٦٠. وأهله فيه مفضول وفاضله ... منهم ظلوم وسباق ومقتصد
٦١. وهاك ما سأل الروح الأمين رسو ... ل الله عن شرحه والصحب قد شهدوا
٦٢. فكان ذاك الجواب الدين أجمعه ... فافهمه عقدا صفا ما شابه عقد

باب الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته

٦٣. بالله نؤمن فرد واحد أحد ... ولم يلد لا ولم يولد هو الصمد
٦٤. ولا إله ولا رب سواه ولم ... يكن له كفوا من خلقه أحد
٦٥. حي سميع بصير جل مقتدر ... عدل حكيم عليم قاهر صمد
٦٦. هو العلي هو الأعلى هو المتعا ... لي كل معنى علو الله نعتقد
٦٧. قهراً وقدرا وذاتاً جل خالقنا ... ما حل فينا ولا بالخلق متحد
٦٨. في سبع آي من القرآن صرح باسـ ... ـتوى على العرش ربي فهو منفرد
٦٩. ولفظ فوق أتى مع الإقتران بمن ... ودونها لمريد الحق مستند
٧٠. وفي السماء اتلها في الملك واضحة ... وكم حديثاً بها يعلو به السند
٧١. وتعرج الروح والأملاك صاعدة ... أما إلى ربهم نحو العلى صعدوا

(١) في المخطوطة (وما بلوا به)
(٢) في المخطوطة (فهو يتقد)

٧٢. وهكذا يصعد المقبول من عمل ... من العباد لمن إياه قد عبدوا
٧٣. كذا عروج رسول الله حين سرى ... قل لي إلى من له قد كان مصطعد
٧٤. وحين خطبته في جمع حجته ... أشار رأس له نحو العلي ويد
٧٥. أليس يشهد رب العرش جل على ... تبليغه ثم(١) أهل الجمع قد شهدوا
٧٦. ومن رفع المصلي في تشهده ... سباحة لعلو الله يعتقد
٧٧. وكل داع إلى من رافع يده ... إلا إلى من يجي من عنده المدد
٧٨. وكم لهذا براهينا مؤيدة ... وحين يسمعها الجهمي يرتعد
٧٩. ونحن نثبت ما الوحيان(٢) تثبته ... من أن ذا العرش فوق العرش منفرد
٨٠. يدنو كما شاء ممن شاء يفعل ما ... يشا ولا كيف في وصف له يرد
٨١. وكل أسمائه الحسنى نقر بها ... مما علمنا ومما استأثر الصمد
٨٢. مستيقنين بما دلت عليه ومن ... ثلاثة الأوجه اعلم ذكرها يرد
٨٣. دلت على ذات مولانا مطابقة ... به تليق بها الرحمن منفرد
٨٤. كذا تضمنت المشتق من صفة ... نحو العليم بعلم ثم تطرد
٨٥. كذلك استلزمت باقي الصفات كما ... للقدرة استلزم الرحمن والصمد
٨٦. وكل ما جاء في الوحيين من صفة ... لله نثبتها والنص نعتمد
٨٧. صفات ذات وأفعال نمر ولا ... نقول كيف ولا ننفي كمن جحدوا
٨٨. لكن على ما بمولانا يليق كما ... أراده وعناه الله نعتقد
٨٩. وفي الشهادة علم القلب مشترط ... يقينه انقد قبول ليس يفتقد
٩٠. إخلاصك الصدق فيها مع محبتها ... كذا الولا والبرا فيها لها عمد
٩١. فيه نوالي(٣) أولي التقوى وننصرهم ... وكل أعدائه إنا لهم لعدو

فصل

٩٢. والشرك جعلك نداً للإله ولم ... يشارك الله في تخليقنا أحد
٩٣. تدعوه ترجوه تخشاه وتقصده ... لدفع شر ومنه الخير ترتفد
٩٤. وعلمه بك مع سمع الدعاء وقد ... رة وسلطان غيب فيه تعتقد
٩٥. مثل الألى بدعا الأموات قد هتفوا ... يرجون نجدتهم من بعد ما لحدوا
٩٦. وكم نذوراً وقربانا لها صرفوا ... ظلما ومن أنفس المنقوش كم نقدوا

(١) في المخطوطة (وأهل الجمع)   (٢) في المخطوطة (الوحيين) وهو خطأ

(٣) في المخطوطة (توالي) بالتاء والصحيح الذي يدل عليه السياق ما في النسخة المطبوعة .

٩٧. وكم قبابا عليها زخرفت ولها … أعلى النسيج كساء ليس يفتقد
٩٨. فهم يلوذون في دفع الشرور بها … كما لها في قضا الحاجات قد قصدوا
٩٩. ويصرفون لها كل العبادة دو … ن الله جهراً وللتوحيد قد جحدوا
١٠٠. إن لم تكن هذه الأفعال يا علما … شركا فما الشرك قولوا(١)لي أو ابتعدوا
١٠١. إن لم تكن هذه شركا فليس على … وجه البسيطة شرك قط ينتقد

باب الإيمان بالملائكة

١٠٢. وبالملائكة الرسل الكرام عبا … د الله نؤمن خابوا من لهم عبدوا
١٠٣. من(٢) دون ربي تعالى والتباب لمن … كانوا له ولهم والمرسلين عدو
١٠٤. بل هم عباد كرام يعملون بأمر … الله ليس له ند ولا ولد
١٠٥. منهم أمين لوحي الله يبلغه … لرسله وهو جبريل به يفد
١٠٦. وللرياح وقطر والسحاب فميـ … كال بذاك إليه الكيل والعدد
١٠٧. كذاك بالصور إسرافيل وكل وهـ … والآن منتظر أن يأذن الصمد
١٠٨. وحاملوا العرش مع من حولهم ذكروا … وزائروا بيته المعمور ما افتقدوا
١٠٩. والحافظون علينا الكاتبون لما … نسعى وفي الحشر إذ يؤتى بهم شهدوا
١١٠. وآخرون بحفظ العبد قد وكلوا … حتى إذا جاءه المقدور لم يفدوا
١١١. والموت وكل(٣) حقاً بالوفاة لرو … ح العبد قبضا إذا منها خلا الجسد
١١٢. ومنكر ونكير وكلا سئوا … ل العبد في القبر عما كان يعتقد
١١٣. كذاك رضوان في أعوانه خزنوا … لجنة الخلد بشرى من بها وعدوا
١١٤. كذا زبانية النيران يقدمهم … في شأنها مالك بالغيظ يتقد
١١٥. وآخرون فسياحون حيث أتوا … مجالس الذكر حفوا من بها قعدوا
١١٦. وغيرهم من جنود ليس يعلمها … إلا العليم الخبير الواحد الأحد

باب الإيمان بكتب الله المنزلة

١١٧. وكتبه بالهدى والحق منزلة … نورا وذكرى وبشرى للذين هدوا
١١٨. ثم القرآن كلام الله ليس كما … قال الذين على الإلحاد قد مردوا
١١٩. جعد وجهم وبشر ثم شيعتهم … ألا فبعداً لهم بعداً وقد بعدوا
١٢٠. تكلم الله رب العالمين به … قولا وأنزله وحيا به الرشد

---

(١) في المخطوطة (أو فانفوا وابتعدوا)

(٢) في المخطوطة (دون الإله)

(٣) في المخطوطة (كذا إلى ملك الموت الوفاة لروح العبد)

١٢١. تتلــوه نــسمعه نــراه(١) نكتبـــــه ... خطــا ونحفظــه بــالقلب نعتقـــــد
١٢٢. وكـــل أفعالنـــا مخلوقـــة وكـــــذا ... آلاتنـــا الـــرق والأقـــلام والمـــــدد
١٢٣. وليس مخلوقا القـــرآن حيـــث تلـــى ... أو خـــط فـــهو كـــلام الله مـــــترد
١٢٤. والواقفـــون فشـــر نحلـــة وكـــــذا ... لفظية ساء ما راحوا(٢) ومـــا قصـــدوا

باب الإيمان بالرسل عليهم السلام

١٢٥. والرسل حق بــــلا تفريـــق بينـــهموا ... وكلهم للصـــــراط المســـتقيم هـــدوا
١٢٦. وبـــالخوارق والإعجـــــاز أيدهـــــم ... ربي على الحق ما خانوا ومــــا فنـــدوا
١٢٧. وفضل الله بعــــض المرســـلين علـــى ... بعض بما شاء في الدنيا ومــــا وعـــدوا
١٢٨. مـــن ذاك أعطـــى لإبراهيـــم خلتـــه ... كـــذا لأحمـــد لم يشـــركهما أحـــــد
١٢٩. وكلـــم الله موســـى دون واسطـــــة ... حقا وخط لــــه التـــوارة فـــاعتمدوا
١٣٠. وكان عيسى بإذن الله يـــبريء مـــن ... علات سوء ويحيى الميت قـــد فقـــدوا
١٣١. والكل في دعوة التوحيد ما اختلفـــوا ... أما الفروع ففيها النســـخ قـــد تجـــد
١٣٢. إلا شـــريعتنا الغـــرا فليـــس لهـــــا ... من ناسخ مارســـى في أرضـــه أحـــد
١٣٣. إذ كان أحمد ختـــم المرســـلين فمـــن ... من بعـــده رام وحيـــا كـــاذب فنـــد
١٣٤. وكـــان بعثـــه للخلـــــق قاطبـــــة ... وشـــرعه شـــامل لم يعـــده أحــــد
١٣٥. ولم يسغ أحدا عنــــها الخـــروج ولـــو ... كان النبيـــون أحيـــاء لهـــا قصـــدوا

باب الإيمان باليوم الآخر

١٣٦. واليـــوم الآخـــر حـــق ثم ســــاعته ... ينتـــهي علمـــها الرحمـــن منفـــــرد
١٣٧. والموت حق ومــــن جـــاءت منيتـــه ... بـــأي حتـــف فـــالمقدور مفتقـــــد
١٣٨. ما إن له عنه مــــن مســـتأخر ابـــدا ... كلا ولا عنـــه مـــن مســـتقدم يجـــد
١٣٩. كل إلى أجـــل يجـــري علـــى قـــدر ... ما لامرىء عن قضــــاء الله ملتحـــد
١٤٠. وفتنة القـــــبر حـــق والعـــذاب بـــه ... لكـــافر ونعيـــم لـــلألى ســــعدوا
١٤١. وللقيامـــة آيـــــات إذا وجبـــــت ... فليس مـــن توبـــة تجـــدى وتلتحـــد
١٤٢. من ذاك أن تستبين الشمس طالعـــة ... من حيث مغربها والخلق قد شـــهدوا
١٤٣. كـــذاك دابـــة لـــلأرض تكلمـــــهم ... جهراً وتفـــرق بـــالتمييز مـــن تجـــد
١٤٤. نزول عيســـى لدجـــال فيقتلـــــه ... وفتـــــح ســــد عباد ما لهم عدد

(١) في المخطوطة (نتلوه نسمعه حقا ونكتبه) (٢) في المخطوطة (راموا)

(٣) في المخطوطة (ولم يسع) بالعين المهملة والمعنى متقارب

١٤٥. كذا الدخان وريح وهي[1] مرسلة … لقبض أنفس من للدين يعتقد

١٤٦. وغيرها من أمور في الكتاب جرت … ذكرى وصح بها في السنة السند

١٤٧. والنفخ في ا لصور حق أو لا فزع … فصعقة فقيام بعد ما رقدوا

١٤٨. والوزن بالقسط والأعمال محضرة … في الصحف تنشر والأشهاد قد شهدوا

١٤٩. والجسر ما بين ظهراني الجحيم كما … في النص إن أحد إلا لها يرد

١٥٠. يجوزه الناس بالأعمال تحملهم … عليه ليس القوى والعد والعدد

١٥١. كالبرق والطرف أو مر الرياح وكالـ … جياد أو كركاب النوق تنشرد

١٥٢. وذاك يعدو وذا يمشي عليه وذا … زحفاً وذا كب[2] في نار به تقد

١٥٣. والنار حق وجنات النعيم ولا … نقول تفنى ولا ذا الآن تفتقد

١٥٤. هذي لأعدائه قد أرصدت أبدا … وذي لأحبابه والكل قد خلدوا

١٥٥. وحوض أحمد قد أعطاه خالقه … غوثاً لأمته في الحشر إذ ترد

١٥٦. والرسل تحت لواء الحمد تحشر إذ … ذاك اللوا لختام الرسل ينعقد

١٥٧. كذا المقام له المحمود حيث به … في شأنه كل أهل الجمع قد حمدوا

١٥٨. وهو الشفاعة في فصل القضاء وفي … فتح الجنان لأهليها إذا وفدوا

١٥٩. وفي عصاة أولي التوحيد يخرجهم … من الجحيم ويدريهم بما سجدوا

١٦٠. وبعده يشفع الأملاك والشهدا … والأنبياء[3] وأتباع لهم سعدوا

١٦١. فيخرجونهموا فحما قد امتحشوا … من الجحيم قد اسودوا وقد خمدوا

١٦٢. فيطرحون بنهر ينبتون به … نبت الحبوب بسيل جاء يطرد

١٦٣. ثم الشفاعة ملك للإله ولا … شريك جل له في ملكه أحد

١٦٤. فليس يشفع إلا من يشاء وفي … من شاء حين يشاء الواحد الصمد

١٦٥. ويخرج الله أقواماً برحمته … بلا شفاعة لا يحصى لهم عدد

١٦٦. وليس يخلد في نار الجحيم سوى … من كان بالكفر عن مولاه يبتعد

١٦٧. يا عظم ما ركبوا يا سواء ما نكبوا … عن ربهم حجبوا من فضله بعدوا

باب الإيمان بالنظر إلى الله عز وجل في الدار الآخرة

١٦٨. والمؤمنون يرون الله خالقهم … يوم اللقا وعده الصدق الذي وعدوا

١٦٩. يرونه في مقام الحشر حين ينا … ديهم ليتبع الأقوام ما عبدوا

---

(١) في المخطوطة (وهي)   (٢) في المخطوطة (وذ ناكب) وهو خطأ والصواب ما في النسخة المطبوعة.

(٣) في المخطوطة (وأنبياء) ولعله خطأ من الناسخ.

١٧٠. فيتبع المجرم الأنداد تقدمهم … إلى جهنم وردا ساء ما وردوا
١٧١. والمؤمنون لمولاهم قد انتظروا … إذا تجلى لهم سبحانه سجدوا
١٧٢. إلا المنافق يبقى ظهره طبقاً … إذ في الحياة إذا قيل اسجدوا مردوا
١٧٣. كذا الزيادة في يوم المزيد إذا … على النجائب للرحمن قد وفدوا
١٧٤. فالأنبياء كذا الصديق والشهدا … على منابر نور في العلى قعدوا
١٧٥. وغيرهم من أولي التقوى مجالسهم … كثبان مسك ألا يا نعمة المسهد
١٧٦. من فوقهم أشرف الرحمن جل وثنا … داعهم سلام عليكم كلهم شهدوا
١٧٧. يرونه جهرة لا يمترون كما … للشمس صحواً يرى من ما به رمد
١٧٨. هناك يذهل كل عن نعيمهموا … بذا النعيم فيا نعمى لهم حمدوا
١٧٩. وذا لهم أبداً في كل جمعتهم … بشرى وطوبى لمن في وفدهم يفد

باب الإيمان بالقدر خيره وشره

١٨٠. كذاك بالقدر المقدور نؤمن من … خير وشر وذا في ديننا عمد
١٨١. ولا منافاة بين الشرع والقدر الـ … محتوم لكن أولوا الأهواء قد مردوا
١٨٢. فإن الإيمان بالأقدار مرتبط … بالشرع ذا دون هذا ليس ينعقد
١٨٣. إياه نعبد إذعاناً لشرعته … بالنهي منزجرين الأمر نعتمد
١٨٤. ونستعين على كل الأمور به … إذ كلها قدر من عنده ترد
١٨٥. أحاط علماً بها ربي وقدرها … دقاً وجلاً ومن يشقى ومن سعدوا
١٨٦. من قبل إيجادها حقاً وسطرها … في اللوح جفت بها الأقلام والمدد
١٨٧. كيفية وزماناً(١) والمكان فلا … يعدو امرؤ ما قضاه الواحد الصمد
١٨٨. بقول كن ما يشا أمضى بقدرته … بالخلق والأمر رب العرش منفرد
١٨٩. وقدرة العبد حقاً مع مشيئته … لكن لما شاء منه الله نعتقد
١٩٠. إذ كان ذاتاً وفعلاً كله عدم … إلا إذا جاءه من ربه المدد
١٩١. من يهده الله فهو المهتدي وكذا … من شاء إضلاله أنى له الرشد

مجمل أركان الإسلام

١٩٢. هذا وقد بني الإسلام فادر على … خمس دعائم فاحفظ إنما العمد
١٩٣. هي الشهادة فاعلم والصلاة مع الـ … زكاة والصوم ثم الحج فاعتمدوا
١٩٤. وذروة الدين أعلاها الجهاد حمى … لحقه ولأهل الكفر مضطهد(٢)

(١) في المخطوطة (وزمانا) وهو خطأ من الناسخ
(٢) في المخطوطة (يضطهد)

جامع وصف الإحسان

١٩٥. هذا والإحسان في سر وفي علن ... أصل ومعناه عن خير الورى يرد
١٩٦. أن تعبد الله باستحضار رؤيته ... إياك ثم كمن إياه قد شهدوا

باب نواقض الإسلام أعاذنا الله منها

١٩٧. وليس يخرج من الإسلام داخله ... إلا بإنكار ما فيه به يرد
١٩٨. أما المعاصي التي من دون ذاك فلا ... تكفير إلا لمن للحل[1] يعتقد
١٩٩. والكفر إن كان عن جهل الكفور فكـ ... ـذب ككفر قريش حينما مردوا
٢٠٠. أو كان عن علمه فهو الجحود ككـ ... ـفار اليهود الألى بالمصطفى جحدوا
٢٠١. أو بالإباء مع الإقرار فهو عنا ... د كالرجيم إذ الأملاك قد سجدوا
٢٠٢. أو أبطن الكفر بالإسلام مستترا ... فهو النفاق فهذي أربع ترد
٢٠٣. مقابلات لقول القلب مع عمل ... منه وقول لسان معه ينعقد
٢٠٤. كذا لسائر أعمال الجوارح فاعـ ... ـلم أربع قابلتها فاستوى العدد

باب شرك دون شرك وكفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسوق دون فسوق ونفاق دون نفاق

٢٠٥. والشرك قد جاء منه أصغر وهو الـ ... ـرياء ممن(٢) سوى الرحمن ما عبدوا
٢٠٦. كمن يصلي لربي ثم زينها ... لما يرى أن إليه ناظر أحد
٢٠٧. كذلك الحلف بالمخلوق من وثن ... كذا الأمانة والآباء والولد
٢٠٨. وبالشهادة فالساهي بكفر كي ... يقر في ا لقلب معناها ويرتعد
٢٠٩. ولحو لو لا فلان كان كيت وما ... شاء الإله وشئت الكل منتقد
٢١٠. وهكذا كل لفظ فيه تسوية ... بالله جل ولكن ليس يعتقد
٢١١. ولا نفاء التساوي جاز ثم مكا ... ن الواو نصاً وأهل العلم ما انتقدوا
٢١٢. والكفر والظلم فاعلم والفسوق كذا الـ ... ـنفاق كل على نوعين قد يرد
٢١٣. فالكفر بالله معلوم وسمى بالـ ... ـكفر القتال لذي الإسلام يعتمد
٢١٤. والظلم للشرك وصف ثم أطلق في ... تظالم الخلق منه الغش والحسد

---

(١) في المخطوطة (الحل) بالحاء المهمله وهو الصواب

(٢) في المخطوطة (فمن) والصواب ما في المطبوعة

٢١٥. والفسق في وصف إبليس اللعين أتـــى　　　وقاذف مـــا عـــن الإســـلام يبتعـــد

٢١٦. كذا النفاق أتـــى في الكفــر أقبحــه　　　وجاء في وصف ذي خلف لمــا يعــد

٢١٧. أو خاصموا فجروا أو عاهدوا غدروا　　　والخائنـــين ومـــــن إن حدثوا فندوا

باب معنى النصوص التي فيها نفي الإيمان عن مرتكب بعض المعاصي

٢١٨. وحيث مـــا نفـــى الإيمـــان في أثـــر　　　عمن عصى من(١) التوحيد قد عقــدوا

٢١٩. فالمســـتحل أو المقصـــود فارقــــه　　　إيمانـــه حالـــة العصيـــان يصطعـــد

٢٢٠. أو المراد بـــه نفـــي الكمـــال وعـــن　　　تفسيرها بعض أهل العلم قد قصـــدوا

٢٢١. تكـــون أرهـــب أمـــا أن نكفــــره　　　فقد رددنـــا علـــى القـــرآن إذ نجـــد

٢٢٢. أن أثبت ا لله للجـــاني الأخـــوة والإ　　　يمان مـــا قـــال فيـــه كـــافر وعـــدو

باب التوبة وشروطها

٢٢٣. وتقبل التوبة اعلم قبل حشرجة الـــــ　　　صدور من كـــل ذنـــب تالـــه أحـــد

٢٢٤. شروطها يا أخي الإقـــلاع مـــع نـــدم　　　ولا يعـــود لـــه بـــل عنـــه يبتعـــد

٢٢٥. وإن يكـــن فيـــه حـــق الآدمـــي فتحلل　　　حـــيـــث أمكن وليعرض له القـــود

باب حكم السحر والكهانة والتنجيم والتطير والاستسقاء بالأنواء والعين

٢٢٦. والسحر حق وقوعـــاً بـــاطل عمـــلاً　　　فمنه حرز(٢) ومنـــه النفـــث والعقـــد

٢٢٧. وحكمه الكفر في نص الكتـــاب أتـــى　　　وحـــد فاعلـــه بالســـيف يختصـــد

٢٢٨. ثم الكهانة كفر والتطير والتنجـــــــ　　　ـيم والســـوء ممـــن فيـــه يعتقـــد

٢٢٩. والعين حـــق وبالـــمـــقـــدور تورثها　　　وليغتســـــــل عائــــن منها لمن يجد

باب حكم الرقي والتعاليق

٢٣٠. ثم الرقي إن تكن بالوحي دون تصـــــ　　　ـرف ولا صرف قلـــب ليـــس ينتقـــد

٢٣١. وللصحابة خلف في تعلق آيـــــــــــ　　　ـــات الكتاب وورد للنـــبي يـــرد

٢٣٢. والـــمنع أولى فـــأمـــا ما عداه فلا　　　خـــلاف في منعـــــه إذ فيه مستند

باب الخلافة ومحبة الصحابة وأهل البيت رضي الله عنهم

٢٣٣. ثم الخليفة من عبد النبي هو الـــــــــ　　　ـصديق أسعد من بـــالمصطفى ســـعدوا

٢٣٤. وبعـــده عمـــر الفـــاروق ذاك أبـــو　　　حفص له الضد والأعوان قد شـــهدوا

---

(١) في المخطوطة (فمن) وهو خطأ من الناسخ ولعله خطأ من الناسخ

(٢) في المخطوطة (خرز) بالخاء

٢٣٥. كذاك عثمـــان ذو النوريـــن ثالثـــهم ... بظلمه باء أهـــل البغـــي إذ قصـــدوا

٢٣٦. كذا علـــي أبـــو السبطين رابعـــهم ... بـــالحق معتضـــد للكفـــر مضطـــهد

٢٣٧. فـــهؤلاء بـــلا شـــك خلافتـــهم ... بمقتضـــى النـــص والإجمـــاع منعقـــد

٢٣٨. وأهل بيت النبي والصحـــب قاطبـــة ... عنهم نـــذب وحـــب القـــوم نعتقـــد

٢٣٩. والحق في فتنة بين ا لصحاب جـــرت ... هو الســـكوت وأن الكـــل مجتـــهد

٢٤٠. والنصر أن أبا السبطين كان هو المحـــ ... ـــق من رد هـــذا قولـــه فنـــد

٢٤١. تبـــاً لرافضـــه ســـحقاً لناصبـــة ... قبحاً لمارقـــة ضلـــوا ومـــا رشـــدوا

باب وجوب طاعة أولي الأمر

٢٤٢. ثم الأئمـــة في المعـــروف طاعتـــهم ... مفروضة وف بالعهد الـــذي عقـــدوا

٢٤٣. ولا يجوز خروج بالســـلاح عليهـــ ... ـم ما أقاموا على السمحاء واقتصـــدوا

٢٤٤. أما إذا أظهروا الكفـــر البـــواح فقـــا ... تلوا أئمـــة كفـــر حيثمـــا وجـــدوا

باب وجوب النصيحة في الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٢٤٥. ثم النصيحة قل فـــرض بكـــل معـــا ... نيها هي الدين فاعلم إذ هـــي العمـــد

٢٤٦. لله والرســـول والقـــرآن ثم ولا ... ة الأمر ثم عمـــوم المسلمين هـــدوا

٢٤٧. والأمر بالمعروف مع علم به ولعفـــ ... ـو خذ وأعرض عن الجـــهال يتندوا

٢٤٨. كذلك النهي عـــن نكـــر ومـــورده ... قـــول فســـخطا إذا لم تســـطعه يـــد

باب الشرع وأصول الفقه

٢٤٩. والشـــرع مـــا أذن الله العظيـــم بـــه ... مـــن الكتـــاب وآثـــار النـــبي تـــرد

٢٥٠. مما روى العـــدل محفوظـــاً ومتصـــلاً ... عن مثله صح مرفوعـــاً بـــه الســـند

٢٥١. والقول والفعل والتقرير حيـــث أتـــى ... عـــن الرســـول فللتشـــريع يعتمـــد

٢٥٢. إلا إذا جـــاء برهـــــان يخصصـــه ... بالمصطفى أو بشـــخص فيـــه ينفـــرد

٢٥٣. والأصل في الأمر فاعلم للوجوب فـــلا ... يصار للنـــدب إذ لا صـــارف يـــرد

٢٥٤. والنهي للحظـــر إذ لا نـــص يصرفـــه ... إلى الكراهـــة هـــذا الحـــق يعتقـــد

٢٥٥. ومستوى الطرفين ادع المبـــاح فـــلا ... يـــلام في فعلـــه أو تركـــه أحـــد

٢٥٦. ومـا بـه ينتفـي حكـم فمانعـه   وعكسـه سـبب يدريـه مجتـهد

٢٥٧. والشرط ما رتب الإجـزا وصحتـه   عليه أو نفـي حكـم حـين يفتقـد

٢٥٨. ونافذ وبـه اعتـد الصحيـح كمـا   نقيضـه بـاطل ليسـت لـه عمـد

٢٥٩. ثم الوسـيلة تعطـى حكـم غايتـها   فرضاً وندبـاً وحظـرا عنـه يبتعـد

٢٦٠. والرخصـة الإذن في أصـل لمعـذرة   وضدهـا عزمـة بـالأصل تنعقـد

٢٦١. والأصل أن نصوص الشـرع محكمـة   إلا إذا جاء بنقـل الأصـل مسـتند

٢٦٢. وأي نـص أتـى مثـل يعارضـه   وأمكن الجمـع فـهو الحـق يعتمـد

٢٦٣. وحيث لا ودريت الآخر النـص بـه   نسخاً لحكم الذي مـن قبلـه يـرد

٢٦٤. أولا فرجح مـتى تبـدو قرائـن تـر   جيح عليها احتوى مـتن أو السـند

٢٦٥. والمطلق احمل علـى فحـوى مقيـده   وخص ما عم بـالتخصيص إذ تجـد

٢٦٦. والحظر قـدم علـى داعـي إباحتـه   كذا على النفـي فالإثبـات معتضـد

٢٦٧. كذا الصريح على المفهوم فاقض بـه   وهكـذا فاعتـبر إن أنـت منتقـد

٢٦٨. واي فرع أتـت في الأصـل علتـه   أو كـان أولى بهـا فـالحكم يطـرد

٢٦٩. ولا تقـدم أقـاويل الرجـال علـى   نص الشريعة كالغـالين إذ جحـدوا

٢٧٠. ولا تقلـد وكـن في الحـق متبعـاً   إن ابتـاعك فللعلـم هـو الرشـد

٢٧١. إذ الأئمـة بـالتقليد مـا أذنـوا   لكن رد المورد العذب الـذي وردوا

٢٧٢. ولتسـعن بفـهوم القـوم إن لهـم   بصـائر كـم بهـا ينحـل منعقـد

٢٧٣. وأعلم الأمة الصحب الألى حضـروا   مواقع الشرع والتنزيل قـد شـهدوا

٢٧٤. أدرى الأنام بتفسير الكتـاب وأفـ   ـعال الرسـول وأقـوال لـه تـرد

٢٧٥. إجماعهم حجـة قطعـاً وخلفـهموا   لم يعـده الحـق فليعلمـه مجتـهد

٢٧٦. إردد أقاويلهم لنحـو النصـوص فمـا   يوافق النـص فـهو الحـق معتضـد

٢٧٧. ما لم تجـد فيـه نصـا قـدم الخلفـا   إذ هم بنص رسول الله قـد رشـدوا

٢٧٨. فالتـابعون بإحسـان فتابعـهم   مـن الأئمـة للحـق المبـين هـدوا

٢٧٩. كالسبعة الأنجم الزهر الذيـن يـرى   إجماعـهم مـالك كـالنص يعتمـد

٢٨٠. وابن المبارك والبصري هو الحسـن الـ   ـمرضي حقـاً وحمـادا فسموا حمـدوا

٢٨١. كذاك سفيان مع سـفيان ثم فـتى الأو   ـزاع فـاعلم ومـن أقرانهـم عـدد

٢٨٢. ثم الأئمـــة نعمـــان ومالكـــهم — والشـافعي أحمـد في ديننـا عمـــد

٢٨٣. وغيرهم من أولي الفتوى(١) الذين هـم — بصـائر بضيـاء الوحـــي تتقـــد

٢٨٤. أولئك القوم يحي القلـــب إن ذكـــروا — ويذكـــر الله إن ذكراهمـــوا تـــرد

٢٨٥. أئمة النقـــل والتفســـير ليـــس لهـــم — سوى الكتاب ونص المصطفـــى ســـند

٢٨٦. أحبـــار ملتـــه أنصـــار ســـنته — لا يعدلـــون بهـــا مـــا قالـــه أحـــد

٢٨٧. أعلامها نشـــروا أحكامـــها نصـــروا — أعداؤهـــا كســـروا نقالهـــا نقـــدوا

٢٨٨. هم الرجوم لســـراق الحديـــث كمـــا — لكل مسترق شـــهب الســـما رصـــد

٢٨٩. بـــدور تم ســـوى أن البـــدور لهـــا — غيوبـــة أبـــدا والنقـــص مطـــرد

٢٩٠. وهم مدى الدهر مـــازالت مـــآثرهم — في جدة والجلاء منـــذ مـــا وســـدوا

٢٩١. أولئـــك المـــلأ الغـــر الألى ملـــؤوا — الأقطار علماً وغير النص ما اعتقـــدوا

٢٩٢. كل لـــه قـــدم في الديـــن راســـخة — وكلـــهم في بيـــان الحـــق مجتـــهد

٢٩٣. فإن أصاب له أجـــران قـــد كمـــلا — والأجر مـــع خطئـــه والعفـــو متحـــد

٢٩٤. والحق ليـــس بفـــرد قـــط منحصـــرا — إلا الرسول هـــو المعصـــوم لا أحـــد

٢٩٥. صلى عليـــه إلـــه العـــرش فـــاطره — مســـلماً مـــا بـــأقلام جـــرى المـــدد

٢٩٦. والآل والصحـــب ثم التـــابعين لهـــم — والحمـــد لله لا يحصـــى لـــه عـــدد

---

(١) في المخطوطة (من أولي الفتوى) ولعله الصواب .

المطلب الثاني

خطبة المؤلف

النـــــص :

الحمـــد لله لا يحصـــى لـــه عـــــــدد ولا يحيـــط بـــه الأقـــلام والمـــــدد

المفردات : المدد : المداد الذي يكتب به[1]

يبدأ الناظم رحمه ا لله -منظومته- بحمد الله امتثالاً لأمر النبي ﷺ القائل (كل أمر ذي بال لا يبدأ بالحمد فهو أجذم) [2] وقد درج الأمراء والعلماء والخطباء منذ العهد النبوي على افتتاح كلامهم بالحمد لله اتباعاً للنبي ﷺ واقتداء به إذ كان يصدر كلامه وكتبه للملوك والأمراء بتسمية الله وحمده ، ولذلك سميت خطبة زياد بن أبيه التي لم يبدأ فيها بذكر الله بالبتراء ، وقد أشار الناظم رحمه الله في قصيدة له بهذا المعنى بقوله[3]

الحمـــد لله الـــذي هـــــو أهلـــــه إذ كـــل أمـــر منـــه يخلـــو اجـــذم

وقد وردت (الحمد لله) كجزء من آيات كثيرة في القرآن الكريم ، منها ما قاله الله تعـــالى عـــن نفسه كقوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [الفاتحة:٢]. ومنها ما حكاه عن أنبيائه كقول إبراهيـــم ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝ ﴾ [إبراهيم:٣٩]. ومنها ما حكاه عن أهل الجنة كقولهـــم ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝ ﴾ [الزمر:٧٤] وقوله تعالى : ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [يونس:١٠] .

وقول الناظم (لا يحصى له عدد إشارة إلى قوله تعـــالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ ﴾ [إبراهيم:٣٤]. فبقدر النعم من الله يكون الحمد من العباد، فإذا كانت نعم الله لا تحصى فيجـــب أن

---

(١) لسان العرب ج ٣ ص ٣٩٨ .

(٢) أخرجه عبد القادر الرهاوي كما في الجامع الصغير للسيوطي ، قال النووي في شرح مسلم ٤٣/١ وفي رواية : بحمـــد الله ، وفي رواية : بالحمد فهو أقطع ، وفي رواية : أجذم .

(٣) من قصيدة للشيخ حافظ الحكمي ألقاها في حفل عيد الأضحى عام ١٣٦٨هـــ وهي في السمط الحاوي ص ١٠٣-١٠٥.

يكون حمد العباد لا يحصى كذلك ومن رحمة الله وفضله علينا أنه قبل منا هاتين الكلمتين لشكر نعمه الكثيرة، فقد روى مسلم عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : [إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها][1].

وقول الناظم {ولا يحيط به الأقلام والمدد) عطف على (لا يحصى له عدد) والمعنى أن هذا الحمد يجب أن يكون كثيراً جداً حتى لا تقدر الأقلام والمداد على إحصائه وإحاطته، وفي هذا القول اقتباس من قوله تعالى ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الكهف:١٠٩]. وقوله أيضاً ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [لقمان:٢٧].

النـــص :

حمداً لربـــي كثـــيراً دائمــــاً أبداً   في السر والجهر في الدارين مستـــرد

المفردات مسترد : متتابع ، جاء في اللسان (السرد في اللغة تقدمه شيء إلى شيء تأتي به متسقاً وبعضه في أثر بعض متتابعاً)[2].

يواصل الناظم –رحمه الله– وصفه لحمد الله فيقول إنه يحمد الله حمداً كثيراً في سره وجهره حمداً متتابعاً في الدنيا والآخرة.

النـــص :

ملء السماوات والأرضين أجمعـــها   وملء ما شاء بعد الواحد الصمـــد

وهذا الحمد يكون ملء السماوات والأرض وملء ما بينهما، وقد أخذ المصنف هذا الوصف للحمد من دعاء النبي ﷺ عند رفعه من الركوع (اللهم ربنا ولك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد)[3].

---

[1] أخرجه مسلم ص ١٠٩٤ حديث رقم ٢٧٣٤ .

[2] لسان العرب مادة ج ١١ ص ٢١١

[3] أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل حديث رقم ٧٧١ ص ٣٠٥.

النـــــص :

ثم الصلاة على خير الأنـــام رســو ل الله أحمد مع صحب بــه ســعدوا

وبعد (الحمد لله) يصلي الناظم –رحمه الله– على النبي ﷺ خير الأنام وسيد ولد آدم وعلــى صحبه الذين سعدوا برؤيته واتباعه والمجاهدين تحت لوائه.

النـــــص :

وأهل بيـــت النــبي والآل قاطبـــة والتابعين الأولى للدين هم عضـــدوا

ويصلي الناظم أيضاً على أهل بيت النبي ﷺ ويعطف على الآل، وهو بهذا العطـــف يجعــل الأهل غير الآل المعطوف عليه، وكأن الناظم هنا يذهب إلى قول من قال إن أهل البيت هــم أزواج النبي ﷺ خاصة لا رجل معهم وهو قول عطاء وعكرمة وابن عباس وابن السائب ومقاتل، فقـــد ذهبوا إلى أن أهل البيت أريد به زوجات النبي وهن من أهل بيته لقوله تعالى (واذكرن ما يتلــى في بيوتكن) [١].

وقد ذهب جماعة في تفسير (أهل البيت) إلى أنه خاص في الرسول ﷺ وعلى فاطمة والحسن والحسين، وهو أبو سعيد الخدري وروى عن أنس وعائشة وأم سلمة نحو ذلك[٢].

وذهبت فرقة ثالثة في تفسير (أهل البيت) إلى أنهم أهل رسول الله ﷺ وأزواجه وهو قـــول الضحاك. قال ابن الجوزي وحكى الزجاج أنهم نساء رسول الله ﷺ والرجال الذين هم آله قـــال: واللغة تدل على أنها للنساء والرجال جميعاً لقوله (عنكم) بالميم ولو كـــانت للنســـاء لم يجــز إلا (عنكن) [٣]. قال القرطبي : (والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيـــت مـــن الأزواج وغيرهم وإنما قال ويطهركم لأن رسول الله ﷺ وعلياً وحسناً وحسيناً كان فيـــهم وإذا اجتمــع المذكر والمؤنث غلب المذكر فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت لأن الآية فيهن والمخاطبــة لمن يدل عليه سياق الكلام) [٤].

---

(١) زاد المسير ج٦ / ص٣٨١ . وتفسير القرطبي ج١٤ / ص ١٨٢.

(٢) زاد المسير ج٦ / ص ٣٨١ .

(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٤) تفسير القرطبي ج١٤ / ص ١٨٣ .

النـــــص :

والرســـــل أجمعهـــم والتابعين لهم　　　من دون أن يعدلوا عما إليــه هدوا

ويواصل الناظم -رحمه الله- صلاته على الرسل وتابعيهم الذين لم ينحرفوا عما جاءوا بـــه من التشريع ، (أما أتباع الرسل الذين حرفوا ما جاء به أنبياؤهم فهم خارجون من هذه الصلاة).

النـــــص :

أزكى صلاة مع التسليم دائمــــة　　　ما إن لهـــا أبـــــدا حد ولا أمد

فهذه صفة الصلاة التي يريدها الناظم لمن سردهم آنفا، لا أمد لها تقف عنده ولا حد تنتـــهي إليه.

النـــــص :

وبعد ذي في أصول الدين جوهـــرة　　　فريـــدة بســـنا التوحيـــد تتقـــد

بشرح كل عري الإســـلام كافلة　　　ونقد كل الذي أعــــداؤه عقدوا

الشرح: يبدأ الناظم هنا بالتعريف بمنظومته التي سماها (الجوهرة الفريدة) فيقرظها ويقول إنها جوهرة تتقد بنور التوحيد لما اشتملت عليه من الأصول الصحيحة التي ينبني عليها الديـــن هـــذه المنظومة التي تشرح كافة أصول الإسلام وتبينها بيانا شافيا وتفند كل ما قالـــه أعـــداء الإســـلام وخصومه من مقالات مخالفة وبدع مستحدثة.

النـــــص :

وما أبرئ نفســــي مـــن لوازمـــها　　　واحمد الله منــــه العـــون والرشـــد

والله أســـأل منـــه رحمـــة وهـــدى　　　فضلا ومــــــالي إلا الله مستند

الشرح : ولا ينسى الناظم -رحمه الله- أن يعترف في آخر هذه المقدمة بقصوره البشــــري فيقول إنه لا يبرئ نفسه من لوازمها[1]، ثم يدعو الله أن يرحمه ويهديه تفضلا وإحســــانا لأنـــه لا يعتمد في جميع أحواله على أحد غيره.

---

[1] لوازمها: الأشياء الملازمة لها، ولعله أراد بها الخطأ والنسيان الملازم للنفس البشرية. انظر لسان العرب ج١٢ ص٥٤٢

المطلب الثالث

(مقدمة في براءة المتبعين من جراءة المبدعين[١] وافتراءات المبتدعين[٢]):

النـــــص :

إني براء من الأهواء ومـــا ولدت ووالديها الحيارى ســـاء مـــا ولدوا

الشرح : في هذا البيت يتبرأ الناظم –رحمه الله– من الأهواء جميعها دون تمييز ولم يكـــتف الناظم بالبراءة من الأهواء حتى أتبعها البراءة مما ولدته هذه الأهواء من أهواء أخرى، فمن المعلـــوم أن الباطل لا يلد حقاً وإنما يلد باطلاً مثله، ثم تبرأ الناظم من أولئك الذين ابتدعوا هـــذه الأهـــواء فقال: (ووالديها) وختم البيت بكلمة تقريع بليغة هي قوله : (ساء ما ولدوا) وقد ورد مثل هـــذا التقريع في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى : ﴿ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة:٦٦] وقوله تعالى: ﴿ سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل:٢٥] وقولـــه تعـــالى : ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل:٥٩] وغيرها كثير.

النـــــص :

والله لست بجـــهمي أخـــا جـــدل يقول في الله قولاً غـــير مـــا يـــرد

الشرح : وفي هذا البيت يقسم الناظم –رحمه الله– بالله العظيم أنه ليس (بجهمي) أي أنـــه ليس ممن يقولون بمقالة جهم بن صفوان[٣]. وقد ظهر جهم في زمان صغـــار التـــابعين بمقالاتـــه

---

[١] المبدّعين: مفردها مبدّع، وهو الذي ينسب البدعة لغيره، انظر لسان العرب ج٨ص٦.

[٢] المبتدعين: مفردها مبتدع وهو الذي يأتي بشيء جديد في الدين بعد اكتماله. المرجع السابق. ج٨ص٦.

[٣] جهم هو أبو محرز جهم بن صفوان الراسبي مولاهم السمرقندي قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء رأس الضلالة ووصفـــه في ميزان الإعتدال بقوله الضال المبتدع رأس الجهمية، لجهم بن صفوان ترجمة في: سير أعلام النبلاء للذهـــبي،ج٦ص٢٦ والخطط المقرزية للمقريزي ج٢ص٣٤٩ وميزان الاعتدال للذهبي ج١ص٤٢٦ ولسان المـــيزان ج٢ص١٧٩، والأعـــلام للزركلي ج٢ص١٤١.

الفاسدة فأضل كثيرا، وكاتب الحارث بن سريج التميمي[١] أيام خروجه على نصر بن سيار[٢] في خرسان آخر أيام بني أمية، فقبض عليه سلم بن أحور وقتله في ١٢٨هـ على شط نهر بلخ.

أما مقالات جهم الضالة فتتلخص في أنه يرى :[٣]

١- أن الجنة والنار تفنيان كما تفنى سائر الأشياء.

٢- إضافة الفعل إلى الله ونفيه عن العبد.

٣- أن علم الله حادث ، وأنه لا يعلم ما يكون حتى يكون.

٤- أن الله تعالى لا يوصف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ فلا يجوز في حقه أنه عالم أو حي أو مريد أو موجود لأن هذه الصفات تطلق على العبيد وقال إنما يقال في وصفه : إنه قادر موجد فاعل خالق محي مميت ، لأن هذه الصفات لا تطلق على العبيد.

٥- أن كلام الله -أي القرآن- مخلوق ولكن لا يجوز أن يسمى متكلما بكلامه.

٦- أن الإيمان لا يتبعض أي لا ينقسم إلى عقد وقول وعمل، ولا يتفاضل أهله فيه، فإيمان الأنبياء وإيمان الأمة واحد إذ المعارف لا تتفاضل.

وقد كان لمقالات جهم الضالة أثرها البالغ في إضعاف العقيدة الإسلامية في زمانه وبعد زمانه خاصة مقالته في خلق القرآن التي تبناها الخليفة المأمون أحد معتزلة خلفاء بني العباس وامتحن بها العلماء، وأزهق بسببها الأرواح وكادت الردة أن تعم لولا أن قيض الله أحد العلماء الأفذاذ وهو الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (١٦٤-٢٤١هـ) فوقف في وجه هذه الضلالة وتصدى لها بكل قوة وتحمل بسببها المصاعب حتى كتب الله الغلبة لأهل الحق على أعدائه من المعتزلة ، وقد

---

(١) الحارث بن سريج التميمي من أمراء الدولة الأموية خرج أولاً ولحق بالترك فما لأهم على المسلمين ثم تاب وعاد الى المسلمين ثم خرج على الدولة بخراسان في ولاية نصر بن سيار فقتل ونصب رأسه على باب مرو سنة ١٢٨هـ أنظر تاريخ الطبري ج٤ص٢٩٢ والبداية والنهاية ج١٠ص٢٦.

(٢) آخر أمراء خراسان لبني أمية، كان محارباً شجاعاً وشاعراً مجيداً، توفي سنة ١٣١هـ عن خمس وثمانين سنة. أنظر البداية والنهاية ج١٠ ص ٣٧ .

(٣) أنظر التبصير في الدين للإسفراييني ص ٦٣-٦٤ ، والملل والنحل للشهرستاني ج١ ص ٨٦-٨٨ انظر أيضاً الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٩٩-٢٠٠ والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج٥ / ص ٧٣ والحور العين لأبي سعيد نشوان الحميري ص ٢٢٦.

كان الإمام أحمد -رحمه الله ومن شايعه من العلماء- هو السبب في دحر هذه البدعة وخمودها بعد ذلك(١).

وقد تصدى للرد على الجهمية وتفنيد آرائهم كبار علماء الأمة وأفردوا لذلك المصنفات الجليلة، وممن ألف في الرد عليهم :

الإمام أحمد بن حنبل في كتابه (الرد على الجهمية والزنادقة).

والإمام الدارمي في كتابه (الرد على الجهمية).

والإمام ابن منده في كتابه (الرد على الجهمية).

وشيخ الإسلام في كتابه (بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية).

والإمام ابن قيم الجوزية في كتابه (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة).

وللعلماء أيضاً ردود كثيرة على الجهمية منثورة في مواضع متفرقة من مصنفاتهم ولا تزال الدراسات تترى في إظهار بطلان هذه العقيدة ا لفاسدة حتى زماننا الحاضر، لأن لأولئك ورثة لا يزالون ينشرون أفكارهم، ومنها كتاب (الحق الدامغ) للمعاصر أحمد الخليلي فقد خصصه لإنكار رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة والدعوى بخلق القرآن وتخليد العصاة في النار.

فقول الناظم -رحمه الله- (يقول في الله قولاً غير ما يرد) يعني به ما ذكرناه من أقوال جهم بن صفوان في صفات الله عز وجل وكلامه في أفعال العباد ومعنى الإيمان وغيرها، فأقواله كما يتضح لكل ذي بصيرة لم ترد في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله ﷺ، بل في الكتاب والسنة ما يدحضها ويرد عليها ويبطلها.

---

(١) انظر تفاصيل محنة خلق القرآن في فصول من كتاب مناقب الإمام أحمد بن حنبل لأبي الفرج ابن الجوزي.

النـــــص :

يكذبــون بأسمـــــاء الإلــــه وأو صاف له بل لذات الله قد جحـــدوا

الشرح :

الكلام هنا متصل بالبيت السابق الذي يتحدث عن الجهمية، وقوله يكذبون بأسماء الإلـــه وأوصاف له .. يعني قولهم الذي بيناه آنفاً في أسماء الله وصفاته وهو أن الله لا يوصف بما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله ﷺ في سنته، فلا يجوز أن يقال في حقه أنه حي، أو عـــالم ، أو مريد، أو موجود، بل يقال في وصفه أنه قادر ، موجد فاعل، خالق، محي ومميت، ومقالة الجهميـــة واضحة البطلان لأن الله تعالى وصف نفسه في كتابه العزيز بما أنكروه فقال في صفة العلـــم ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ [سبأ:٣] وقال ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام:٧٣]. وقال تعـــالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:٣٨]. وقال في صفة الحياة : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]. وقـــال : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨] . وقـــال: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر:٦٥]. وقد أنكرت الجهمية هذه الصفات وأنكرت ما عليه نص التنـــزيل.

وقول الناظم –رحمه الله– (بل لذات الله قد جحدوا) يعني هذا لازم مذهبهم ، لا أنهم قالوا به صراحة، فالجهمية حين بدأت في نفي الصفات واحدة بعد الأخرى لم يبق لديها هنـــاك مـــن يوصف، فنفيهم للصفات يلزم منه نفي الموصوف.

النــــــص :

كلا ولست لـــربي مـــن مشـــبهة إذ مـــن يشـــبهه معبـــوده جســـد

الشرح :

في هذا البيت يتبرأ الناظـــم –رحمه الله– مـــن أن يـــكون مـــن المشبهة الذين يشـــبهون الله بخلقه، وذلك لأن العقيدة السليمة التي جاء بها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هـــي تنـــزيـــه الله

تعالى عن المشابهة والمماثلة بالخلق، والأصل في ذلك قوله تعالى في محكم التنزيل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] فهذه الآية تنفي نفياً باتاً أي نوع من المماثلة أو المشابهة بين الخالق والمخلوق. وتثبت في الوقت نفسه صفات الله تعالى التي أمرنا بتصديقها والإيمان بها، ففي الآية نفي وإثبات نفي للمثلية وإثبات للصفات من غير تمثيل ولا تكييف وعلى هذا الاعتقاد كان السلف الصالح رضي الله عنهم .

والمشبهة الذين يعنيهم الناظم في هذا البيت هم جملة من يشبه الله بخلقه، وهم طوائف متعددة ذكرها الأئمة وفصلوا القول فيها ، فأول من ظهر من المشبهة في الإسلام هم السبئية[١].

ومن المشبهة : فرقة الكرامية[٢] وفي الفرق بين الفرق للبغدادي (أن ابن كرام دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده وزعم أنه جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي منها يلاقي عرشه).

وقد انقسمت الكرامية إلى اثنتي عشر فرقة ذكرها العلماء في مصنفاتهم وذكروا منها المغيرية[٣]. فهذه أبرز طوائف المشبهة التي ذكرها الأئمة والمؤرخون ، والكلام عنها مبسوط في مدوناتهم[٤].

النص :

ولا بمعتزلي أو أخا جبر ... في السيئات على الأقدار ينتقد

الشرح :

في هذا البيت يتبرأ الناظم -رحمه الله- من طائفتين هما المعتزلة وأهل الجبر وقد أوردهما الناظم هنا معاً في سياق واحد لأنهما ضدان فكأنه يقول لا أنا مع هذا ولا ذاك:

---

(١) أصحاب عبد الله بن سبا اليهودي الذي ظهر أيام الفتنة بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وقالوا بألوهية علي بن أبي طالب فحرقهم.أنظر الفرق بين الفرق ص٢٢٥ والفصل في الملل والنحل ج١ص١٦٤.

(٢) أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام مؤسس الفرقة.أنظر الفرق بين الفرق ص٢٢٥ والملل والنحل ج١ص١٢٤.

(٣) المغيرية أتباع المغير بن سعيد العجلي الذي كان يقول إن للمعبود أعضاء وأن أعضاءه على صورة حروف الهجاء.أنظر الفرق بين الفرق ص٢٢٦.

(٤) أنظر التبصير في الدين ص٦٠، ٧٣ والملل والنحل ج١ ص ١٠٨ والفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٣١.

ومن أراء المعتزلة ما يأتي :

١- سموا أنفسهم أهل التوحيد وأهل العدل ولهم كتب منها كتاب عبد الجبار في الأصول الخمسة وعرفوا التوحيد بأنه نفي الصفات كلها عن الله عز وجل وإثبات الأسماء مجردة من المعاني[1].

٢- العبد يخلق فعله خيراً وشراً.

٣- الفاسق من أمة الإسلام في منزلة بين المنزلتين خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر يعامل في الدنيا معاملة المسلم وفي الآخرة مخلد في النار إنفاذاً للوعيد وهو أن من ارتكب معصية على وعيد بالنار يجب على الله إدخاله النار وإذا دخلها لا يخرج منها لأنهم ينكرون أحاديث الشفاعة في إخراج العصاة من النار.

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعناه الخروج على أئمة الجور.

هذه اتفاقات فرق المعتزلة وأما اختلافاتهم يستحيل سردها في هذا المقام لطولها وتعقيدها، وقد ألف الأئمة في فضائح المعتزلة وتبيان فساد عقائدهم مصنفات جليلة كشفت عن زيغهم وانحرافهم. فمن أراد التوسع في معرفة عقائد المعتزلة فعليه بتلك الكتب القيمة، وأما أهل الجبر الذين تبرأ منهم الناظم مع المعتزلة فيسمون المجبرة وهم الذين يقولون بإضافة الفعل الإنساني إلى الله ونفيه عن العبد. والجبرية صنفان:

١- الجبرية الخالصة التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً.

٢- الجبرية المتوسطة التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً[2]

---

[1] فأما المعتزلة أو القدرية فهي فرقة كبيرة ظهرت على يد واصل بن عطاء وعمر بن عبيد أيام فتنة الأزارقة و لم تزل هذه الفرقة تنمو وتنتشر بين كبار رجال الدولة من قواد ووزراء حتى استطاعت أخيراً أن تستميل إليها أمير المؤمنين آنذاك وهو (المأمون العباسي) الذي جعل من آرائها ديناً رسمياً للدولة حمل الناس إليه بالقوة وامتحنهم فيه قهراً. يمكن مراجعة فرقة المعتزلة في : الملل والنحل ج١ ص ٥٦،٩٦ الفرق بين الفرق ص ٩٣-١٨٩ ، التبصير في الدين ص ٢٣٥-٣٥١ . كما يراجع الكتاب المخصص لذلك وهو طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار، وكتاب المنية والأمل شرح الملل والنحل لابن المرتضى اليماني ص ١٢٢-٢١٥.

[2] أنظر الملل والنحل ج١ص٩٧.

وقول الناظم : بالسيئات على الأقدار ينتقد يعني أن الجبري يعمل السيئات ويدعي أنه مجبور على فعلها ويحتج بالقدر على فعله لها (١).

النـــــص :

كلا ولست بشـــيعي أخـا دخـــل ... في قلبه لصحاب المصطفـــى حقـد

الشرح :

يواصل الناظم – رحمه الله- تبرأه من فرق الضلال فيذكر الشيعة ويتبرأ منهم.

الشيعة في اللغة : الأنصار وقال الراغب الأصفهاني : (الشياع : الانتشار والتقوية يقـال شـاع الخبر أي كثر وقوى وشاع القوم انتشروا وكثروا، وشيعت النار بالحطب قويتها، والشـيعة مـن يتقوى بهم الإنسان وينتشرون عنه، ومنه قيل للشجاع مشيع، ويقال شيعة وشيع وأشياع قـال الله تعالى: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [الصافات:٨٣] و ﴿ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص:١٥].

وقد أطلق اسم الشيعة أولاً على أنصار الإمام علي رضي الله عنه الذين وقفـوا معـه في حروبه المتتالية مع أصحاب الجمل وأهل الشام والمحكّمة، فكان هذا الاسم ذا مدلول سياسي بحت لا يعني أكثر من معناه اللغوي ثم لم يلبث أن اتخذ مدلولاً دينياً وعقدياً بسـبب الأحـداث الـتي أعقبت مقتل الإمام علي ومقتل ابنه الحسين من بعده، فبعد كثير من التآمر واستغلال أجواء الفتنـة ومشاعر المسلمين الذين فجعوا في مقتل أبناء الرسول ﷺ نجح أعداء المسلمين من اليهود والمندسين في صفوف الأمة في تحويل فكرة الشيعة من معناها المعروف إلى عقيدة دينية لها أصولها وفروعـها وفلسفتها المتكاملة.

والشيعة ويسمون الرافضة وقد بين الإمام أحمد أن الرافضة الذين يسبون ويشتمون أبا بكر وعمر بل ويكفرون الصحابة فمن كان كذلك فهو رافضـي وإن سمـى نفسـه شـيعياً وهـي فرقة كبيرة تنقسم إلى عشرات الفرق وقد انقرضت كثير من الفـرق و لم يبـق منـها الآن إلا

---

(١) ومن الفرق المجبرة الضرارية أصحاب ضرار بن عمرو ، والجهمية أصحاب الجهم بن صفوان والنجارية أصحاب الحسين بن محمد النجار انظر الملل والنحل ج١ / ٩٧ ، المنية والأمل ص ٢٣ .

الإمامية[1] الإثنى عشرية والإسماعيلية[2] والزيدية[3] وبعض الغلاة المتفرقون في العالم، وقد انبرى العلماء ومؤرخوا الفرق لتحديد فرق الشيعة وبيان بطلان معتقداتها، فصنفوا في ذلك الكتب الكثيرة.

وأقرب الشيعة إلى أهل السنة هم الزيدية[4] الذين يقرون بإمامة أبي بكر وعمر ويقولون بجواز إمامة المفضول على الفاضل، وقد اتفق الشيعة الرافضة على:

١- قولهم بأفضلية علي بن أبي طالب على جميع الصحابة.

٢- قولهم بعصمة الأئمة وأن العصمة تنتقل من إمام إلى إمام بالتوارث.

٣- بغضهم للصحابة رضي الله عنهم ومنهم أبو بكر وعمر وعثمان وأبو هريرة وأم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها... ومن فرق الشيعة من يكفر الصحابة[5] وهم الرافضة.

النص :

كلا ولا ناصبي ضد ذلك بل حب الصحابة ثم الآل نعتقد

---

[1] الإمامية الاثني عشرية: من أكبر طوائف الشيعة سميت بذلك لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من نسبه الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، من أهم مقالاتهم أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه من بعده، فخالفه الصحابة فكفروا بذلك، وأن الإمامة ركن من أركان الإسلام وهم يرون عصمة أئمتهم، والقول بالتناسخ والرجعة الى غير ذلك من الأباطيل.

[2] الاسماعيلية ويقال لهم الباطنية والقرامطة وغير ذلك، وهي من فرق الكفر لقولها بألوهية علي بن أبي طالب، وهم يزعمون أن الإمامة صارت من جعفر إلى ابنه إسماعيل ويدعون أن دور الإمامة انتهى إليه لأنه سابع واحتجوا بأن السموات سبع والأرضين سبع وأيام الأسبوع سبعة فدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة أنظر التبصير في الدين ص٣٨، وتلبيس إبليس ص ١٢٥.

[3] من فرق المسلمين وهم المنتسبون لزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، من عقائدهم أنهم يفضلون علياً ويقدمونه في الخلافة ثم أبو بكر ثم عمر ثم يسكتون عن عثمان ولا يشتمون الشيخين ولا عائشة ولا سائر العشرة ولكنهم يطعنون على معاوية. أنظر: الفرق بين الفرق ص١٦ ومعارج القبول ج٣ص١١٨٠.

[4] أنظر دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين للدكتور أحمد محمد جلي ص٢٤٨.

[5] انظر مقالات (الإسلاميين) للأشعري ج١ ص٦٥-١٦٦ (الملل والنحل) للشهرستاني ج١ص١٦٩ (الفرق بين الفرق) للبغدادي ص٢٢-٥٣ (التبصير في الدين) للأسفراييني ص ١٦-٢٦ (التحفة الأثنى عشرية) للدهلوي ج٣-٥٤. وكذلك مصنفات الشيخ إحسان إلا هي ظهير (الشيعة والتشيع ، الشيعة وأهل البيت ، الشيعة والقرآن الكريم.

الشرح :

في هذا البيت ينفي الناظم –رحمه الله تعالى- كونه ناصبياً ويقول بعد كلمة ناصبي (ضد ذلك) [١] يعني ضد ما سبق ذكره في البيت السابق من أنه ليس بشيعي لأن النواصب ضد الشيعة في الاعتقاد هؤلاء يحبون علياً رضي الله عنه لدرجة الغلو والخروج عن حد الاعتدال وأولئك يتدينون ببغضه ولقد عانى علي رضي الله عنه في حياته من كلا الفريقين إذ ألهته الشيعة وكفره الخوارج بل وقتلوه رضي الله عنه.

ومن الطبيعي أن ينفي الناظم وهو من أهل السنة والجماعة كونه ناصبياً لأنه لا يجوز لمسلم أن يناصب أحداً من أصحاب الرسول ﷺ العداء.

وقد نهى النبي ﷺ عن بغض الصحابة رضي الله عنهم فقال فيما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه : [لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه] [٢].

وإذا كان التحذير ثابتاً في النهي عن سب الصحابة جميعاً فعلي رضي الله عنه من أولى الناس أن يحذر شتمه وعداؤه لقرابته من رسول الله ﷺ إذ هو ابن عمه وصهره ولسابقته في الإسلام وجهاده وبلائه الذي لا يعرف له مثيلاً في أتباع الأنبياء السابقين.

وفي اعتقاد أهل السنة والجماعة أن علياً هو رابع الصحابة فضلاً وهو رابع الخلفاء الراشدين ومن أنكر إمامته وعاداها فهو أحمق فقد روى عن الإمام أحمد أنه قال: (من لم يثبت الإمامة لعلي فهو أضل من حمار أهله) [٣]. ففي هذا الوصف الذي قاله الإمام أحمد يدخل جميع الناصبة من خوارج وغيرهم.

وقول الناظم – رحمه الله – بل حب الصحابة ثم الآل نعتقد، يعني أن أهل السنة والجماعة يحبون الصحابة وآل البيت معاً، فلا هم شيعة يبغضون الصحابة ولا هم ناصبة يبغضون آل البيت.

---

(١) النواصب ضد الشيعة يدينون ببغض الإمام علي رضي الله عنه ، وهم الخوارج ومن شايعهم من الفرق الأخرى. أنظر الملل والنحل ج١ص١٣١.

(٢) البخاري في فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ (لو كنت متخذا خليلاً ...) ج٣ ص ١٣٤٣ ح ٣٤٧٠ ومسلم في فضائل الصحابة ، باب تحريم سب ا لصحابة ص ١٠٢٦ ح٢٥٤٠ .

(٣) مناقب الإمام أحمد ص ٢١٣.

وهذه هي العقيدة التي ينبغي للمسلم أن يعتقدها.

النـــــص :

ومـــا أرســـطو ولا الطوســـي أئمتنـــا ولاابن سبعين ذاك الكـــاذب الفنـــد

المفردات الفند — الخطأ في الرأي والقول[١]

الشرح :

في هذا البيت يواصل الناظم —رحمه الله تعالى- تبرئته من أهل الأهواء فيذكر أرســطو[٢] أحد مشاهير فلاسفة الإغريق المكثرين من التصنيف والمتعمقين في شتى ضروب المعرفة من منطــق وطبيعة وسياسة وغيرها، وليس أرسطو بأولى بالذكر من غيره من الفلاسفة ولكن الناظم —رحمه الله- خصه بالذكر هنا لأنه أكثر الفلاسفة تأثيراً على أهل الأهواء من متكلمي المسلمين الذين فتنوا بمنطقه وعظموه كثيراً بينما لا يعدو أن يكون المنطق علم (لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد) كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٣] ولم يقف تأثير أرسطو على الفرق الكلامية في الإسلام علــى المنطق وحده بل تعداه إلى ما هو أبعد وأخطر وهو القول بنفي الصفات والواقع أن تأثير أرســطو كان وبالاً على الأمة الإسلامية إذ دفع أهل الأهواء على تقديم العقل على النقل وجرأهم بذلــك على نقد نصوص الشريعة بدعوى معارضتها للعقل ثم يتبرأ الناظم —رحمه الله- من الطوسي بقولـه (ولا الطوسي) ومن ابن سبعين بقوله (ولا ابن سبعين).

ومما ذكرناه عن أرسطو وتأثيره على الأمة الإسلامية يظهر لنا سبب اختيار الناظم —رحمه الله- لــــه دون غــــيره مـــن الفلاســـــفة ليتـــــبرأ منــــه.

---

(١) أنظر لسان العرب ج٣ ص٣٣٨.

(٢) قال ابن خلدون في مقدمته أرسطو المقدوني من أهل مقدونية من بلاد الروم من تلاميذ أفلاطون وهو معلـــم الإســكندر ويسمونه المعلم الأول على الإطلاق (يعنون معلم صناعة المنطق) إذ لم تكن قبله مهذبة وهــو أول مــن رتــب قانونهــا واستوفى مسائلها. المقدمة ص ٧٠٩.

(٣) الرد على المنطقيين ص ٣.

وقول الناظم –رحمه الله– (ولا الطوسي)[1] .

وأما قول الناظم –رحمه الله– (ولا ابن سبعين)[2] وقول الناظم (ذاك الكاذب الفند) إشارة إلى ما حفظ عنه من قوله عن النبي ﷺ (لقد تحجر ابن آمنة واسعاً بقوله لا نبي بعدي) [4] وقد نقل ابن عساكر هذه المقولة في كتابه فوات الوفيات عن الإمام شمس الدين الذهبي (فإن كان ابن سبعين قال هذا فقد خرج به من الإسلام) مع أن هذا الكلام هو أخف وأهون من قوله في رب العالمين إنه حقيقة الموجودات تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.[5]

وقول الناظم (ذاك الكاذب الفند) أي الكاذب الضعيف العقل المخطئ[6] في رأيه وقوله حقيقة لا جدال فيها ومن أكذب ممن يكذب النبي ﷺ في قوله (لا نبي بعدي) ويكذب الله تعالى في قوله : (خاتم النبيين).الأحزاب آية ٤٠

النص :

ولا ابن سيناء وفارابيه قدوتنا ولا الذي لفصوص الشر يستند

---

[1] هو محمد بن محمد بن الحسين الطوسي الملقب بنصير الدين ويقال له نصير الكفر. المولود سنة ٥٩٧هـ المتوفي سنة ٦٧٢هـ منجم وحكيم ورياضي كان مكينا عند هولاكو التتري ودخل معه بغداد عند غزوها من كتبه قواعد العقائد وزبدة الإدراك في هيئة الأفلاك وتحرير الإقليدس في أصول الهندسة والحساب. قال عنه ابن كثير في البداية والنهاية: (وأصل اشتغاله على المعين سالم بن بدار بن علي المصري المعتزلي المتشيع فنزع فيه عروق كثيرة حتى أفسد اعتقاده. انظر البداية والنهاية ج١٣ ص٢٦٧/٢٦٨.

[2] هو أبو محمد بن سبعين المرسي الأندلسي المولود ٤١٣ المتوفي ٦٦٩ وابن سبعين صوفي مشهور له مؤلفات مخطوطة منها (بدأ العارف ، الإحاطة ، رسالة العهد) وغيرها . انظر فوات الوفيات لابن شاكر ج٢ ص ٢٥٤ ومقدمة كتاب رسائل ابن سبعين لعبد الرحمن بدوي.

[4] الإمام البخاري باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ج١ص١٦٨ج٤٢٧.

[5] أنظر وفات الوفيات لابن شاكر ج٢ص٢٥٤.

[6] انظر ترجمته في عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ص ٤٣٧ وسير أعلام النبلاء ج١٧ ص ٥٣١ وتاريخ الحكماء للشهرزوري ص ٣٦٧ مرآة الجنان ج٣ ص ٤٧-٥١.

الشرح :

لا يزال الناظم –رحمه الله- يتبرأ من أهل الزيغ والضلال فيقول إن ابن سيناء [1] ليس قدوة له ولابن سيناء مقالات خالف فيها صريح الشريعة كفره بها الفلاسفة والفقهاء كالغزالي في المنقذ من الضلال وابن تيمية في عدد من مصنفاته خاصة درء تعارض العقل والنقل، وأبرز ما يقوله ابن سيناء مما يخالف به عقيدة الأمة هو إنكاره للعذاب الجسدي يوم القيامة وزعمه أن ما ورد من النصوص في ذلك جاء على قدر عقول الناس لعدم معرفتهم بالعذاب المعنوي . وقد ألف في ذلك رسالته باسم الأضحوية وهي رسالة تكشف عن عقيدته الباطنية التي تبدل صريح النصوص بتأويلات بعيدة يأباها العقل والشرع[2] .

وقول الناظم وفارابيه يعني به أبي نصر الفارابي [3] ويؤخذ على الفارابي ما يؤخذ على غيره من الفلاسفة الذين مجدوا فلسفة ومنطق اليونان وأدخلوها في علوم المسلمين مما أثر على عقائدهم وأدخل الشقاق والجدال بينهم [4] وأما قول الناظم –رحمه الله- (ولا الذي لفصوص الشر يستند) فيعني به ابن عربي وكتابه فصوص الحكم [5] ومن أشهر مقالات ابن عربي التي تخرجه من الملة بإجماع الفقهاء هي :

١- قوله بوحدة الوجود وهي فكرة تذهب إلى أن الله عين الكائنات.

---

(1) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سيناء الطبيب والفيلسوف المعروف المولود ٣٧٠ المتوفي ٤٢٨هـ . ينتمي إلى طائفة الإسماعيلية من الشيعة وهي إحدى طوائف فرق الباطنية الغلاة وقد اشتهر ابن سيناء بالطب والمنطق والفلسفة وصنف فيها نحواً من مائتي كتاب أشهرها القانون ، الشفا ، الإشارات ، التنبيهات . انظر ميزان الاعتدال ج١ ص ٥٣٩ سير أعلام النبلاء ج١٥ ص ٤١٦-٤١٨ وعيون الأنباء ص ٦٠٣-٦٠٩.

(2) انظر ميزان الاعتدال ج١ ص ٥٣٩.

(3) هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ الفارابي أحد أذكياء الدنيا وأكبر الفلاسفة المنتسبين للإسلام عاش في بلاط سيف الدولة الحمداني وتوفي عنده سنة ٣٣٩هـ عن ثمانين سنة وصلى عليه بنفسه. والفارابي هو أكبر ناقل لفلسفة أرسطو في الإسلام حتى أنه لقب بذلك (بالمعلم الثاني) يعني الثاني بعد أرسطو معلم اليونان الأول وقد روى عنه أنه سئل أأنت أعلم أم أرسطو فقال: (لو أدركته لكنت أكبر تلامذته) انظر سير أعلام النبلاء ج١٥ ص ٤١٨.

(4) انظر عيون الأنباء ص ٤٣٨

(5) هو عبد الله محمد بن علي الطائي الملقب بمحي الدين المعروف عند أتباعه بالشيخ الأكبر المولود ٥٦٠ المتوفي ٦٣٨هـ وهو أحد كبار المتصوفة وأصحاب المقالات الضالة من كتبه الفتوحات المكية وفصوص الحكم والوصايا وله ديوان شعر انظر وفيات الوفيات ج٢ ص ٢٤٥ وميزان الاعتدال ج٣ ص ١٠٨.

٢- قوله بربوبية فرعون .

٣- قوله أن الولاية أفضل من النبوة وأن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء.

٤- قوله بقدم العالم.

هذه أبرز مقالات ابن عربي وضلالاته وقد تصدى لها علماء الأمة فزيفوها وأبدوا عوارها ومن أكابر من تصدوا لابن عربي شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في مواضع متعددة من مصنفاته كما أفرد للرد على عقيدته رسالة خاصة باسم حقيقة مذهب الاتحادين [1] وقد تصدى لكفريات ابن عربي أيضا الإمام البقاعي[2] فأفرد كتابا بذلك وسماه تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي أما مقالات الفقهاء المنثورة في الكتب فلا سبيل لإحصائها لكثرتها وكذلك فعل المقبلي [3] في العلم الشامخ[4].

النص :

مؤسس الزيغ والألحاد حيث يرى   كل الخلائق بالباري قد اتحدوا

الشرح :

يواصل الناظم -رحمه الله- كلامه عن ابن عربي فيصفه بمؤسس الزيغ والإلحاد وقد صدق فيما قال لما ذكرناه سابقاً من أقوال العلماء فيه وقول الناظم رحمه الله حيث يرى كل الخلائق بالباري قد اتحدوا هو شرح مبسط لفكرة وحدة الوجود وقد لخص شيخ الإسلام ابن تيمية مذهب الإتحادية بما يشبه قول الناظم -رحمه الله- (فقال حقيقة قول هؤلاء أن وجود الكائنات هو

---

(1) وهي مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية

(2) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط الخرباوي البقاعي (٨٠٩ - ٨٨٥هـ) محدث ومورخ ومفسر، من كتبه: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، أنظر الضوء اللامع للسخاويج١ص١٠١ وشذرات الذهب ج٧ص٣٣٩.

(3) هو صالح بن المهدي بن علي بن عبد الله المقبلي اليمني الزيدي (١٠٤٠-١١٠٨هـ) من علماء الحديث والتفسير والفقه، من كتبه: العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ وحاشية علي الكشاف أنظر البدر الطالع للشوكاني ج١ص٢٨٨ ومعجم المولفين لكحالة ج٥ص١٤.

(4) انظر العلم الشامخ ص ٥٧٧-٦٠٢ انظر تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي ص ١٦٧ وانظر فتاوي ابن خلدون في العلم الشامخ ص ٢٩٢-٢٩٣

عين وجود الله تعالى ليس وجودها غيره ولا شيء سواه البته) [1].

النـــــــص :

معبـــوده كل شـــيء في الوجود بدا   الكلب والقرد والخنـــزيـــر والأسد

الشرح :

يقول الناظم –رحمه الله– إذا كان ابن عربي يرى الموجودات هي عين الله فمعبوده إذن كل الموجودات فالله هو كل شيء في الكون : هو الحيوان والجماد والنبات فالكلب والخنـــزير الـــتي هي من أخس الأشياء إنما هي عين الله عنده (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا).

ولا شك أن أهل وحدة الوجود بهذه المقالة التي لم يفرقوا فيها بين الخالق والمخلـــوق قـــد تناهوا في الكفر، ولذلك يرى علماء أهل السنة أن جميع ملل الكفر من يهود ونصارى وغـــيرهم أفضل حالا من أهل الإتحاد إذ لم يبلغوا في الكفر ما بلغ هؤلاء وفي ذلك يقول الإمام ابـــن تيميـــة (الإتحاد العام هو قول هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون أنه عين وجود ا لكائنات ، وهـــؤلاء أكفـــر من اليهود والنصارى من وجهين):

الأولى : من جهة أن أولئك قالوا إن العبد يتحد بربه الذي قربه واصطفـــاه بعـــد أن لم يكونـــا متحدين ، وهؤلاء يقولون مازال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره.

الثاني : من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح، وهؤلاء جعلـــوا ذلـــك ســـاريا في الكلاب والخنازير والقذر والأوساخ، وإذا كان الله تعالى قـــال: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:١٧] . فكيف بمن قال إن الله هو الكفار والمنافقون والصبيان والمجـــانين والنحاس والأنتان وكل شيء؟[2].

النـــــــص :

ولا الطرايق والأهواء والبدع الـــــ   ـــضلال ممـــن على الوحيين ينتقد

الشرح :

يتبرأ الناظم –رحمه الله– من بين من تبرأ منهم من أهل الطرايق والأهواء والبدع وهو يعـــني

---

[1] مجموعة الرسائل والمسائل ج٤ ص٦

[2] مجموعة الرسائل والمسائل ج٤ ص٣٠.

بالطرايق هذه الطرق الصوفية التي انتشرت في أرجاء البلاد الإسلامية مثل القادرية[١] والتيجانية[٢] وغيرها مما لم ينزل الله به سلطانا وهي في مجملها طرق شيطانية زادت المسلمين فرقة وأغرت بينهم العداوة والبغضاء لما تدعيه كل طريقة من فضائل تروج لها مع انتقاص قدر الطرق الأخرى.

وأما قول الناظم -رحمه الله- (ممن على الوحيين ينتقد) فيعني به ان هذه الطرق والطوائف تنتقد كلا الوحيين الكتاب والسنة إذ ما من طريقة ولا طائفة من هذه الطوائف إلا ولها مقالة تعارض ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ونستطيع تلخيص معارضة هذه الطوائف والطرق لدين الله في أمرين :

الأول : أنها شرعت أورادا وأذكارا بأعداد وكيفية لم يأذن بها الله ولا رسوله وادعت هذه الطوائف أن لهذه الأذكار فضائل ينالها الذاكرون وهذا أمر مفترى لأن أعداد الذكر وفضائله أمر توقيفي لا يحق لأحد أن يتكلم فيه إلا نبي يبلغ عن ربه فما يذكره أصحاب هذه الطوائف كله كذب على الله ورسوله وقد أرادوا بهذه الأذكار والدعوات الترويج لأنفسهم علوا في الأرض وفسادا لأكل أموال الناس بالباطل ولإبعاد الناس عن أذكار القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة المنصوص على بركتها وفضلها.

الثاني : هو الكفريات التي تنشرها بعض هذه الطرق والتي يخفى أمرها على البسطاء والعامة من أتباعها ومن هذه الكفريات ما تدعيه الطريقة التيجانية مثلا وهي إحدى الطرق التي ظهرت في المغرب الإسلامي من أن (صلاة الفاتح) وهي صيغة صلاتهم التي يصلون بها على النبي ﷺ تعدل القرآن الكريم ستة آلاف مرة!

فهذه الطوائف والطرق جميعها لا خير فيها ولا في أذكارها، وعلى المسلم أن يتبع ما نزل به الكتاب الكريم وجاءت به السنة المطهرة وينأى بجانبه عن هذه الطرق المحدثة التي تقف وراءها أيد خفية لتخريب عقائد الأمة[٣].

---

(١) هي أحدى الطرق الصوفية المنتشرة في كثير من البلاد الإسلامية خاصة السودان والمغرب العربي، وهي تنتسب الى الفقيه الحنبلي عبد القادر الجيلاني، صاحب كتاب الفتح الرباني، (٤٧١-٥٦١هـ) وللطريقة أوراد وأذكار خاصة بها . انظر معجم الفرق والمذاهب الإسلامية لإسماعيل العربي ص ٣٠٢.

(٢) هي إحدى الطرق الصوفية الغالية في اعتقادات تنسب لمؤسسها أحمد بن محمد بن المختار التيجاني المغربي الفارسي (١١٥٠-١٢٣٠هـ) من جملة اعتقاداتهم ان صلاة الفاتح التي يصلون بها على النبي صلى الله عليه وسلم تعدل القرآن الكريم ستة آلاف مرة واعتقادات شركية أخرى وقد ألف في الرد عليهم كتاب الهدية الهادية الى الطائفة التيجانية لمحمد تقي الدين الهلالي. والأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية للشيخ عبد الرحمن بن يوسف الأفريقي والتيجانية للدكتور علي بن محمد آل دخيل الله.

(٣) لمعرفة المزيد من عقائد الصوفية انظر : هذه هي الصوفية ، وفضائح الصوفية لعبد الرحمن الوكيل، والتصوف في تهامة لمحمد بن أحمد العقيلي والصوفية الوجه الآخر لمحمد جميل غازي.

النـــــــص :

ولا نحــكم في النص العقول ولا نتائــج المنطـــق المحــوق نعتمد

الشرح :

يقرر الناظم –رحمه الله– في هذا البيت عقيدته في مسألة المنقول والمعقول، فيقـــول إنـــه يؤمن بكل النصوص التي جاءت من الله ورسوله إيمان تصديق وتسليم، وأنـــه لا يعـرض هـــذه النصوص على العقل ليحكم فيها إذ لا يتصور التعارض بينهما بحال.

وفي هذا المعنى الذي ذكره الناظم –رحمه الله– ألف ابن تيمية كتابيه : (موافقـــة صحيـــح المنقول لصريح المعقول) و(درء تعارض العقل والنقل) وما أودعه شيخ الإسلام في هذين الكتـــابين شاف كاف لبيان وجه الصواب في هذه القضية التي زعزعت اعتقاد كثير من الفـــرق المنتسبة للإسلام.

ولا يفوت الناظم –رحمه الله– وهو يتحدث عن مســألة تحكيـم العقــل في النصـوص الشرعية أن يعلن رفضه لاستعمال المنطق الأرسطي والأخذ بنتائجه في المسائل الاعتقادية وما ذهب إليه الناظم –رحمه الله– هو المعتمد عند المحققين من علماء الأمة، فقد أفتى الشيخ ابن الصـــلاح[1] فتواه المشهورة بتحريم المنطق فقال فيها: (وليس الاشتغال بتعلمه وتعليمه مما أباحـــه الشـــارع ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والسلف الصالحين)[2] وقـــد نقـــل الإمـــام السيوطي[3] هذه الفتوى في كتابه صون المنطق والكلام[4] وبين صحة ما ذهب إليه ابن الصــــلاح وزاد أقوالا أخرى كثيرة للعلماء في تحريم المنطق وعلم الكلام.

---

[1] إبن الصلاح: هو تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكروي الشهروزي الشافعي المعـــروف بابن الصلاح ٥٧٧ – ٦٤٣ من كتبه: الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح، وطبقات الشافعية، والفتاوي. أنظر تذكـــرة الحفاظ ح٤ص٢١٤ وشذرات الذهب ج٥ص٢٢١.

[2] انظر فتاوي ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والعقائد ص ٤٣.

[3] الإمام السيوطي : هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السيوطي (٨٤٩-٩١١هـــ) من مشاهير العلماء في القرن العاشر، الف في كثير من المعارف وقد أربت مولفاته على الألف، منها الدر المنثور في التفسير المـــأثور وحسن المحاضرة، وجمع الجوامع، والأشباه والنظائر. أنظر الضوء اللامع للســـخاوي ج٤ص٦٥،والكواكـــب الســـائرة للغـــزي ج١ص٢٢٦.

[4] صون المنطق زالكلام عن فن المنطق والكلام للسيوطي ص ٢.

وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية في نقد المنطق الأرسطي والتشكيك في نتائجه كتابيه المعروفين (نقض المنطق) و (الرد على المنطقيين) وتوصل من خلالهما إلى أن المنطق الأرسطي (لا يفيد علماً لأن النتيجة تضمنته في المقدمات، وصدقها راجع إلى المقدمات لا إلى الواقع، ومن ثم أفل نجم المنطق من بين علوم الفرنجة واستبدلوه بالمنهج التجريبي الجديد وهو المنهج الذي قاد أوروبا إلى نهضتها بعد أن تحررت من سلطان أرسطو الذي ظل مكبلاً الإنسانية آلاف السنين.
وكلا المنهجين ضلال لأنه بعيد عن المنهج الإلهي الحق.

النص :

لكن لنا نص آيات الكتاب وما عن الرسول روى الأثبات معتمد

الشرح :

بعد أن رفض الناظم –رحمه الله- في البيت السابق المنطق الأرسطي حدد في هذا البيت البديل الذي يرتضيه ويتمسك به فيقول : لكن لنا نص آيات الكتاب يعني القرآن الكريم، ويقول: وما عن الرسول روى الأثبات معتمد، يعني سنة النبي ﷺ بأقسامها الثلاثة ، القولية والفعلية والتقريرية، وهو بذلك لا يخرج عما ارتضاه الرسول ﷺ لأمته حين قال : [تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه][1].

النص :

لنا نصوص الصحيحين الذين لها أهل الوفاق وأهل الخلف قد شهدوا

الشرح :

في هذا البيت يبدأ الناظم –رحمه الله- في تحديد مصادر النصوص الحديثية التي يتمسك بها،

---

[1] أخرجه الإمام مالك في الموطأ كتاب القدر باب النهي عن القول بالقدر ج٢ ص٦٨٦ ح ٣. صححه الألباني أنظر صحيح الجامع الصغير ج١ ص ٥٦٦ ح ٢٩٣٧ .

فيذكر أولا نصوص الصحيحين وهما صحيحي الإمامين البخاري[١] ومسلم[٢].

ويستطرد الناظم –رحمه الله– في كلامه فيصف الصحيحين قائلا : الذين لها أهل الوفاق وأهل الخلف قد شهدوا أي شهد لهذين الكتابين بالصحة كل أهل العلم ، وما ذهب إليه الناظم –رحمه الله– صحيح لا شك فيه يعرف ذلك كل من اشتغل بعلم الحديث رواية ودراية ووقف على كلام الأئمة وما ذكروه عن مكانة الصحيحين.

النص :

والأربع السنن الغر التي اشتهرت   كل إلى المصطفى يعلو له سند

الشرح :

في هذا البيت يستمر الناظم في ذكر النصوص الحديثية التي يتمسك بها يذكر منها السنن الأربع التي تكون مع الصحيحين الأصول الحديثية الستة عند أهل السنة، وهذه السنن هي : سنن أبي داود[٣] وسنن الترمذي[٤] ويعرف كتابه بالجامع، وسنن النسائي[٥] وسنن ابن ماجة[٦] ولم يشترط أصحاب هذه السنن الصحة كما اشترطها الشيخان في صحيحيهما، بل لهم شروط أخرى استنبطها العلماء من أعمالهم ، ولذلك وجدت بعض الأحاديث الموضوعة والضعيفة في كتبهم وقد نبه عليها العلماء.

وقد حظي كل كتاب من هذه السنن بعدة شروح هامة، فمن شروح سنن أبي داود معالم السنن للخطابي[٧]، وبذل المجهود للسهار نفوري[٨]، ومن شروح سنن الترمذي عارضة الأحوذي

---

[١] أبي عبد الله بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ رحمه الله تعالى: أنظر تهذيب التهذيب ج٩ ص ٤٢.

[٢] أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ رحمه الله. المرجع السابق ج١ص١١٣-١١٥.

[٣] هو أبو داود بن الأشعث الأزدي المتوفى سنة ٢٧٥هـ. أنظر تهذيب التهذيب ج٤ص١٤٨-١٤٩.

[٤] هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي المتوفى سنة ٢٩٧هـ. المرجع السابق ج٩ص٣٤٤.

[٥] هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر النسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ. المرجع السابق ج١ص٣٢-٣٤

[٦] هو أبو عبد الله محمد بن يزيد المعروف بابن ماجة القزويني المتوفى سنة ٢٧٣هـ المرجع السابق ج٩ص٤٦٨.

[٧] هو أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (٣١٩-٣٨٨هـ) من علماء الحديث والفقه واللغة، من كتبه: معالم السنن في شرح أبي داود وغريب الحديث وكتاب العزلة. أنظر تذكرة الحفاظ ج٣ص٢٠٩ ومرآة الجنان ج٢ص٤٣٥.

[٨] هو خليل أحمد السهار نفوري (١٢٩٦-١٣٤٦هـ) من علماء الهند وحفاظها، من كتبه: بذل المجهود في حل أبي داود والمهند على المفند ومطرقة الكرامة على مرآة الإمامة. أنظر مقدمة بذل المجهود ج١ص٢١.

لأبي بكر بن العربي[١]، وتحفة ا لأحوذي للمبارك فوري[٢]، ومن شروح سنن النسائي زهر الربا على المجتبى للسيوطي[٣] ، وحاشية السندي[٤]، ومن شروح سنن ابن ماجة شرح للسيوطي والسندي أيضاً.

النص :

كذا الموطأ مع المستخرجات لنا   كذا المسانيد للمحتج مستند

الشرح :

لا يزال الناظم -رحمه الله- يذكر كتب الحديث التي يتمسك بها فيذكر منها الموطأ وهو كتاب إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس المتوفي سنة ١٩٧هـ وهو أول كتاب صنف في الحديث فكان الأنموذج الذي حذا حذوه العلماء.

وقد روى الموطأ عن مالك جماعة من العلماء ، وأشهر هذه الروايات هي رواية يحيى بن يحيى الليثي[٥] وهي المتداولة الآن بين الناس.

وقد خدم العلماء موطأ مالك بعدة شروح مهمة منها : التمهيد لابن عبد البر[٦]، والمنتقي للباجي[٧]، والقبس لأبي بكر بن العربي، وتنوير الحوالك للسيوطي.

---

[١] هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن احمد المعافري الأندلسي المالكي المعروف بابن العربي (٤٦٨-٥٤٣هـ) عالم في الفقه والحديث والأصول، من كتبه: عارضة الأحوذي شرح جامع الترمذي والقبس شرح موطأ مالك بن أنس وقانون التأويل. أنظر الديباج المذهب لابن فرحون ص٢٨١ ومرآة الجنان ج٣ص٢٧٩ وشذرات الذهب ج٤ص١٤١.

[٢] هو أبو العلا محمد بن عبد الرحيم بن بهادر المباركفوري (١٢٨٣-١٣٥٣هـ) من علماء الهند، من كتبه تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي وأبكار المنن في تنقيد آثار المنن. أنظر نزهة الخواطر لعبد الحي اللكنوي ج٨ص٢٤١ ومعجم المؤلفين ج٥ص١٦٦.

[٣] سبق التعريف به ص.٦٥

[٤] هو أبو الحسن محمد بن عبد الهادي المدني الحنفي المعروف بالسندي المتوفي سنة ١١٣٨هـ من المحدثين والفقهاء والمفسرين، أشتهر بحواشيه على كتب الحديث والفقه منها حاشيته على تفسير البيضاوي وحاشيته على فتح القدير لابن الهمام وحواشيه على الكتب الستة. أنظر سلك الدرر للمرادي ج٤ص٦٦ ومعجم المؤلفين ج١١ص٢٦٢.

[٥] هو أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس بن شملال الليثي مولاهم القرطبي المتوفي سنة ٢٣٤هـ فقيه وهو أحد رواة الموطأ عن مالك انظر تهذيب التهذيب ج١١ص٢٦٢ وتقريب التهذيب ص٥٩٨.

[٦] هو ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (٣٦٨-٤٦٣هـ) فقيه وحافظ ومؤرخ وأديب من مصنفاته شرح الموطأ والاستيعاب والاستذكار. أنظر الديباج المذهب ص ٣٥٧ وتذكرة الحفاظ ج٣ ص ٣٠٦ وشذرات الذهب ج٣ ص ٣٩.

[٧] هو ابو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي القرطبي (٤٠٣-٤٧٤) محدث وحافظ وأحد كبار علماء المذهب المالكي. من مصنفاته شرح الموطأ وإحكام الفصول في أحكام الأصول والحدود أنظر تذكرة الحفاظ ج٣ص٣٤٩ والنجوم الزاهرة ج٥ ص ١١٤ وشذرات الذهب ج٣ ص ٣٤٤.

أما المستخرجات التي ذكرها الناظم –رحمه الله- فهي مجموعة الكتب التي ألفها أصحابها استخراجا على كتب أخرى بأسانيدهم الخاصة، فالمستخرج في اصطلاح المحدثين هو: (أن يأتي المصنف إلى الكتاب فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب وأسانيده، وشرطه أن لا يصل إلى شيخ أبعد حتى لا يفقد سندا يوصله إلى الأقرب إلا لعذر من علو أو زيادة مهمة، وربما أسقط المستخرج أحاديث لم يجد له بها سندا يرتضيه، وربما ذكرها من طريق صاحب الكتاب[1]. فمن المستخرجات على الصحيحين:

مستخرج أبي نعيم[2] ، والبرقاني[3] ، والخلال[4] وغيرها ومن المستخرجات على صحيح البخاري: مستخرج الإسماعيلي وابن أبي ذهل وغيرها.

ومن المستخرجات على صحيح مسلم : مستخرج أحمد بن سلمة[5] وأبي بكر الإسفرايني[6] وغيرها وكما أن هناك مستخرجات على السنن كمستخرج ابن أيمن الأندلسي[7] على سنن أبي داود، ومستخرج منجويه[8] على سنن الترمذي ومستخرج أبي ذر الهروي[9] على سنن الدار قطني[10] وغيرها[11].

---

(1) الحطة في ذكر الصحاح الستة لصديق حسن خان ص٣١

(2) هو أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٣٣٦-٤٣٠هـ) محدث ومؤرخ، من كتبه حلية الأولياء ومعرفة الصحابة ودلائل النبوة. أنظر تذكرة الحفاظ ج٣ص٢٧٥ المنتظم لابن الجوزي ج٨ص١٠٠ وشذرات الذهب ج٣ص٢٤٥.

(3) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي البرقاني الشافعي(٣٣٦-٤٢٥هـ) من أئمة الحديث وحفاظه، من كتبه المستخرج على البخاري والمستخرج على مسلم وحديث الثوري. أنظر سير أعلام النبلاء ج١٧ص٤٦٤ وتذكرة الحفاظ ج٣ص١٠٧ وطبقات الحفاظ ص٤١٨.

(4) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي المعروف بالخلال (٢٣٤-٤٢٥هـ) من الحفاظ وأحد كبار فقهاء الحنابلة، من كتبه الجامع في الفقه والعلل والسنة. أنظر تاريخ بغداد ج٥ص١١٢ وتذكرة الحفاظ ج٣ص٧.

(5) هو أبو الفضل أحمد بن سلمه بن عبد الله النياسبوري البزار المتوفي ٢٨٦ من المحدثين الحفاظ كان رفيق الإمام مسلم له المستخرج على صحيح مسلم أنظر سير أعلام لنبلاء ج١٣ص٣٧٣. والرسالة المستطرفه ص٢٨.

(6) هو أبو بكر محمد بن محمد بن رجاء بن السندي الإسفرائيني المتوفي سنة ٢٨٦هـ من كبار الحفاظ، من كتبه المستخرج على صحيح مسلم انظر سير أعلام النبلاء ج١٣ص٤٩٢.

(7) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج القرطبي المتوفي سنة ٣٣٠هـ محدث صاحب تصانيف، رحل الى المشرق وروى عن أئمة مصر والعراق، من كتبه السنن وقد أثنى عليه ابن حزم. أنظر نفح الطيب للمقري ج٢ص٧١٣.

(8) هو أبو بكر أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني المعروف بابن منجويه (٣٤٧-٤٢٨هـ) من محدثي القرن الخامس، من كتبه رجال مسلم والمستخرج على الصحيحين والسنن. أنظر تذكرة الحفاظ ج٣ص٢٦٩ ومرآة الجنان ج٣ص٤٧ وشذرات الذهب ج٣ص٢٣٣

(9) هو أبو ذر عبد الله بن أحمد بن محمد الهروي الأنصاري المالكي، شيخ الحرم (٣٥٥ – ٤٣٥هـ) محدث وفقيه، من مصنفاته المستخرج على الصحيحين أنظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٣ ١١٠٣ والديباج المذهب ص ٢١٧.

(10) الدارقطني هو : أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود الدارقطني البغدادي (٣٠٦ – ٣٨٥هـ) من كبار الأئمة والحفاظ، من مصنفاته السنن والعلل والقراءات. أنظر تذكرة الحفاظ ج٣ ص ١٨٦. والنجوم الزاهرة ج٤ ص ١٧٢. والمنتظم ج ٧ ص ١٧٣.

(11) للوقوف على المزيد من المستخرجات تراجع الرسالة المستطرفة للشريف محمد بن جعفر الكتاني ص ٢٦-٣٢

وللمستخرجات فوائد عدة ذكرها العلماء في مصنفاتهم منها : زيادات المتن وإزالة الإبهام ومعرفة الإدراج وغيره .

وأما المسانيد التي ذكرها الناظم -رحمه الله- عقب المستخرجات فهي الكتب التي جمعت الأحاديث والآثار على مسانيد الصحابة، فيقوم مؤلف المسند بإيراد كل الأحاديث التي رواها عن الصحابي في مكان واحد، ثم يتبعه بصحابي آخر وهكذا، ومن أهم وأشهر المسانيد في الحديث مسند الإمام أحمد بن حنبل الذي قال عنه لابنه عبد الله: (احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إماماً) ومن المسانيد المعروفة أيضاً : مسند البزار[1] ، ومسند أبي يعلي الموصلي[2]، ومعاجم الطبراني[3] الثلاثة (الكبير والأوسط والصغير) ومسند عبد بن حميد[4] وغيرها.

ولما كان ترتيب المسانيد يختلف عن ترتيب الصحاح والسنن إذ أن الأولى على الرواة والثانية على الأبواب الفقهية ، فقد يجد الباحث بعض المشقة في الإهتداء إلى الحديث من أحد المسانيد إذا لم يكن ملماً باسم الصحابي راوي الحديث، ولذلك قام بعض المحدثين بإعادة ترتيب بعض المسانيد على الأبواب الفقهية كما فعل أحمد عبد الرحمن البنا[5] في الفتح الرباني وهو ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري، وفي ترتيب مسند الطيالسي[6]، ومن قبله قام الحافظ نور الدين الهيثمي[7] بترتيب الأحاديث الزوائد في مسند أحمد والبزار وأبي يعلي ومعاجم الطبراني الثلاثة على الأبواب الفقهية في كتابه المعروف بمجمع الزوائد ومنبع الفوائد.

---

(1) البزار هو أبو بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق المصري الملقب بالبزار (٢١٠-٢٩٢هـ) من كبار المحدثين والفقهاء، من كتبه السنن شرح موطأ مالك. أنظر تذكرة الحفاظ ج٢ص٢٠٤، وسير أعلام النبلاء ج١٣ص٥٥٤، وميزان الاعتدال ج١ص٥٩.

(2) أبو يعلي : هو أبو يعلي أحمد بن علي بن المثنى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، (٢١٠-٣٠٧هـ من أعلام المحدثين الحفاظ، من كتبه المسند، أنظر سير أعلام النبلاء ج١٤ص١٧٤. وطبقات الحفاظ ص٣٠٩.

(3) الطبراني: هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي (٢٦٠-٣٦٠هـ) من كبار المحدثين، من كتبه المعجم الكبير، والأوسط والصغير، ودلائل النبوة والتفسير أنظر تذكرة الحفاظج٣ص١١٨، والمنتظم ج٧ص٥٤.

(4) هو أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكشي إسمه عبد الحميد خفف ١٧١-٢٤٩ محدث ومفسر من كتبه التفسير والمسند الكبير أنظر تذكرة الحفاظ ج٢ ص٥٣٤ وطبقات الحفاظ ص٢٣٨ وسير أعلام النبلاء ج١٢ ص ٢٣٥.

(5) هو أحمد عبد الرحمن البنا ولد في قرية من قرى مصر والتحق بكتاب القرية حيث حفظ القرآن الكريم واحكام التجويد، ثم سافر إلى الاسكندرية طالباً للعمل وقرأ المسند والكتب السنية وغيرها من الأصول المعتبرة عند المحدثين وقد كان زاهداً ورعاً، توفي ١٩٥٨م أنظر الفتح الرباني ج٢٤ ص ٢٣٢ — ٢٣٧ .

(6) هو أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري المتوفى سنة ٢٠٤هـ من أئمة الحديث الثقات، له كتاب المسند. أنظر تهذيب الكمال ج١١ص٤٠١ وتقريب التهذيب ص٢٥٠.

(7) هو نور الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان بن عمر بن صالح الهيثمي (٧٣٥-٨٠٧هـ) من كبار حفاظ القرن الثامن ورفيق الحافظ العراقي في الحديث، من كتبه مجمع الزوائد وزوائد ابن حبان وزوائد الحلية أنظر طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٤٥.

النـــــــص :

مستمسكين بها مســـتســـلمين لهـــا   عنها نذب الهـــوى إنا لهـــا عضد

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم –رحمه الله– إن النصوص الواردة في هذه الكتب من صحـــاح وسنن ومستخرجات ومسانيد هي التي يعتمد عليها في دينه وعقيدته، وهي التي يتمسك بها ويدافع عنها ويكون مؤيدا وناصرا لها ضد أهل الزيغ والضلال، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه كل مسلم.

النـــــــص :

ولا نصيخ لعصري يفـــوه بـــما   يناقض الشـــرع أو إيـــاه يعتقد

المفردات : نصيخ : أصاخ له يصيخ إصاخة أي استمع وأنصت لصوت ، والمعنى لا نستمع لكلام أهل الباطل[1].

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أنه لا يلتفت لأي قول يصدره معاصره الـــذي يـــأتي بمـــا يصادم نصوص الشريعة الغراء ، ذلك أن الحق موجود في النصوص التي تضمنتها هذه المصنفـــات والهداية كلها فيها، فكل ما يأتي به أعداء الإسلام مما يناقض هذه النصوص فهو مجـــرد هـــراء لا يلتفت إليه الناظم، فكلمة عصري التي أوردها تحتمل أن يكون العصري المقصود واحد أو أكـــثر، فقوله (لعصري) يعني (لأي عصري) وهذا يتسع البيت لكل دعاة الباطل الذيـــن ظـــهروا زمـــن الناظم –رحمه الله– في البلاد الإسلامية وغيرها.

النـــــــص :

يـــرى الطـــبيعـــة في الأشياء مؤثرة   أين الطبيعـــة يا مخذول إذ وجدوا

الشرح :

لا يزال الناظم هنا يتحدث عن ذلك العصري الذي يرى أن كل التأثيرات التي في العـــالم من خلق ونشوء وتطور وموت وحياة هي من صنع الطبيعة، وهذا قول أصحاب المذهب الطبيعـــي الذي يرى أن الطبيعة هي الوجود كله، وأنه لا وجود إلا للطبيعة.

---

[1] لسان العرب ج٣ ص ٤٤٣.

فالطبيعيون يردون كل مظاهر الحياة إلى الطبيعة ولا يعترفون بشيء خارج عنها ولا بقوة تحركها ولا بخالق لها يقدرها ويبدعها وتؤول إلى إرادته ومشيئته حتى أنهم ليردون الدين الذي يمثل أعلى القيم الروحية في الإنسان إلى صنع الطبيعة وينكرون عزوه إلى الوحي الإلهي فهؤلاء الملحدون منكرون وجود الله أصلاً ويقولون: (لا إله والحياة مادة) ويسندون كل شيء للطبيعة[1].

فهؤلاء الطبيعيون الذين يذكرهم الناظم هم أنفسهم العصريين الذين بين الناظم أنه لا يستمع لأقوالهم ولا يتأثر بهم.

النص :

وما مجلاتهم وردي ولا صدري وما لمعتنقيها في الفلاح يد

الشرح :

لا يزال الناظم -رحمه الله- يتحدث عن معاصريه من الملاحدة الطبيعيين فينقد وسائل إعلامهم ويقول إنه لا يعبأ بمجلاتهم التي تنشر خبثها في المجتمع، فهو لا يقرأها ولا يحتفي بها ولا يجعلها ورداً يومياً له ولا من مصادر معرفته ، بل يذهب إلى أن من يقرأ هذه المجلات ويصدقها ويتبنى ما تقوله فهو ضال بعيد عن الرشد والفلاح.

---

[1] انظر المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ص ١٢١-١٥١ والاتجاهات الفكرية المعاصرة للدكتور علي جريشة ص١٨١-١٩١.

النـــــــص :

إذ يدخلون بهـــا عاداتهم وسجا ياهم وحكم طواغيــت لهم طردوا

الشرح :

يشير الناظم -رحمه الله- هنا إلى أن الملاحدة يستغلون هذه المجلات في نشــر عقــائدهم الفاسدة وعاداتهم البغيضة بين المسلمين، كما أنهم يدعون الأمة للخروج عن الحكم بما أنــزل الله، والدخول في زمرة الأمم التي جعلت من القوانين الوضعية مصدراً لها في التشريع والتحاكم وهـــذا هو بعينه حكم الطواغيت الذي حذرنا الله تعـــالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٤٧﴾ [المائدة:٤٧] .

النـــــــص :

محسنين لهـــا كي ما تروج علـــى عمـــى البصـــائر ممن فاته الرشـــد

الشرح :

ينبه الناظم -رحمه الله- في هذا البيت إلى أن هؤلاء الدعاة الملاحدة يقومون بكل الوســائل التي من شأنها أن تجعل صورة دعوتهم وتظهرها للناس بالشكل اللائق والمقبول وهدفهم من هـــذه البهرجة الزائفة هو الترويج لأفكارهم الخبيثة حتى ينخدع بها من يقرأ لهم بيسر وسهولة، غير أنـــه لن يقع في مصيدة هؤلاء الدعاة إلا من هو أعمى البصيرة لا يميز بين الهدى والضلال، أما المؤمنــون المتثبتون من عقيدتهم فلا أحد يقوى على إضلالهم مهما كانت أساليبه ومناهجه بإذن الله وتوفيقه.

النـــــــص :

من أجـــل ذلك قد أضحى زنادقـــة كثيرهم لســـبيل الغي قد قصدوا

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- إنه بسبب هذه الحملات التي يشنها دعاة البـــاطل بوسائل إعلامهم المختلفة من مجلات وصحف وغيرها فقد تحول كثير من النــــاس إلى مذهبـــهم الباطل فاصبحوا زنادقة مثلهم وكثير من هؤلاء الزنادقة أصبحوا يصدون عن الله ويقصدون طريــق الغي والضلال وهذا واقع الحال في زمان الناظم -رحمه الله- وما بعد زمانه فقد وجد الشـــيوعيون بعد قيام دولتهم الإلحادية في الاتحاد السوفيتي سنة ١٩١٧م أتباعاً كثيرين في البـــلاد الإســـلامية

المختلفة فقام هؤلاء الأتباع بتكوين أحزاب إلحادية في كثير من الأقطار تحت أسماء مضللة توهم الناس بأنها تبعث العرب من رقادهم ليعيدوا مجدهم القديم بينما هي تخفي وراء هذه الشعارات بفكرهم المسموم في محاربة الله ورسوله. وللأسف البالغ فقد استطاع بعض هذه الأحزاب الوصول إلى رئاسة الحكم في بعض البلاد بمساعدة القوى الشيوعية ودعمها ماديا ومعنويا، فكممت الأفواه وقتلت الأبرياء وبددت الثروات وأذلت المسلمين ونشرت الإلحاد واتهمت علماء الدين وألسنتهم بالرجعية والتخلف ولا يزال تأثير هذه الحكومات باقيا إلى اليوم رغم فشل النظرية الشيوعية وانهيار معسكرها في الاتحاد السوفيتي في أوائل التسعينات من هذا القرن.

النص :

يرون أن تبرز الأنثى بزينتها ... ويبيعها البضع تأجيلا وتنقد

المفردات : البضع : النكاح[1].

الشرح :

يقول الناظم -رحمه الله- أن من نتائج الفكر الإباحي والإلحادي الذي انتشر في معظم البلاد الإسلامية أن برزت الدعوة إلى تحرير المرأة . هذه الدعوة التي كان لها مفكرون متخصصون يعملون ليل نهار في إنجاحها وتثبيت أركانها مثل قاسم أمين (١٨٦٣-١٩٠٨م)[2] وهدى شعراوي (١٨٧٩-١٩٧٤م)[3] في مصر ومسألة تحرير المرأة في ظاهرها دعوة رنانة تجتذب كثيرا من النساء لما فيها من بريق وإغراء يوهمان بتحرير المرأة ماديا وتحسين أوضاعها النفسية والاجتماعية، ولكنها في واقع الأمر تخفي وراءها كثيرا من المخاطر لا على المرأة فحسب بل على المجتمع كله. وذلك لأن تحرير المرأة عند هؤلاء يعني تحريرها من الضوابط الشرعية التي وضعها الإسلام وكلفها بها وشدد في التزامها وعدم الخروج عنها، فقد هون دعاة تحرير المرأة من أمر الحجاب الشرعي للمرأة ودعوا النساء للتبرج والسفور وإظهار الزينة الكاملة، كما حرضوها على المطالبة بالعمل مع الرجل جنبا إلى جنب وفي كل الميادين التي تناسبها والتي لا تناسبها، ودفعوا بها إلى عالم الفنون والغرائز من سينما ومسرح وغناء وغيرها، و لم تلبث أن عمت البلوى بهذه الدعوة الخطيرة

---

(١) انظر لسان العرب ج٨ ص ١٤.

(٢) الأعلام للزركلي ٥ ص ١٨٤.

(٣) المرجع السابق ج٨ ص ٧٨.

فاستجاب لها كثير من الناس وأصبح من حق المرأة عندهم أن تفعل بجسدها ما تشاء وأن تنتفع به مادياً وعلى القانون حمايتها وكف أذى المتدينين والمحافظين عنها!!

وهذا لم يبعد الناظم -رحمه الله- في قوله عن المرأة (وبيعها البضع — أي الجماع) (تأجيلا وتنتقد) لأن هذا هو الواقع في كثير من البلاد حيث يسمح بهذا النوع من التجارة الرخيصة مما يهدم الأخلاق والقيم الإنسانية ويهون شأن الفاحشة بين الناس التي نهانا الله تعالى عنها حيث قال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٣٢] .

النص :

من أجل ذلك بالإفرنج قد شغفوا ... بهم تزيوا وفي زي التقى زهدوا

الشرح :

يقول الناظم -رحمه الله- في هذا البيت أنه لهذه الأسباب التي ذكرها كانت المشابهة بين أهل الضلال من المسلمين وبين الفرنجة، فقد افتتنوا بهم وأمعنوا في محاكاتهم والتشبه بهم في أزيائهم المعروفة تاركين لباس المسلمين وما فيه من ستر ووقار ، ومتجاهلين نهي الرسول ﷺ عن محاكاة الكفار والتشبه بهم والتشديد على من فعل ذلك حيث قال ﷺ [من تشبه بقوم فهو منهم][1].

النص :

وبالعوائد منهم كلها التصقوا ... وفطرة الله تغييرا لها اعتمدوا

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- إن محاكاة أهل الضلال لم تقتصر على اللباس وحده بل تعدتها إلى سائر العادات المخالفة لدين الله وبذلك غيروا فطرة الله التي فطر الناس عليها، فالإسلام وحده هو الذي قام بتبيين سنن الفطرة وحث على المحافظة عليها، فمن ترك شيئاً من الشرع وذهب لما ابتدعه اليهود والنصارى فقد وقع في مخالفة الفطرة لا محالة .

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج٢ ص ٥٠ وأبو داود في كتاب اللباس ح٤٠٣١. صححه الألباني أنظر صحيح الجامع الصغير وزيادته ج٢ ص ١٠٥٩ ح ٦١٤٩ .

النـــــص :

على صحائفهم يا صاح قد عكفـوا   ولو تلوت كتـــاب الله ما سجدوا

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- بأن المخدوعين بالغرب من أهل الإسلام قد عكفوا على مدونات أهل الضلال من كتب ومجلات وصحف وغيرها، فهم عاكفون على قراءتها ليـــلا ونهارا إعجابا بها وإيمانا بما تحتويه من كفر وأباطيل، وهؤلاء أنفسهم لو سمعوا آية من كتـــاب الله الذي لا يأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه لما التفتوا إليها و لم يلقوا لها بالا، وقد صح وصـــف الناظم -رحمه الله- لهؤلاء المبتدعين لمطابقته وصف الله تعالى لهم في كثير من الآيات نحـــو قولـــه تعـــالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [لقمان:٧] وقوله تعـــالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنبياء:٢]

النـــــص :

وعن تدبر حكم الشرع قد صرفـوا   وفي المجلات كـل الذوق قد وجدوا

الشرح :

يواصل الناظم -رحمه الله- كلامه عن أهل الزيغ والضلال فيقول وعن تدبر حكم الشـــرع قد صرفوا بمعنى من كانت صفته على النحو الذي ذكره في البيت السابق لا يستمع للقـــرآن ولا يتلوه ولا يسجد عند سماعه فمآل أمره أن ينصرف عن القرآن وعن تدبر أحكامه ومعانيه وسـيجد هذا الضال متعته في قراءة المجلات والكتب والقصص والروايات المنحلة أخلاقيـــا فيرتـــاح إليـــها ويتذوقها بدلا من أن يطمئن بكلام الله عـــز وجـــل . قـــال تعـــالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨]

النـــــــــص :

وللشوارب أعفوا وللحـــــى نتفوا تشــــبهاً ومجـــاراةً وما اتأدوا

المفردات : اتأدوا : من التؤدة وهي التأني والتمهل والتثبت في الأمر[1]

الشرح :

يشير الناظم -رحمه الله- في هذا البيت إلى أن هؤلاء الضالين صاروا على خلاف ما أمرهم به السنة فبدلاً من أن يعفوا اللحى ويحفوا الشوارب قاموا بإعفاء الشوارب وحلق اللحـــى قـــال رسول الله ﷺ: [خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب][2] وقد أجمع الفقـــهاء على أن الأمر في هذا الحديث للوجوب وإعفاء اللحى من سنن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يدل على ذلك قوله تعالى على لسان هارون لموســـى : ﴿ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ﴾ [طه:٩٤]

النـــــــــص :

قالوا رقياً فقلنـــا للحضيض نعم تفضـــون منـــه إلى ســـجين مؤتصد

الشرح :

في هذا البيت يستهزئ الناظم -رحمه الله- بأهل الضلال الذين خرجوا من الإســـلام إلى الردة فيقول إن ادعاءهم بأن ما يذهبون إليه من مجاراة للغرب وتشبه بهم هو الرقي ولكنــه رقـــي ينـــزل بهم الى الحضيض لأنه يقودهم إلى سخط الله وعذابه ويؤدي بهم إلى سجين المؤصدة إشارة إلى قوله تعالى في صفة النار: ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝ ﴾ [الهمزة:٨]

النـــــــــص :

ثقافة من ســـماج ســـاء ما ألفوا حضـــارة من مروج هم لها عمدوا

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- بأن ما يأتي به أهل الضلال ما هو إلا ثقافة سمجـــة لا قيمة لها، وحضارة استجلبوها من الخارج لها مروجون يدعون الناس إليها ويزينونها لهـــم حـــتى يتمكنوا من بث أباطيلهم وانحرافاتهم داخل المجتمع، وقد ساء صنيعهم هذا و لم يوفقوا فيه.

---

[1] لسان العرب ج٣ ص ٤٤٣.

[2] البخاري في كتاب اللباس في باب تقليم الأظافر ج٥ ص ٢٢٠٩ ح٥٥٥٣ ومسلم في الطهارة بـــاب خصـــال الفطـــرة ص٢٦٢ ح٢٥٩.

النـــــــص :

عصرية عصــــرت خبثا فحاصلها ســــم نقيــع ويا أغمار فازدردوا

المفردات : أغمار : رجل غمر وغمير أي لا تجربة له بجرب ولا أمر و لم تحنكه التجـــارب وهـــو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور[١].

إزدردوا : ازدرد الشيء يزدرده ازدراداً ، أي ابتلعه[٢]

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- بأن هذه المذاهب العصرية التي استحدثوها لم تنتـج سوى الخبث والرذائل، والكفر والأباطيل، فقد وضعت هذه المذاهب السم الزعاف في العســل، ثم نادت على الصبية الشبيبة من سفهاء القوم وجهالهم أن هلموا إلى هذا السم فاحتسوه!! كما جـاء في حديث حذيفة رضي الله عنه : دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت : يـــا رسول الله صفهم لنا قال : هم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا[٣].

النـــــــص :

موت وســموه تجديــــد الحياة فيا ليت الدعاة لها في الرمس قد لحدوا

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- بأن ما تدعو إليه هذه المذاهب هو الموت بعينـــــه، موت الدين، موت الفضائل وموت الشعور، ولكنهم يسمون كل هذا الموت (تجديد الحياة) كذبــاً منهم وترويجاً لبضاعتهم الزائفة، ثم يتمنى الناظم -رحمه الله- لو أن دعاة هذه المذاهب قد مـــاتوا وقبروا تحت الثرى لأن موتهم خير للناس وللدين.

النـــــــص :

دعاة سوء إلى السوأى تشابهت الـــ قلوب منهم وفي الإضلال قد جهدوا

الشرح :

يقول الناظم -رحمه الله- في هذا البيت إن هؤلاء الدعاة من شتى المذاهب والذين تنحصـر دعوتهم إلى السوء يشبهون بعضهم بعضاً لاشتراكهم في المنهج والهدف، فالكفر ملة واحدة وقـــد

---

(١) لسان العرب ج٥ ص ٣٢.

(٢) المرجع السابق ج٣ ص ١٩٤.

(٣) رواه البخاري في كتاب الفتن ص ١٣٥٣ ح ٧٠٨٤.

قال الله تعالى في مثل هؤلاء : ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [البقرة:١١٨] ولهذا فهم يجتهدون في تحقيـــق مـــا يرمون إليه بهمة عالية لشعورهم باتفاقهم وتوافقهم في الهدف.

النـــــــــص :

ما بين مستعلن منهـــم ومســـــتتر ومستبد ومن بالغيـــــر محتشـــد

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- بأنه ليس كل دعـــاة هـــذه المذاهـــب الباطلـــة مكشوفين ومعروفين للناس بل هم منقسمون إلى أقسام عدة : فمنهم المظهر لدعواه ، ومنهم المسر لها، ومنهم المستبد بها ، ومنهم المستعين عليها بالغير من القوى الأجنبية ، وهذا التنوع في مظـــاهر الدعوات الهدامة ترجع أسبابه لواقع كل بلد وظروفه الخاصة، فإذا بلغت الدعوة درجة من القوة في بلد ما أظهرت نفسها، وإلا أخفتها إلى بلوغ تلك الدرجة، كما أنها إذا ظفرت ببلد ما ونجحـــت في توطيد أركانها استبدت على الخلق، وإلا استعانت بقوى الشر الأجنبية لتحميها وتقف بجانبـــها ضد شعوبها المقهورة ، وكل هذا مشاهد في كثير من أرجاء البلاد الإسلامية .

النـــــــــص :

لهم إلى دركات الشـــــــر أهويـــة لكن إلى درجـــات الخير ما صعدوا

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- بأن لأهل المذاهب الباطلة في كل يوم هبـــوط إلى حضيض الشر والخسران ونزولاً إلى الدرجات السفلى من الخيبـــة وســـوء الحـــال، ولكنـــهم لا يستطيعون يوماً أن يصعدوا درجة واحدة في سلم الخير وفعل الطاعات وذلك لما تحمله مذاهبـــهم الباطلة من الفساد والضلال.

النـــــــص :

وفي الضلالات والأهوا لهـم شبـه   وعـن سبيل الهدى والحق قد بلدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- أن أصحاب هذه المذاهب الضالة لهم شبه يثيرونهـا حول الإسلام ليصدوا عن سبيل الله، وذلك لأنهم لا يستطيعوا أن يروا نور الحق لبلد مشـاعرهم وخمول عقولهم.

ومن هذه الشبه ما يزعمونه حول تعدد الزوجات من أنه اجحاف بحق المرأة، وانتقـاص من قدرها وما علموا أن الإسلام إنما اباح التعدد مشروطاً بالعدل حماية لحقوق المرأة وصيانة لهـا، وأيضاً من شبههم التي يثيرونها زعمهم بأن الإسلام ظلم المرأة حيث أمر بقرارها في البيت، ودعـوا الى تحريرها وخروجها للعمل جنباً الى جنب مع الرجل في سائر الميادين، وما علموا أن الإسـلام عندما أمر بأن تبقى المرأة في بيتها فإنه بذلك يرفع من كرامتها ومنـزلتها لتكون الأم الحنون الـتي تربي الأجيال وهي قارة في بيتها والرجل يسعى لجلب الرزق لها دون أن تتكلف هي بعناء ومشـقة العمل كما هو حال المرأة في تلك المجتمعات.

النـــــــص :

صـم ولو سمعوا بكم ولو نطقوا   عمي ولو نظـروا بهت بما شهدوا

الشرح :

في هذا البيت يقول الناظم -رحمه الله- بأن دعاة الباطل صم لا يسمعون الحق وإن كـانت لهم أسماع يسمعون بها ما سواه ، وبكم لا ينطقون الحق ، وإن كانوا يستطيعون النطق بما سـواه من الباطل والضلال، وعمي عن إبصار الحق، وإن كانت لهم أبصار يبصرون بها ما سوى الحـق، وقد وصف الله تعالى أهل الباطل في كتابه الكريم بقوله : ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝﴾ [البقرة:١٨]. وأيضاً فإن من صفات أهل الباطل أن شهادتهم بهتان وباطل لا حق فيها، وهذه هي حال الكفار في كل زمان ومكان ، وقد فضحهم القرآن الكريم وبين لنا حالهم حتى لا نغتر بما هم فيـه، ولنجتنبهم ونسلك غير الطريق الذي سلكوه.

النـــــــص :

عموا عن الحق صمـــــوا عن تدبره عـــن قوله خرسوا في غيـــهم سمدوا

الشرح :

يقول الناظم -رحمه الله- وإن عمى أهل الباطل هو عمى عن نور الحق ، وصممهم صمـم عن تدبر هذا الحق ، فلا غرو أن خرسوا عن قوله وبيانه ولجوا في طغيانهم وغيهم.

النـــــــص :

كأنهم إذ تـــرى خشـــب مسندة وتحسب القوم أيقاظاً وقد رقدوا

الشرح :

يصف الناظم -رحمه الله- في هذا البيت دعاة الباطل بوصف آخر من أوصـاف القـرآن للمنافقين فهم يسلكون مسلكهم ، إذ يقول الله تعـالى في حقـهم : ﴿ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ [المنافقون:٤] ثم يضيف الناظم -رحمه الله- وصف آخر لهم فيشـبه حـالهم بحال أهل الكهف عند نومهم ، مع الفارق الذي ينبغي أن يراعى في هذا التشبيه وهـو أن أهـل الكهف مؤمنين وهؤلاء منافقون وكفرة.

النـــــــص :

باعوا بها الدين طوعا عن تراض وما بالوا بذا حيث عند الله قد كسـدوا

الشرح :

يقول الناظم -رحمه الله- هنا إن هؤلاء المنافقين باعوا دينهم بعرض زائـل مـن الدنيـا برضاهم التام وعن طوعهم واختيارهم ، وهم في كل ذلك لا يعبأون بمـا فعلـوا ولا يـهتمون بخطره، ولو انتبهوا لما يفعلون لعلموا أنهم إنما اشتروا مالا يفيدهم شيئاً والله تعالى يقـول :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة:١٦].

النـــــــص :

يا غربــة الدين والمستمسكين بــه   كقابــض الجمــر صــبرا وهو يتقد

الشرح :

في هذا البيت يتحسر الناظم -رحمه الله- على ما آل إليه حال الدين من غربة وشـتات ، حيث أصبح المتمسك بدينه في هذا الزمان كالقابض على الجمر المتقد، وهو يشير بذلـك لقـول الرسول ﷺ: [بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا فطوبى للغرباء] [1] والمستمسـكين بدينهم هم الذين عناهم النبي ﷺ بقوله: [يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينـه كالقابض على الجمر] [2]

النـــــــص :

المقبلـين عليــه عنـد غربتـــه   والمصلحين إذا ما غـيرهم فسـدوا

الشرح :

في هذا البيت يصف الناظم -رحمه الله- المتمسكين بدينهم عند غربته فإنهم هـم الذيـن يقبلون على الدين عند انصراف الناس عنه، وهم الذين يصلحون عند فساد الخلق وهو بذلك يشير إلى قول الرسول ﷺ: [بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء قيل يـا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال : الذين يصلحون إذا فسد الناس][3] ولعل الناظم يريد بهـم بعض الأئمة الأعلام والمصلحون الذين تمسكوا بدينهم عندما انصرف عنه الناس مثل: الإمام محمـد بن عبد الوهاب والشيخ عبد الله القرعاوي وغيرهم.

النـــــــص :

إن أعرض الناس عن تبيانه نطقـوا   به وإن أحجموا عن نصــره نهدوا

---

(1) مسلم في الإيمان باب إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا ص ٨٣ ح ١٤٦.

(2) الترمذي في الفتن باب ما جاء لا يذل المؤمن نفسه ج٩ ص ١١٧ مع الشرح (شرح الإمام ابن العربي المالكي) وعلق عليه الألبـاني بقوله صحيح ج٢ ص. ٢٥٦ صحيح سنن الترمذي كما أورده في السلسلة الصحيحة برقم ح٩٥٧ ج٢ ص ٦٨٢.

(3) سبق تخريجه قريبا.

الشرح :

في هذا البيت يذكر الناظم -رحمه الله- صفة أخرى من صفات المتمسكين بدينهم وهـي أنهم لا يمنعهم مانع من نصرة الدين وبيان أحكامه وشرائعه عند فساد الناس وإن امتنع غيرهم من ذلك قاموا هم به وتحملوا هذا العبء وحدهم.

النـــــص :

هذا وقد آن نظم العقـــد معتصما ... بالله حسبي عليـــه جـل أعتمد

الشرح :

يختم الناظم -رحمه الله- أبيات المقدمة بهذا البيت إشعارا منه بنهايتها، وإيذانا بـالدخول في نظم العقيدة الذي سماه بـ (الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة) متوكلا علـى الله وحـده ، ومعتمدا عليه وحده جل وعلا.

المطلب الرابع

أبـــواب أمـــور الديـــن

النـــــص :

والدين قول بقلب واللسان وأعمـ ... ـــال بقلب وبالأركـــان معتمد

المفردات : الأركان : الجوارح [١] معتمد : العمدة ما يعتمد عليه ، واعتمدت علـى الشـيء أي إتكأت عليه وعمود الأمر قوامه الذي لا يستقيم إلا به[٢].

الشرح :

يتحدث الناظم -رحمه الله- في هذا البيت عن الدين الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ورضيه لأهل سماواته وأرضه وأمر ألا يعبد إلا به فيقول أن هذا الدين قول وعمل قـول بـالقلب واللسان وعمل بالقلب واللسان والجوارح.

---

[١] انظر لسان العرب ج١٣ ص١٨٦.

[٢] المرجع السابق ج٣ ص ٣٠٣ – ٣٠٤.

فقول القلب هو تصديقه وإيقانه قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ ﴾ [الزمر:٣٣-٣٤] قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝ ﴾ [الأنعام:٧٥] وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ﴾ [الشورى:١٥] وقال ﷺ في حديث الدرجات العلى:[**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**][1] وقال أيضا في حديث الشفاعة [**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من الخير**][2].

وقول اللسان : هو النطق بالشهادتين ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله والإقرار بلوازمها قال تعالى : ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [القصص:٥٣] .

وقال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [الزخرف:٨٦] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ﴾ [الأحقاف:١٣] وقال رسول الله ﷺ: [**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**][3].

عمل القلب : هو النية والإخلاص والمحبة والإنقياد والإقبال على الله تعالى والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه قال تعالى :﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام:٥٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ [الإنسان:٩].

وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۝ ﴾ [الزمر:١٤].

---

(1) البخاري في بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ج٣ ص ١١٨٨ ومسلم في ا لجنة وصفة نعيمها وأهلها ج١٧ ص ١٦٧ ح ٢٨٣١ مع الشرح.

(2) البخاري في التوحيد باب زيادة الإيمان ونقصانه ج١ ص ٢٤ ح ٤٤ ومسلم في الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ج٣ ص ٦٠-٦١ ح٣٢٥.

(3) البخاري في الإيمان باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة ج١ ص ١٧ ح ٢٥ ومسلم في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله ص ٤٢ – ٤٣ ح ٢٠.

وقال رسول الله ﷺ: [إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امريء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته لما هاجر إليه][1].

وقال ﷺ: قال الله تعالى : [أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه][2].

وعمل اللسان والجوارح : فعمل اللسان مالا يودي إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وغير ذلك.

وعمل الجوارح : ما لا يودي إلا بها مثل القيام والركوع والسجود والمشي إلى مرضاة الله كنقل الخطى إلى المساجد وإلى ا لحج والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك[3].

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر:٢٩]. وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢]. وقال تعالى: ﴿ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ [البقرة:٢٣٨]. وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر:٩]. وقال ﷺ [الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق][4].

وقال ﷺ: [آمركم بالإيمان بالله وحده أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تودوا خمس ما غنمتم][5].

ومن هنا يتبين لنا أن من قال من أهل السنة أن الإيمان هو التصديق على ظاهر اللغة لم يعنوا بذلك مجرد التصديق وإنما عنوا به التصديق الإذعاني المستلزم للإنقياد ظاهراً وباطناً فإبليس

---

(١) البخاري في بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ج١ ص ٣ ح١ ومسلم في الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنية ص ٧٩٢ ح ١٩٠٧.

(٢) مسلم في الزهد والرقاق من أشرك في عمله غير الله ص ١١٩٦ ح ٢٩٨٥.

(٣) معارج القبول ج١ ص ١٥-٢٠.

(٤) البخاري في الإيمان باب أمور الإيمان ج١ ص ١٢-١٣ ومسلم في الإيمان باب عدد شعب الإيمان ص ٤٨ ح ٣٥.

(٥) البخاري في المغازي باب، وفد عبد القيس ج٤ ص ١٥٨٨ ومسلم في الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله ص٤٠ ح١٧

لم يكذب في أمر الله تعالى له بالسجود وإنما عن الإنقياد كفراً واستكباراً واليهود كانوا يعتقدون صدق الرسول ﷺ و لم يتبعوه ، وفرعون كان يعتقد صدق موسى ولكنه جحد بآيات الله ظلماً وعلواً فأين هذا من تصديق من قال الله تعالى فيه : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر:٣٣][1].

النص :

يزداد بالذكر والطاعات ثم له ... بالذنب والغفلة النقصان مطرد

المفردات : مطرد : إطرد الأمر أي تبع بعضه بعضاً[2]

الشرح :

في هذا البيت يتحدث الناظم عن زيادة الإيمان ونقصانه ، فذكر أنه يزيد بالشكر والطاعة وينقص بالغفلة والمعصية وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في زيادة الإيمان ونقصانه ، فهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

فالإيمان يزيد إلى ما لا نهاية له . وينقص حتى ما يكون في قلب العبد مثقال خردلة من إيمان . وإنما زيادته بالذكر والدعاء وقراءة القرآن وفعل الطاعات وكذلك يكون نقص الإيمان بنقص ذلك كله فبالمعاصي يسود القلب وينـزع منه الإيمان بل قد يخرج المرء من دائرة الإيمان إلى دائرة الإسلام . ومن أسباب نقص الإيمان نزع الأمانة من قلب المؤمن ، والغفلة عن ذكر الله ، وقتل النفس وارتكاب الموبقات من زنا وسرقة وشرب خمر وغير ذلك[3].

والأدلة على ذلك كثيرة فمن القرآن الكريم :

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران:١٧٣].

وقال تعالى : ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ [مريم:٧٦].

---

(1) انظر معارج القبول ج٢ ص ٥٩٤.

(2) لسان العرب ج٣ص٢٦٨.

(3) انظر كتاب الإيمان لابن تيمية ص ١٦١-١٦٧ وشرح الطحاوية ص ٣٣٥-٣٤٤ والإبانة لابن بطة ج١ ص ١٣٣-١٣٤ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [التوبة:١٢٤].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ [النساء:١٣٦].

فلو لم يكونوا مؤمنين لما قال لهم يا أيها الذين آمنوا وإنما أراد بقوله آمنوا أي داوموا على إيمانكم وازدادوا إيمانا بالله وطاعته واستكثروا من الأعمال الصالحة التي تزيد إيمانكم، وازدادوا يقينا وبصيرة ومعرفة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

ومن السنة قال ﷺ : [ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن][1].

فهذه الأدلة كلها تدل على زيادة الإيمان وأنه ليس شيئا ثابتا جامدا لا يزيد ولا ينقص.

النص :

وأهله فيه مفضول وفاضله   منهم ظلوم وسباق ومقتصد

الشرح :

ثم تحدث الناظم عن تفاضل أهل الإيمان فيه فمادام هذا الإيمان يزيد وينقص فهو إذا درجات والناس يتفاضلون فيه وهذا هو أساس التفاضل بين الناس عند الله حق فضل بعض الأنبياء على بعض في ذلك وجعل التقوى مناط التكريم عنده و لم يسو بين من أنفق قبل الفتح وقاتل، ومن فعل ذلك بعده ولا بين القاعدين من المؤمنين، ولا بين الذين اقترفوا السيئات وبين الذين عملوا الصالحات. وفاضل بين المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم، وفاضل بين الداخلين للجنة فمنهم السابقون ومنهم من يأتي بعدهم. ذلك هو التفاضل بينهم في الإيمان والعمل[2].

قال تعالى : ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة:٢٥٣].

وقال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾ [المجادلة:١١].

---

[1] البخاري في الحيض باب ترك الحائض الصوم ج١ ص ١١٦ ح ٢٩٨ وغيره.

[2] انظر كتاب الإبانة ج١ ص ١٣٣.

ثم يشير الناظم إلى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر:٣٢] .

فقد قسم الله سبحانه وتعالى أهل الإيمان في هذه الآية بمقتضى حكمته إلى ثلاث أقسام :

١- المقتصدون : وهم أصحاب اليمين الذين اقتصروا على التزام الواجبات واجتناب المحرمات فلم يزيدوا على ذلك و لم ينقصوا منه .

٢- السابقون بالخيرات وهم المقربون الذين تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض وتركوا ما لا بأس به خوفاً مما به بأس ومازالوا يتقربون إلى الله تعالى بذلك حتى كان سمعهم الذي يسمعون به وبصرهم الذي يبصرون به كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: [من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ....الحديث][1].

٣- الظالمون لأنفسهم وهم عصاة الموحدين فإنهم ظالمون لأنفسهم بارتكابهم المعاصي ولكنه ظلم دون ظلم لا يخرج من الدين ولا يخلد في النار[2].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينما أنا نائم رأيت الناس عرضوا عليّ وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض علي عمر وعليه ثوب يجره . قالوا فما أولته يا رسول الله قال : الدين[3].

وقال ﷺ : [من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع

---

[1] البخاري في الرقاق باب التواضع ج٥ ص ٢٣٨٤ – ٢٣٨٥ ح ٦١٣٧.

[2] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣ ص ٥٦٢-٥٦٤ ومعارج القبول ج٣ ص ١٠٠٨ وطريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ص ١٣٥.

[3] البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ج٣ ص ١٣٤٩ – ١٣٥٠ ح ٣٤٨٨ ومسلم في فضائل الصحابة باب فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ص ٢٣٩٠ ح ٢٣٩٠.

فبقلبه وذلك أضعف الإيمان][1]. فهذه الأدلة تدل على تفاضل أهل الإيمان وأنهم ليسوا على درجة واحدة .

النص :

وهاك ما سأل الروح الأمين رسو ل الله عن شرحه والصحب قد شهدوا
فكان ذاك الجواب الدين أجمعه فافهمه عقدا صفا ما شابه عقد

المفردات : العقد : نقيض الحل وهو الشد والربط[2].

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم إلى حديث جبريل عليه السلام عندما سأل الرسول ﷺ عن مراتب الدين فكانت الإجابة من الرسول ﷺ تلك الإجابة الجامعة الواضحة التي لا غموض فيها ولا تعقيد تلك الإجابة التي توضح أن مراتب الدين ثلاث وهي: الإسلام والإيمان والإحسان وبهذه المراتب الثلاث يكمل دين الإسلام.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال الرسول ﷺ : [الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فأخبرني عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الإحسان . قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال : فأخبرني عن الساعة . قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل. قال : فأخبرني عن إماراتها. قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان . قال : ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي : يا عمر أتدري من السائل . قلت: الله

---

[1] مسلم في الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ص ٥١ ح٤٩.

[2] انظر لسان العرب ج٣ ص ٢٩٦ — ٢٩٨.

ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم][1].

فكان هذا الحديث الموجز الجامع شامل لدين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده.

المبحث الثالث

(باب الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته)

المطلب الأول

(أنواع التوحيد)

النـــــــص :

بـــالله نؤمـــن فـــرد واحـــد أحـــد ولم يلد لا ولم يولـــد هـــو الصمـــد
ولا إلـــــه ولا رب ســــواه ولم يكن له كفوا مـــن خلقـــــه أحد

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم مراتب الدين من خلال حديث جبريل عليه السلام الســـالف الذكـــر شرع في ترتيب هذه المراتب وبدأها بالحديث عن الإيمان فوضح الركن الأول من أركان الإيمـــان وهو الإيمان بالله تعالى . معنى الإيمان بالله تعالى :

هو الاعتقاد الجازم بأن الله هو رب كل شيء ومليكه وأنه الخالق الرازق المحيي المميـــت ، وأنه المستحق لأن ينفرد بالعبودية والذل والخضوع وجميع أنواع العبادة وأنه المتصـــف بصفـــات الكمال والمنـــزه عن كل عيب ونقص[2].

وهذا ما أراده الناظم بالبيتين السابقين حيث أشار من خلالهما إلى أقسام التوحيد الثلاثـــة وهي:

---

[1] مسلم في الإيمان باب الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله تعالى ص ٣٦ ح ٨.

[2] انظر الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٥٣-٥٤.

١- توحيد الألوهية[١] :

وهو عبادة الله وحده لا شريك له وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه والرضى به ربا وإلها ووليا وأن لا يجعل له عدل في شيء من الأشياء. قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝ ﴾ [الكافرون].

وهذا النوع من أنواع التوحيد هو الذي كفر به وجحده أكثر الخلق ومن أجل هذا التوحيد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

٢- توحيد الربوبية[٢]:

وهو إفراد الله بالخلق والتدبير ، فإفراد الله بالخلق هو أن يعتقد الإنسان أنه لا خالق إلا الله . قال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف:٥٤]. وهو ما أشار إليه بقوله : ولا رب سواه.

فهذه الجملة تفيد الحصر لتقديم الخبر إذ أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر وقال تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر:٣].

فهذه الآية تفيد اختصاص الخلق بالله تعالى. وأما إفراده بالملك فهو أن تعتقد أنه لا يملك الخلق إلا خالقهم كما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران:١٨٩]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [المؤمنون:٨٨].

وأما إفراده بالتدبير وهو أن يعتقد الإنسان أنه لا مدبر لهذا الكون إلا الله وحده. قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝ ﴾ [يونس:٣١-٣٢].

---

[١] وهو ما يعرف بالتوحيد القلبي القصدي.

[٢] يعرف كل من توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات بالتوحيد العلمي الخبري أو توحيد المعرفة والإثبات.

وهذا القسم من التوحيد لم يعارض فيه المشركون الذين بعث فيهم الرسول ﷺ بل كانوا مقرين به. قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف:٩] . فهم يقرون بأن الله هو الذي يدبر الأمر وهو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض ولم ينكر هذا النوع أحد معلوم من بني آدم، فلم يقل أحد من المخلوقين إن للعالم خالقين متساويين.

فلم يجحد أحد توحيد الربوبية لا على سبيل التعطيل ولا على سبيل التشريك إلا ما حصل من فرعون فإنه أنكر وجود الله وعطل ربوبيته على سبيل المكابرة. قال تعالى: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات:٢٤]. وقال تعالى: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص:٣٨] .

وهذه مكابرة منه لأنه يعلم أن الرب غيره . قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل:١٤]. وقال تعالى حكاية عن موسى وهو يناظره: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الإسراء:١٠٢].

فهو في نفسه مقر بأن الرب هو الله تعالى

وقد أنكر الربوبية على سبيل التشريك: المجوس حيث قالوا إن للعالم خالقين هما الظلمة والنور ومع ذلك لم يجعلوا هذين الخالقين متساويين ، فهم يقولون بأن النور خير من الظلمة[١].

٣- توحيد الأسماء والصفات :

وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله نفيا وإثباتا فيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل . قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]. وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته وسوف يأتي شرحه في الأبيات الآتية وهذا النوع من التوحيد هو الذي ضلت فيه بعض الأمة الإسلامية وانقسموا فيه إلى فرق كثيرة فمنهم من سلك مسلك التعطيل، فعطل ونفى الصفات زاعما أنه منزه لله وقد ضل لأن المنزه حقيقة هو الذي ينفي عنه صفات النقص والعيب وينزه كلامه من أن يكون تعمية وتضليلا. فإذا قال بأن الله ليس له

---

[١] انظر القول المفيد. لابن عثيمين ج١ ص ١١ — ١٥.

سمع ولا بصر ولا علم ولا قدرة لم ينـزه الله بل وصمه بأعيب العيوب ووصم كلامه بالتعمية والتضليل لأن الله يكرر ذلك في كلامه ويثبته (سميع بصير) (عزيز حكيم) (غفور رحيم) فإذا أثبته في كلامه وهو خال منه كان في غاية التعمية والتضليل والقدح في كلام الله عز وجل.

ومنهم من سلك مسلك التمثيل زاعما بأنه محقق لما وصف الله به نفسه وقد ضلوا لأنهم لم يقدروا الله حق قدره إذ وصموه بالعيب والنقص لأنهم جعلوا الكامل من كل وجه كالناقص من كل وجه.

وقد أشار الناظم في هذين البيتين إلى سورة الإخلاص مشيرا بها إلى أنواع التوحيد الثلاثة لاشتمالها عليها نصا ولزوما. فهي وإن دلت على توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات نصا فقد دلت على توحيد الألوهية لزوما فإن كانت هذه السورة تثبت أن الإله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد نصا، فإنها تدل على وجوب عبادته وحده لا شريك له لأنه لا يستحق أحد العبادة سواه.

وكل سور القرآن متضمنة لأنواع التوحيد شاهدة به داعية إليه ، فإن القرآن إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه ، فهو التوحيد الإرادي الطلبي ، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته وأمره ونهيه فهو حقوق التوحيد ومكملاته وإما خبر عن أهل التوحيد، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج من حكم التوحيد فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم[1].

النص :

حي سميع بصير جل مقتدر عدل حكيم عليم قاهر صمد

الشرح :

في هذا البيت شرع الناظم في ذكر بعض أسماء الله الحسنى التي يدل كل اسم منها على الصفة التي اشتق منها ، ومن هذه الأسماء اسمه تعالى الحي. قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ

---

[1] انظر فيما سبق الفتاوي ج٣ ص ٣ وما بعدها ، والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية لفالح بن فالح آل مهدي ص ٢٩ والقول المفيد ج١ ص ١٩ وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ١٩-٢٠.

ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]. وقال تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝ ﴾ [آل عمران:١-٢].
وقال تعالى : ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾ [طه:١١١].

ومعنى الحي الموصوف بالحياة الكاملة الأبدية التي لا يليها موت ولا فناء. لأنها ذاتية له سبحانه وتعالى فهو الحي الذي لم تسبق حياته بالعدم ولم تعقب بالفناء هو الأول فليس قبله شيء وهو الآخر فليس بعده شيء.

قال تعالى : ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص:٨٨]. وقال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:٥٨].

فحياته مستلزمة لسائر صفات الكمال الذاتية من العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والعزة والكبرياء وغيرها وذلك لأن الحياة تعتبر شرطا للإتصاف بجميع الكمالات في الذات من العلم والقدرة والسمع ..إلخ. فإن غير الحي لا يتصف بهذه الصفات فمن كملت حياته كان أكمل في كل صفة تكون الحياة شرطاً لها[1].

سميع بصير : من خلال هذين الإسمين يثبت الناظم لله تعالى صفتا السمع والبصر فالسميع اسم من أسمائه تعالى وهو دال على صفة السمع : والبصير اسم من أسمائه تعالى وهو دال على صفة البصر وهاتان الصفتان من صفات ذاته تعالى . وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين صفة السمع والبصر وكل منها صفة إدراك. قال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝ ﴾ [النساء:٥٨]. وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ ﴾ [الشورى:١١]. فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرها وعلنها وكأنها لديه شيء واحد لا يخفى عليه شيء منها مهما خفت بل جميع الأصوات بالنسبة إلى سمعه سواء القريب منها والبعيد السر والعلانية . قال تعالى : ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝ ﴾ [الرعد:١٠]. وقال تعالى :

---

[1] انظر شرح القصيدة النونية للهراس ج٢ ص ١١٢-١١٣ وشرح أسماء الله الحسنى لسعيد بن علي القحطاني ص ١٥٦-١٥٧ والحق الواضح المبين للشيخ عبد الرحمن السعدي ص ٧٨-٨٨.

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [المجادلة:١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات) ، فأنزل الله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله[1].

وسمعه تعالى نوعان :

أحدهما عام وهو سمعه لجميع الأصوات، الظاهرة والباطنة الخفية والجلية وإحاطته التامة بها :

والثاني خاص وهو سمع الإجابة منه للسائلين الداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم . ومنه قوله تعالى على لسان أم مريم عليها السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [آل عمران:٣٥]. وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٩]. ومنه قول المصلي سمع الله لمن حمده، أي استجاب له وقبل منه.

والبصير الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسماوات مهما لطفت أو بعدت فلا يؤثر على رؤيته بعد فهو يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء بل ويرى مسالك الغذاء في أمعائها وأربطة مفاصلها وعروقها بعينه التي لا تنام. ويرى سبحانه وتعالى خيانات العين وتقلبات الأجفان فبصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الأشياء جليلها وحقيرها ، صغيرها وكبيرها ، كثيفها ولطيفها ، لا يستتر عنه شيء منها .

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٨-٢٢٠] .قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر:١٩]. وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾ [البروج:٩].

أي مطلع محيط علمه وسمعه وبصره بجميع ا لكائنات روى أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية (إن الله كان سميعا بصيرا) فوضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه[2].

---

[1] البخاري في التوحيد باب قول الله تعالى كان الله سميعا بصيرا ج٦ ص ٢٦٨٩ تعليقا.

[2] أخرجه أبو داود ج٤ ص، ٢٣٣ ح٤٧٢٨ وابن حبان ج١ ص٤٩٨ح ٢٦٥، والحاكم ج٢ ص ٢٥٧ ح٢٩٢٥ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

ومعنى الحديث أنه سبحانه يسمع ويرى بعين وهو حجة على الجهمية والمعتزلة الذين يجعلون سمعه تعالى علمه بالمسموعات وبصره علمه بالمبصرات فرارا على حد زعمهم من التشبيه وهو تفسير خاطئ فإن كلاً من السمع والبصر معنى زائد على العلم قد يوجد العلم بدونه فإن الأعمى يعلم بوجود السماء ولا يراها وكذلك الأصم يعلم بوجود الأصوات ولا يسمعها[١].

عدل : العدل اسم من أسمائه تعالى وهو متضمن لصفة العدالة ، وهو في الأصل مصدر وصف به للمبالغة وأصل العدل والمعادلة المساواة، يقال هذا عدله وعديله أي نظيره ومساويه. قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ [الأنعام:١١٥]. ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل:٩٠].

والعدل المنزه عن الظلم والجور في أفعاله وأحكامه، الذي يعطي كل ذي حق حقه. وهو سبحانه موصوف بالعدل في فعله فأفعاله كلها جارية على سنن العدل والاستقامة ليس فيها شائبة جور أصلا فهي دائرة كلها بين الفضل والرحمة وبين العدل والحكمة، وما ينزله سبحانه وتعالى بالعصاة والمكذبين من أنواع الهلاك والخزي في الدنيا وما أعده لهم من العذاب المهين في الآخرة، فإنما فعل بهم ما يستحقونه فإنه لا يأخذ إلا بذنب ، ولا يعذب إلا بإقامة حجة وأقواله كلها عدل فهو لا يأمرهم إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة ولا ينهاهم إلا عما فيه مضرة خالصة أو راجحة وكذلك حكمه بين عباده يوم الفصل والقضاء ووزنه لأعمالهم عدل لا جور فيه كما قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧]. فهو سبحانه وتعالى على صراط مستقيم في قوله وفعله وحكمه[٢].

الحكيم : فهو تعالى الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات ، فالحكيم هو واسع العلم والإطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها واسع الحمد تام القدرة وغزير الرحمة فهو الذي يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره فلا يتوجه إليه سؤال ولا يقدح في

---

[١] انظر شرح القصيدة النونية ج٢ ص ٧١-٧٣ معارج القبول ج١ ص ١٧٩-١٨٢ وشرح أسماء الله الحسنى ص ٨٤-٨٧ والحق الواضح المبين ص ٣٣-٣٦.

[٢] انظر شرح القصيدة النونية للهراس ج٢ ص ١٠٦-١٠٧ والحق الواضح المبين ص ٨٠.

حكمته مقال. قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٨][1].

قاهــــر : القهار اسم من أسمائه سبحانه وتعالى ولم يرد في القرآن الكريم إلا مقرونا باسمه الواحد قال تعالى : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [يوسف:٣٩]. وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد:١٦]. فدل هذا على توحده وانفراده بالقهر لجميع الخلق وأنهم جميعا مقهورون تحت سلطانه فهو سبحانه وتعالى الذي قهر جميع الكائنات وذلت له جميع المخلوقات فلا يحدث حادث ولا يسكن ساكن إلا بإذنه وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إليه عاجزون لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا وقهره تعالى لجميع خلقه مستلزم لكمال حياته وعزته واقتداره إذ لو لا هذه الأوصاف الثلاثة لا يتم له قهر ولا سلطان[2].

الصمـــد : هو الذي تصمد إليه أي تقصده جميع الخلائق في حوائجهم ومسائلهم لكمال غناه وفقرها إليه وهو السيد الذي قد كمل في سودده والشريف الذي قد كمل في شرفه وهو الدائم الباقي الذي كملت جميع أوصافه من كل الوجوه فلا تشوبها شائبة نقص أصلا فهو العليم الذي كمل في علمه والحليم الذي كمل في حلمه والغني الذي كمل في غناه والعظيم الذي كمل في عظمته وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفء وليس كمثله شيء قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص ١-٤][3].

---

[1] انظر شرح أسماء الله الحسنى ص ٨٨-٩٠ ، وشرح القصيدة النونية للهراس ج٢ ص ٧٣-٧٤ والحق الواضح المبين ص ٣٦-٣٩.

[2] انظر شرح الأسماء الحسنى ص ١٢٨-١٢٩ وشرح القصيدة النونية ج٢ ص ١٠٢-١٠٣ والحق الواضح المبين ص٧٦.

[3] انظر تفسير ابن كثير ج٤ ص ٦٠٨-٦١٠ ، شرح القصيدة النونية ج٢ ص ١٠٢ شرح أسماء الله الحسنى ص ١٢٦-١٢٨ ، الحق الواضح المبين ص ٧٥.

المطلب الثاني

(حديث المؤلف عن صفة العلو لله عز وجل)

النـــــص :

هو العلي هو الأعلى هو المتعـــالي كـــل معـــنى علـــو الله نعتقـــد
قهرا وقدرا وذاتـــا جـــل خالقنـــا ما حل فينـــا ولا بـــالخلق متحـــد
في سبع آي من القرآن صرح باســـتوى على العرش ربي فـــهو منفـــرد
ولفظ فوق أتى مع الإقـــتران بمـــن ودونهـــا لمريـــد الحـــق مســـتند
وفي السماء اتلها في الملك واضحـــة وكم حديثا بها يعلـــو بـــه الســـند
وتعرج الروح والأمـــلاك صـــاعدة أما إلى ربهم نحـــو العلـــى صعـــدوا
وهكذا يصعد المقبول مـــن عمـــل من العباد لمـــن إيـــاه قـــد عبـــدوا
كذا عروج رسول الله حين ســـرى قل لي إلى من له قد كان مصطعـــد
وحـــين خطبتـــه في جمـــع حجتـــه أشار رأس لـــه لحـــو العلـــى وبـــد
أليس يشهد رب العرش جل علـــى تبليغه ثم أهل الجمع قـــد شـــهدوا
وسن رفـــع المصلـــي في تشـــهده ســـباحة لعلـــو الله يعتقـــد
وكـــل داع إلى مـــن رافـــع يـــده إلا إلى من يجي مـــن عنـــده المـــدد
وكـــم لهـــذا براهينـــا مؤيـــدة وحين يســـمعها الجـــهمي يرتعـــد

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم جملة من أسماء الله تعالى الدالة على صفاته شرع في هذه الأبيـــات في ذكـــر صفة من صفاته بالتفصيل وذلك لكثرة ما وقع حولها من الخلاف بين أهل السنة والجماعة وغيرهم مـــن الفرق الضالة المنحرفة وهي صفة العلو فذكر أسماء الله تعالى الدالة على علوه وهي العلـــي ، الأعلـــى، المتعالي قال تعالى : ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٥]. وقال تعالى:

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ﴾ [الأعلى:١]. وقال تعالى : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝ ﴾ [الرعد:٩]. فهذه الأسماء تثبت لله العلو من كل وجه علو القهر والقدر والذات وذلك ما نعتقده ونؤمن به إيمانا جازما لا يخالطه شك ولا ريب، فنحن نؤمن بعلو الله تعالى وأن له صفة العلو المطلق من كل وجه دون أن نسأل عن كيفية هذا العلو فعلوه تعالى كسائر صفاته تابع لذاته فكما خفيت علينا ذاته ولم نسأل عن كنهها فكذلك صفاته نؤمن بها ولا نسأل عن كنهها ومن هذه الصفات صفة العلو.

١- علو القهر : فهو سبحانه وتعالى الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه جميع الخلق فنواصيهم بيده ما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع وما لم يشأ لم يكن فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأ الله إيجاده لم يقدروا على ذلك ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئة الله لم يمنعوه وذلك لكمال اقتداره ونفوذ مشيئته وشدة إفتقار المخلوقات إليه من كل وجه.

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝ ﴾ [ص:٦٥]. وقال تعالى : ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝ ﴾ [الزمر:٤].

٢- علو القدر (الشأن) : وهو علو صفاته وعظمتها فلا يماثله صفة مخلوق بل لا يستطيع الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة من صفاته . قال تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝ ﴾ [طه:١١٠]. وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ ﴾ [الشورى:١١].

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝ ﴾ [الإخلاص ١-٤].

فتعالى سبحانه عن جميع النقائص والعيوب المنافية لألوهيته وربوبيته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى وتعالى في أحديته عن الشريك والظهير والولي والنصير وتعالى في عظمته وكبريائه وجبروته عن الشفيع عنده إلا بإذنه وتعالى في صمديته عن الصاحبة والولد والوالد والكفء والنظير وتعالى في كمال حياته وقيوميته وقدرته عن الموت والسنة والنوم والتعب والإعياء وتعالى في كمال علمه

عن الغفلة والنسيان وعن عزوب مثقال ذرة عن علمه في الأرض أو في السماء وتعالى في كمال حكمته عن الخلق عبثا وعن ترك الخلق سدى بلا أمر ولا نهي ولا بعث ولا جزاء وتعالى في كمال عدله أن يظلم أحدا مثقال ذرة أو أن يهضمه شيء من حسناته وتعالى في كمال غناه عن أن يطعم أو يرزق أو أن يفتقر إلى غيره في شيء ، وتعالى في صفات كماله ونعوت جلاله عن التعطيل والتمثيل .

٣- علو الذات : فهو سبحانه وتعالى موجود بذاته فوق جميع خلقه بائنا عنهم مستويا على عرشه[1] ثم يرد الناظم بعد ذلك على أهل الحلول والإتحاد من النجارية[2] والجهمية الذين يزعمون أن الله تعالى في كل مكان وأنه عين وجود المخلوقات .

وهم بذلك ينفون علو الله تعالى على خلقه ومباينته لهم ويزعمون أنه حال في الأشخاص والأمكنة متحد بهم لدرجة أنهم يجعلونه حالا في الأماكن النجسة والقذرة وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ثم شرع الناظم بعد ذلك في ذكر بعض الأدلة على ثبوت العلو والفوقية لله تعالى ومن هذه الأدلة :

١- التصريح بالإستواء على العرش :

معنى العرش : هو المخلوق العظيم الذي استوى عليه الله تعالى وهو أعظم مخلوقات الله تعالى وأعلاها ويعتبر كالسقف لها وهو مقبب وله قوائم[3] الدليل على علوه قوله ﷺ : [**وإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر الأنهار**][4]والدليل على أن له قوائم ، ما جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ وقد لطم وجهه فقال: يا أبا القاسم ضرب

---

[1] راجع فيما سبق من علو الله تعالى الفتاوي ج٢ ص ١٢٣ ، شرح النونية للهراس ج٢ ص ٨٦ ، معارج القبول ج١ ص ١٤٤-١٤٨.

[2] النجارية هم أتباع حسين بن محمد النجار يعتقدون أن الله في كل مكان بذاته وأن الإيمان يزيد ولا ينقص وهم يوافقون المعتزلة في مسائل الصفات والقرآن والرؤية ويوافقون الجبرية في خلق الأعمال والاستطاعة. أنظر الفرق بين الفرق ص١٩٦ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٦٨.

[3] انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٣٦٦.

[4] البخاري في الجهاد باب درجات المجاهدين في سبيل الله ج٣ ص ١٠٢٨ ح ٢٦٣٧.

وجهي رجل من أصحابك فقال النبي ﷺ : من، قال رجل من الأنصار قال : أدعوه فدعوه فقال: أضربته قال : سمعته بالسوق يحلف والذي اصطفى موسى على البشر قلت أي خبيث على محمد ﷺ فأخذتني غضبة فضربت وجهه فقال النبي ﷺ : لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان في من صعق أم حوسب بصعقته الأولى[1][2].

هذا وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الإستواء على العرش في سبعة مواضع من الكتاب الكريم . قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف:٥٤]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ ﴾ [يونس:٣].وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ ﴾ [الرعد:٢]. وقال تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ [طه:٥] . وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ﴾ [الفرقان:٥٩]. وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [السجدة:٤]. وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ ﴾ [الحديد:٤].

فالعرش أعلى المخلوقات والله سبحانه وتعالى فوق العرش مستويا عليه بائنا عن خلقه فهل بعد ذلك دليل على علوه وفوقيته .

٢- التصريح بالفوقية : فقد صرح الله تعالى بالفوقية في كتابه الكريم ، قال تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ۝ ﴾ [النحل:٥٠]. وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ ﴾ [الأنعام:١٨] .

---

[1] البخاري في الخصومات باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود ج٥ ص ٨٥٠ ح ٢٢٨١ ومسلم في الفضائل باب من فضائل موسى عليه السلام ج١٥ ص ١٤٠ ح ٢٣٧٤ مع الشرح.

[2] الصعقة الأولى: هي التي صعقها سيدنا موسى بجانب الطور عندما سأل الله تعالى رؤيته. أنظر فتح الباري ج٦ص٤٤٥.

وقد ذكر الرسول ﷺ فوقية الله تعالى ومن ذلك : لما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في بني قريظة بأن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتغنم أموالهم قال له النبي ﷺ : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقع[1]. وفي لفظ من فوق سبع سماوات.

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كانت زينب رضي الله عنها تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول : [زوجكن أهاليكن وزوجني ربي من فوق سبع سماوات][2] فالتصريح بالفوقية دليل واضح لمن أراد الحق وبحث عنه في إثبات صفة العلو لله تعالى.

٣- التصريح بأنه سبحانه في السماء والمراد بذلك اتصافه تعالى بصفة العلو فقد جاء في كتاب الله الكريم بأن الله سبحانه وتعالى في السماء ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝ ﴾ [الملك ١٦-١٧]. وحرف الجر (في) الوارد في هذه الآية بمعنى على كما في قوله تعالى : (لأصلبنكم في جذوع النخل) أي على جذوع النخل .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول من اشتكى منكم شيئا أو اشتكاه أخ له فليقل : ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ[3].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : [والراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله][4].

---

(1) ذكره الذهبي في العلو من حديثه من طريق محمد بن اسحاق ص ٣٢ وقال هذا مرسل وللحديث شاهد عند النسائي في الكبرى...

(2) البخاري في التوحيد باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم ج٦ ص ٢٦٩٩ ح ٦٩٨٤.

(3) أبو داود في الطب باب كيف الرقى ج٤ ح٣٨٩٢ والنسائي في عمل اليوم والليلة ح١٩٣٨ضعفه الألباني أنظر ضعيف سنن أبي داود ص ٣١٤.

(4) الترمذي في البر والصلة باب ما جاء في رحمة المسلمين ج٨ ص ١١٠ مع الشرح وقال حديث حسن صحيح وأبو داود في الأدب باب الرحمة ج٤ ص ٢٨٥ ح ٤٩٤١ وأحمد ج٢ ص ١٦٠ وعلق عليه الألباني في صحيح الترمذي ج٢ص١٨٠ بقوله صحيح .

٤- التصريح بالعروج والصعود إليه : قال تعالى : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج:٤].وقال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر:١٠]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يصعد إليه إلا الطيب- فإن الله تعالى يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوة][1].

فالتصريح برفع الأعمال إليه دليل على علوه تعالى فأعمال العباد ترفع إلى معبودهم الذي في السماء وهو الله سبحانه وتعالى .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول : كيف تركتم عبادي . فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون][2].

فعروج الملائكة والروح إليه دليل على أنها تصعد وترتفع إلى الله تعالى الذي هو في علوه مستويا على عرشه .

٥- التصريح بعروج النبي ﷺ إليه ليلة الإسراء والمعراج فلو لم يكن الله تعالى متصفاً بصفة العلو كما يليق بجلاله وعظمته لما عرج بالرسول ﷺ إليه كما ورد ذلك في حديث الإسراء والمعراج[3]. قلت وإن معظم الفرق التي ضلت في معتقدها ونفت صفة العلو لله سبحانه وتعالى واستواءه على عرشه يحتفلون بليلة الإسراء والمعراج ثم ينكرون العلو فسبحانك ربي هذا بهتان عظيم.

٦- إشارة النبي ﷺ إلى العلو في خطبته في حجة الوداع بأصبعه وبرأسه كما في حديث جابر الطويل عند مسلم وفيه : وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا كتاب الله وأنتم تسألون

---

(1) البخاري في الزكاة باب لا يقبل الله صدقة من غلول ج٢ ص ٥١١ ح ١٣٤٤ ومسلم في الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب ص ٣٩١ ح ١٠١٤.

(2) البخاري في مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر ج١ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ح ٥٣٠ ومسلم في المساجد باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ج٥ ص ١٣٨ ح ٦٣٢ مع الشرح.

(3) البخاري كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء ج١ ص ١٣٥ ح ٣٤٢.

عني فماذا أنتم قائلون ؟ فقالوا: نشهد قد بلغت وأديت ونصحت. فقال: بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات[١] فالرسول برفعه ليده ورأسه يشهد الله وهو في علوه مستويا على عرشه على تبليغه للرسالة وشهادة الناس له بذلك .

٧- رفع المصلي أصبعه السبابة في التشهد دليل على اعتقاده لعلو الله تعالى علوا يليق بجلاله وعظمته.

٨- أن الإنسان بفطرته يكون قلبه معلقا بجهة العلو حال دعائه الله تعالى فهو يرفع يده في الدعاء، ويكون قلبه معلقا بالعلو لأن فطرته تهديه إلى أن الله تعالى عاليا على عباده بائنا عنهم.

ولهذا قال : براهينا مؤيدة وحين يسمعها الجهمي يرتعد . وكما أثبت الناظم هنا صفة العلو لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته بالأدلة النقلية فإن هناك من الأدلة العقلية ما يثبت ذلك لله تعالى ومن ذلك :

أن كل عقل صحيح يدل على وجوب علو الله بذاته فوق خلقه من وجوه.

أن العلو صفة كمال ، والله تعالى وجب له الكمال المطلق من جميع الوجوه ، فلزم ثبوت العلو له تبارك وتعالى .

أن العلو ضد السفل ، والسفل صفة نقص والله تعالى منزه عن جميع النقائص ، فلزم تنزيهه عن السفل وثبوت ضده له وهو العلو.

إن الله تعالى فطر الخلق كلهم العرب والعجم حتى البهائم على الإيمان به وبعلوه، فما من عبد يتوجه إلى ربه بدعاء أو عبادة إلا وجد من نفسه ضرورة بطلب العلو، وارتفع قلبه إلى السماء لا يلتفت إلى غيره يمينا ولا شمالا، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من اجتالته الشياطين والأهواء[٢].

فهذه الأدلة كلها متوفرة على إثبات صفة العلو لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته وهي حجة

---

[١] مسلم في الحج باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم ص ٤٨٣-٤٨٥ ح ١٢١٨ البخاري بلفظ اللهم (هل بلغت اللهم هل بلغت) في الحج باب الخطبة أيام منى ج٢ ص ٦٢٩ ح١٦٥٢.

[٢] انظر القواعد العلميات في الأسماء والصفات ص ١٢٥ شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ج٢ ص ٤٩٧-٤٩٨.

على كل من أنكر علو الله تعالى، أو فسره بمعنى آخر مثل بعض الجهمية والمعتزلة. والحرورية[1] الذين فسروا قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) أنه استولى وملك وقهر ، وجحدوا أن يكون مستويا على عرشه كما أقر بذلك أهل الحق[2]. ولا شك أن هذا التفسير باطل ومخالف لما اتفق عليه أهل الحق وقد أبطله شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : والمبطل لتأويل من تأول استوى بمعنى استولى وجوه :

١- أن هذا التفسير لم يفسره أحد من السلف من سائر المسلمين من الصحابة والتابعين، فإنه لم يفسره أحد في الكتب الصحيحة عنهم.

٢- أن معنى هذه الكلمة مشهور ولهذا لما سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن ومالك بن أنس عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قال : (الإستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعه).

٣- أنه إذا كان معلوماً في ا للغة التي نزل بها القرآن كان معلوماً في القرآن .

٤- أنه لو لم يكن معنى الإستواء في الآية معلوماً لم يحتج أن يقول الكيف مجهول لأن نفي العلم لا ينفي إلا ما قد علم أصله كما نقول إنا نقر بالله ونؤمن به ولا نعلم كيف هو .

٥- الاستيلاء سواء كان بمعنى القدرة أو القهر أو نحو ذلك هو عام في المخلوقات كالربوبية والعرش وإن كان أعظم المخلوقات ونسبة الربوبية إليه لا تنفي نسبتها إلى غيره كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ [المؤمنون:٨٦]. وكما في دعاء الكرب فلو كان استوى بمعنى استولى ، كما هو عام في الموجودات كلها لجاز مع إضافته للعرش أن يقال استوى على السماء وعلى الهواء والبحار والأرض وعليها ودونها ونحوها إذ هو مستو على العرش ، فلما اتفق المسلمون على أنه يقال استوى على العرش ولا يقال استوى على هذه الأشياء مع أنه يقال استولى على العرش والأشياء علم أن معنى استوى خاص بالعرش ليس عاماً كعموم الأشياء.

٦- إنه أخبر بخلق السماوت والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش وأخبر أن عرشه

---

[1] الحرورية: من ألقاب الخوارج، وسموا بذلك نسبة إلى حروراء موضع بظاهر الكوفة، كان أول تحكيمهم واجتماعهم حين خالفوا علياً، فقاتلهم بالنهروان- أنظر معجم البلدان ج٢ ص٢٤٥.

[2] أنظر الفتاوي ج٥ ص ١٤٣.

كان على الماء قبل خلقها وثبت ذلك في صحيح ا لبخاري عن عمران بن الحصين عن النبي ﷺ قال: [كان الله ولا شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر[١] كل شيء ثم خلق السماوات والأرض] . مع أن العرش كان مخلوقا قبل ذلك فمعلوم أنه مازال مستوياً عليه قبل وبعد فامتنع أن يكون الاستيلاء العام هذا هو الاستيلاء الخاص بزمان كما كان مختصاً بالعرش.

٧- أنه لم يثبت أن لفظ استوى في ا للغة بمعنى استولى إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور : قد استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مهراق

ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا : إنه بيت مصنوع لا يوجد في اللغة . وقد علم لو أنه احتج بحديث رسول الله ﷺ ، لاحتاج إلى صحته ، فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده ، وقد طعن فيه أئمة اللغة .

٨- أنه روى عن جماعة من أهل اللغة أنهم قالوا: لا يجوز استوى بمعنى استولى إلا في حق من كان عاجزاً ثم ظهر ، والله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء ، والعرش لا يغالبه في حال ، فامتنع أن يكون بمعنى استولى[٢].

النص :

ونحن نثبت ما الوحيان تثبته — من أن ذا العرش فوق العرش منفرد
يدنو كما شاء ممن شا ويفعل ما — يشا ولا كيف في وصف له يرد
وكل أسمائه الحسنى نقر بها — مما علمنا ومما استأثر الصمد
مستيقنين بما دلت عليه ومن — ثلاثة الأوجه اعلم ذكرها يرد
دلت على ذات مولانا مطابقة — به تليق بها الرحمن منفرد
كذا تضمنت المشتق من صفة — نحو العليم بعلم ثم تطرد
كذلك استلزمت باقي الصفات كمد — للقدرة استلزم الرحمن والصمد
وكل ما جاء في الوحيين من صفة — لله نثبتها والنص نعتمد
صفات ذات وأفعال نمر ولا — نقول كيف ولا ننفي كمن جحدوا

---

[١] الذكر : اللوح المحفوظ.

[٢] انظر الفتاوي ج٥ ص ١٤٤-١٤٩.

لكن على ما بمولانـــا يليـــق كمـــا ارادهُ وعنـــــاه الله نعتقـــــد

الشرح :

في هذه الأبيات يشير الناظم إلى مذهب أهل السنة والجماعة في فوقية الله تعالى واستوائه على عرشه وهو الإيمان بما جاء به الوحي (الكتاب والسنة) من إثباتهما لله إثباتاً يليق بجلاله وعظمته وأنه سبحانه وتعالى فوق جميع خلقه مستوٍ على عرشه كما مر معنا.

ثم جمع الناظم بين علو الله على خلقه ودنوه منهم فيقول : إن الله تعالى مع استوائه على عرشه إلا أنه قريب من عباده ويدنو منهم متى شاء وكيف شاء دون أن نسأل عن كيفية دنوه تعالى أو كيفية صفة من صفاته تعالى : الجمع بين علوه وفوقيته وبين دنوه (قربه) قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن الرسول ﷺ وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه وتعالى فوق سبع سماوات على عرشه بائن من خلقه وهو معهم سبحانه أينما كانوا يعلم ما هم عاملون ، كما جمع بين ذلك في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد:٤].

وليس معنى قوله وهو معكم أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر ومع غير المسافر أينما كان. وهو سبحانه فوق عرشه رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع عليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيته .. إلى أن قال : (وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر في علوه وفوقيته فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته وهو عليٌّ في دنوه ن قريب في علوه)[1].

سبق وأن أثبتنا علو ا لله وفوقيته ، واستواءه على عرشه بالأدلة والبراهين النقلية والعقلية، ومع ذلك فإنه مع عباده قريب منهم ولا تعارض بين علوه وفوقيته وبين معيته وقربه.

---

[1] انظر شرح العقيدة الواسطية ج٢ ص ٤٩٦ و ٥١٣.

والمعية تنقسم إلى ثلاثة أنواع :

١- المعية العامة : وهي تشمل كل بر وفاجر مؤمن وكافر ومثالها قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد:٤].

٢- المعية الخاصة : هي خاصة بعباد الله المؤمنين مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨].

٣- خاصية الخاصة : وهي الخاصة ببعض الأنبياء والرسل وعباد الله الصالحين، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه:٤٦]. وقوله تعالى: عن رسول الله ﷺ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠].وقد جمع الله سبحانه وتعالى بين علوه وفوقيته ومعيته لخلقه في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد:٤]. ففي قوله تعالى : ثم استوى على العرش إثبات لصفة العلو والفوقية وفي قوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم) إثبات للمعية وإذا جمع الله سبحانه وتعالى لنفسه بين وصفين فإننا نعلم علم اليقين أنهما لا يتناقضان لأنهما لو تناقضا لكان أحدهما يكذب الآخر إذ أن المتناقضين لا يجتمعان ولا يرتفعان ، فلابد من وجود أحدهما وارتفاع الثاني ولو كان هناك تناقض للزم أن يكون أول الآية مكذباً لآخرها أو العكس.

فالعلو والمعية قد يجتمعان حتى في حق المخلوقات كما تقول العرب : ما زلنا نسير والقمر معنا مع أنه في السماء إلا أنهم يقولون ذلك على سبيل الحقيقة، فلماذا لا نقول أن الله معنا على سبيل الحقيقة وهو في السماء ، وإذا افترضنا أن الجمع بين العلو والمعية ممتنع في حق المخلوقات لما لزم من ذلك امتناعه في حق الله تعالى لأن الله ليس كمثله شيء وليس معنى معيته أنه مختلط بالخلق فإن هذا المعنى فاسد بل إنه مع معيته وقربه من خلقه بائن عنهم ولو كان معنى المعية الإختلاط للزم من ذلك أحد أمرين إما تعدد الخالق أو تجزؤه مع ما في ذلك من كون الأشياء تحيط به وهو سبحانه محيط بالأشياء فهو سبحانه وتعالى مع عباده قريب منهم كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦]. وليس معنى دنوه وقربه من عباده أنه مختلط بهم فإن هذا المعنى فاسد كما سبق وأن وضحنا ذلك فهو سبحانه وتعالى

عليٌّ في دنوه وقريب في علوه ليس كمثله شيء وهو ا لسميع البصير [1] ثم يشير الناظم إلى مذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان بأسماء الله تعالى وهو الإقرار بها جميعاً ما علمناه منها وما لم نعلم مما استأثر الله سبحانه بعلمه . فيقول : وكل أسمائه الحسنى نقر بها مما علمنا ومما استأثر الصمد. كما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠]. وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ [الإسراء:١١٠] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: [ما أصاب أحد قط هم ولا حزن فقال ، اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً][2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : [إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة وهو وتر والله يحب الوتر] أخرجاه في الصحيحين[3].

---

[1] انظر القواعد الطيبات في الأسماء والصفات لابن عثيمين ، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين والفتاوي ج٥ ص ١٠٢-١٠٦.

[2] رواه أحمد ج١ ص ٣٩١. صححه أحمد شاكر في تحقيق المسند ج ٥ ص ٢٦٧ ح ٣٧١٢ والألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة ج١ ص ٣٣٦ ح ١٩٩.

[3] البخاري في الدعوات باب لله عز وجل مائة اسم غير واحد ج٥ ص ٢٣٥٤ ح ٦٠٤٧، ومسلم في الذكر والدعاء باب أسماء الله تعالى وفضل إحصائها ص ١٠٧٥ ح ٢٦٧٧.

كما بين أن أسماء الله عز وجل ليست منحصرة في التسعة والتسعين المذكورة في حديث أبي هريرة ولا فيما استخرجه العلماء من القرآن بل ولا فيما علمته الرسل والملائكة وجميع المخلوقين لحديث ابن مسعود السابق ذكره، وهو ما أشار إليه الناظم بقوله : ومما استأثر الصمد[1].

ثم أشار الناظم -رحمه الله- بعد ذلك إلى أن الاسم من أسمائه تعالى له دلالات ثلاث :

مستيقنين بما دلت عليه من	ثلاثة الأوجه اعلم ذكرها يرد
دلت على ذات مولانا مطابقة	به تليق بها الرحمن منفرد

---

[1] ومن أسماء الله تعالى ما لا يطلق عليه إلا مقترناً بمقابله فإذا أطلق وحده أوهم نقصاً تعالى الله عن ذلك منها المعطي المانع والضار والنافع والقابض والباسط والمعز والمذل والخافض والرافع فلا يطلق على الله تعالى المانع الضار القابض والخافض كلا على انفراده بل لابد من ازدواجها بمقابلاتها إذ لم ترد في الوحي إلا كذلك.

ومن ذلك المنتقم لم يأت في القرآن إلا مضافاً إلى ذو كقوله تعالى : (عزيز ذو انتقام) ..آل عمران ٤ أو مقيداً بالمجرمين كقوله تعالى : (إنا من المجرمين منتقمون) السجدة آية ٢٢ . وقد ورد في القرآن الكريم أفعال أطلقها الله تعالى على نفسه على سبيل الجزاء العدل والمقابلة وهي فيما سيقت فيه مدح وكمال لكن لا يجوز أن يشتق له منها أسماء ولا تطلق عليه في غير ما سيقت فيه من الآيات كقوله تعالى : (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) النساء آية ١٤٢ وقوله تعالى : (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) آل عمران آية ٥٤. وقوله تعالى : (نسوا الله فنسيهم) التوبة آية ٦٧ . وقوله تعالى : (وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم) .. البقرة آية ١٤-١٥. ونحو ذلك فلا يجوز أن يطلق على الله تعالى مخادع ماكر ناسي مستهزئ ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه ولا يقال الله يستهزئ ويخادع ويمكر وينسى على سبيل الإطلاق تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقاً ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى ومن ظن من الجهال المصنفين في شرح الأسماء الحسنى أن من أسمائه تعالى الماكر المخادع المستهزئ الكائد فقد فاه بأمر عظيم تقشعر منه الجلود وتكاد الأسماع تصم عن سماعه وغر هذا الجاهل أنه سبحانه أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق منها أسماء وأسماؤه تعالى كلها حسنى فأدخلها في الأسماء الحسنى وقرنها بالرحيم الودود الحكيم الكريم وهذا جهل عظيم فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقاً بل تمدح في موضع وتذم في موضع إطلاق أفعالها على الله مطلقاً فلا يقال أنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد فكذلك بطريق الأولى لا يشتق له منها أسماء يسمى بها بل إذا كان لم يأتي في أسمائه الحسنى المريد المتكلم ولا الفاعل ولا الصانع لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم وإنما يوصف بالأنواع المحمودة منها كالحليم والحكيم والعزيز والفعال لما يريد فكيف يكون منها الماكر والخادع والمستهزئ ثم يلزم هذا المغالط أن يجعل من أسمائه الحسنى الداعي والآتي والجائي والذاهب والقادم والرائد والناسي والقاسم والساخط والغضبان واللاعب إلى أضعاف أضعاف ذلك من التي أطلق تعالى على نفسه أفعالها في القرآن ، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل والمقصود أن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوقات فكيف من الخالق سبحانه وتعالى . انظر معارج القبول ج١ ص ١١٧-١٢٠.

كذا تضمنت المشتق من صفة نحو العليم بعلم ثم تطرد
كذلك استلزمت باقي الصفات كما للقدرة استلزم الرحمن والصمد

١- **دلالة المطابقة** : هي دلالة اللفظ على جميع مدلوله وعلى هذا كل اسم دال على المسمى به وهو الله وعلى الصفة المشتق منها الاسم .

٢- **دلالة التضمن** : فهي دلالة اللفظ على بعض مدلوله، وعلى هذا فدلالة الاسم على الذات وحدها أو على الصفة وحدها دلالة تضمن.

٣- **دلالة الإلتزام** : فهي دلالة على شيء يفهم لا من لفظ الاسم ولكن من لازمه فلهذا سمي دلالة إلتزام. مثال ذلك : الخالق اسم يدل على ذات الله وعلى صفة الخلق. إذا فباعتبار دلالته على الذات يسمى دلالة مطابقة لأن اللفظ دال على جميع مدلوله ولا شك أننا إذا قلنا الخالق فإننا نفهم خلقا وخالقا.

وباعتبار دلالته على الخالق وحده أو على الخلق وحده يسمى دلالة تضمن لأنه دل على معناه. وباعتبار دلالته على العلم والقدرة يسمى دلالة التزام إذ لا يمكن خلق إلا بعلم وقدرة، ولهذا خلق الله السماوات والأرض قال : ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢]، وهذا ما أراده الناظم فهو يقول إننا نؤمن بأسماء الله الحسنى ونؤمن بدلالاتها الثلاث السابق ذكرها. وبدأها بدلالة هذه الأسماء على ذات الله تعالى بالمطابقة كما يليق بجلاله وعظمته فكل اسم من هذه الأسماء يدل على الذات المسماة به وهو الله سبحانه وتعالى وعلى الصفة المشتق منها هذا الاسم فمثلا اسم الرحمن يدل على ذات الله سبحانه وتعالى بالمطابقة ويدل على الصفة المشتقة منه وهي الرحمة ثم ذكر أن هذه الأسماء تدل بالتضمن على الصفة المشتق منها هذه الأسماء مثل لذلك بصفة العلم ، فاسم العليم دال على الصفة المشتق منها هذا الاسم وهي صفة العلم . ثم ذكر دلالة اللزوم فبين أن الاسم من أسمائه تعالى يدل على شيء يفهم لا من لفظ الاسم ولكن من لازمه فاسم الرحمن والصمد يدلان باللزوم على صفة القدرة. ثم يشير الناظم إلى مذهب أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى وهو إثبات كل ما أثبته الله

تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ بالاعتماد على نصوص الوحيين من الكتاب والسنة .

ثم أشار الناظم أن صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين : صفات ذات وصفات فعل فالصفات الذاتية اللازمة هي التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها مثل الحياة والعلم والقدرة والحكمة وما أشبه ذلك. وتنقسم إلى ذاتية معنوية وذاتية خبرية وهي التي مسماها أبعاض لنا وأجزاء كاليد والوجه والعين فهذه يسميها العلماء ذاتية خبرية ذاتية لأنها لا تنفصل و لم يزل الله ولا يزال متصفاً بها. خبرية : لأنها متلقاه بالخبر فالعقل لا يدل على ذلك، فلولا أن الله أخبرنا أن له يداً ما علمنا بذلك لكنه أخبرنا بذلك بخلاف العلم والسمع والبصر فإن هذا ندركه بعقولنا مع دلالة السمع ، لهذا نقول في مثل هذه الصفات واليد الوجه وما أشبهها أنها ذاتية خبرية ولا نقول أجزاء وأبعاض بل نتحاشى هذا اللفظ ولكن مسماه لنا أجزاء وأبعاض ولأن الجزء والبعض ما جاز انفصاله عن الكل.

فالرب عز وجل لا يتصور أن شيئاً من هذه الصفات التي وصف بها نفسه كاليد تزول أبداً لأنه موصوف بها أزلاً وأبداً ولهذا نقول أنها أبعاض وأجزاء .

وأما الصفات الفعلية : فهي الصفات التي لها أسباب مقرونة بها، أي أنها متعلقة بالمشيئة إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها وتعرف بالصفات الطارئة مثل الرضى والمحبة والكراهية والبغض والاستواء على العرش والكلام والإتيان والمجيء ومن هذه الصفات الفعلية ما نوعه ذاتياً مثل صفة الكلام فإن الله لم يزل ولا يزال متكلماً ومنها ما ليس نوعه ذاتياً كالاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا لأن هذا ما صار إلا بعد وجود العرش[1].

ثم يقول الناظم إن هذه الصفات سواء كانت صفات ذات أو أفعال فإننا نمرها كما كانت أي نسلّم بها كما ورد بها النص دون أن نسأل عن كيفيتها ولا ننفي شيء منها كمن جحد صفات الله تعالى كلها أو بعضها كالمعتزلة والجهمية.

وهو يشير بقوله (نمر ولا نقول كيف ولا ننفي كمن جحدوا) إلى قول السلف في الصفات (أمروها كما جاءت بلا كيف) وقد روى هذا القول عن مكحول والزهري ومالك بن أنس

---

[1] انظر شرح العقيدة الواسطية ج١ ص ٥٣-٥٤ و ٨٧-٨٨.

وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي[1].

وهذه العبارة رد على المعطلة والمشبهة ففي قولهم أمروها كما جاءت رد على المعطلة وفي قولهم بلا كيف رد على المشبهة، وفيها أيضاً دليل على أن السلف كانوا يثبتون لنصوص الصفات المعاني الصحيحة ا لتي تليق بالله ، تدل على ذلك من وجهين:

١) قولهم أمروها كما جاءت : فإن معناه إبقاء دلالتها على ما جاء به من المعنى ولا ريب أنها جاءت لإثبات المعاني اللائقة بالله تعالى، ولو كانوا لا يعتقدون لها معنى لقالوا (أمروا لفظها ولا تتعرضوا لمعناها) ونحو ذلك .

٢) قولهم بلا كيف : فإنه ظاهر في إثبات حقيقة المعنى ، لأنهم لو كانوا لا يعتقدون ثبوته ما احتاجوا إلى نفي كيفيته فإن غير الثابت لا وجود له في نفسه فنفي كيفيته من لغو القول[2].

وقول الناظم على ما بمولانا يليق كما أراده وعناه الله نعتقد يشير إلى مذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان بصفات الله تعالى وإثباتها إثباتاً حقيقياً كما يليق بجلاله وعظمته وفق مراده تعالى وقصده من خلال نصوص الصفات.

ومما سبق نستطيع أن نلخص مذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته وهو ما أشار إليه الناظم في الأبيات السابقة فنقول إن طريقة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته كما يلي :

١- في الإثبات : إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل .

٢- في النفي نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ مع اعتقادهم ثبوت كمال ضده لله تعالى .

٣- فيما لم يرد فيه نفي ولا إثبات مما تنازع الناس فيه كالجسم والحيز والجهة ونحو ذلك :

---

[1] انظر كتاب السنة لأبي بكر الخلال، والفتوى الحموية.

[2] انظر القواعد الطيبات ص ١١٩ — ١٢٠ ، والفتوى الحموية.

فطريقتهم فيه التوقف في لفظه فلا يثبتون ولا ينفون لعدم ورود ذلك وأما معناه فيستفصلون عنه فإن أريد به باطل ينـزه الله عنه ردوه وإن أريد به حق لا يمتنع على الله قبلوه. وهذه الطريقة هي الطريقة الواجبة وهي القول الوسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل. وقد دل على وجوبها العقل والسمع: فأما العقل فوجه دلالته أن تفصيل القول فيما يجب ويجوز ويمتنع على الله ولا يدرك إلا بالسمع فوجب اتباع السمع في ذلك بإثبات ما أثبته ونفي ما نفاه والسكوت عما سكت عنه.

وأما السمع فمن أدلته : قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠]. وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]. وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ ﴾ [الإسراء:٣٦]. فالآية الأولى دلت على وجوب الإثبات من غير تحريف ولا تعطيل لأنهما من الإلحاد. والآية الثانية دلت على وجوب نفي التمثيل . والآية الثالثة دلت على وجوب نفي التكييف وعلى وجوب التوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه.

وكل ما ثبت لله من الصفات فإنها صفات كمال يحمد عليها ويثنى بها عليه وليس فيها نقص بوجه من الوجوه فجميع صفات الكمال ثابتة لله تعالى على أكمل وجه وكل ما نفاه الله عن نفسه فهو صفات نقص تنافي كماله الواجب، فجميع صفات النقص ممتنعة على الله تعالى لوجوب كماله.

وما نفاه الله عن نفسه فالمراد به انتفاء تلك الصفة المنفية وإثبات كمال ضدها وذلك أن النفي لا يدل على كمال حتى يكون متضمناً لصفة ثبوتية يحمد عليها فإن مجرد النفي قد يكون سببه العجز فيكون نقصاً وقد يكون سببه عدم القابلية فلا يقتضي مدحاً.

وإذا تبين هذا نقول : مما نفي الله عن نفسه الظلم ، والمراد به انتفاء الظلم عن الله مع ثبوت كمال ضده وهو العدل، ونفي عن نفسه اللغوب وهو التعب والإعياء فالمراد نفي اللغوب مع ثبوت كمال ضده وهو القوة، وهكذا بقية ما نفاه الله عن نفسه .

قلنا إن مذهب أهل السنة والجماعة هو إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل .

فما معنى كل من : التحريف – التعطيل – التكيف – التمثيل .

١- التحريف : لغة : التغيير[1]

في الإصطلاح : تغيير النص لفظا ومعنى ، والتغيير اللفظي قد يتغير معه المعنى وقد لا يتغير فالتحريف له أقسام ثلاثة :

أ – تحريف لفظي يتغير معه المعنى كتحريف بعضهم قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤]. إلى نصب لفظ الجلالة ليكون التكليم من موسى .

ب- تحريف لفظي لا يتغير معه المعنى ، كفتح الدال من قوله تعالى قال تعالى : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة:٢] . وهذا في الغالب لا يقع إلا من جاهل إذ ليس فيه غرض مقصود لفاعله عموما .

ج – تحريف معنوي : وهو صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل كتحريف معنى اليدين المضافتين إلى الله إلى القوة والنعمة ونحو ذلك.

٢- التعطيل : لغة : التفريغ والإخلاء[2].

وفي الإصطلاح هنا : إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات أو إنكار بعضها فهو نوعان:

أ – تعطيل كلي : كتعطيل الجهمية الذين أنكروا الصفات وغلاتهم ينكرون الأسماء أيضا.

ب- تعطيل جزئي : كتعطيل بعض الأشعرية الذين انكروا بعض الصفات دون البعض، وأول من عرف بالتعطيل من هذه الأمة هو الجعد بن درهم.

---

[1] أنظر لسان العرب ج٩ص٤٣.

[2] المرجع السابق ج٩ص٣١٢.

٣- التكييف : وهو حكاية كيفية الصفة[١] ، كقول القائل : كيف يد الله أو كيف نزوله إلى السماء الدنيا : كذا وكذا .

٤- التمثيل والتشبيه : التمثيل : إثبات مثيل الشيء[٢] . والتشبيه : إثبات مشابه[٣] .

أنواع التشبيه :

أ – تشبيه المخلوق بالخالق .

ب- تشبيه الخالق بالمخلوق.

فأما تشبيه المخلوق بالخالق : إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق من الأفعال والحقوق والصفات، فالأول : كفعل من أشرك في الربوبية ممن زعم أن مع الله خالقاً

والثاني : كفعل المشركين بأصنامهم حيث زعموا أن لها حقاً في الألوهية فعبدوها مع الله .

والثالث : كفعل الغلاة في مدح النبي ﷺ أو غيره مثل قول المتنبي[٤] يمدح (عبد الله بن يحيى البحتري) :

فكن كما شئت يا من لا شبيه له

وكيف شئت فما خلق يدانيكا

وأما تشبيه الخالق بالمخلوق فمعناه : أن يثبت لله تعالى في ذاته أو صفاته مثل ما يثبت للمخلوق في ذلك ، كقول القائل : إن يدي الله مثل أيدي المخلوقين واستواؤه على عرشه كاستوائهم ، ونحو ذلك[٥].

---

[١] المرجع السابق ج٩ ص٣١٢.

[٢] المرجع السابق ج١١ ص٦١٠.

[٣] المرجع السابق ج١٣ ص٥٠٤

[٤] هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي المولود سنة ٣٠٣ المتوفي ٣٥٤ من كبار شعراء العربية ادعى النبوة في صباه فلقب بالمتنبي اتصل بسيف الدولة الحمداني وله فيه المدائح السائدة كما اتصل بكافور الاخشيدي فمدحه ثم انقلب عليه فهجاه له ديوان شعر متداول انظر تاريخ بغداد ج١٤ ص ١٠٢ والمنتظم لابن الجوزي ج٧ص٢٤.

[٥] انظر القواعد المثلى في الأسماء والصفات ص ١٠٤-١٠٩ ، وشرح العقيدة الواسطية ج١ ص ٦١-٨٢.

النـــــــص :

وفي الشهادة علم القلب مشـــــترط	يقينه القـــد قبـــول ليـــس يفتقـــد
إخلاصك الصدق فيها مع محبتــــها	كذا الولا والبرا فيـــها لهـــا عمـــد
فيه نوالي أولى التقـــوى وننصرهـــم	وكـــل أعدائـــه إنـــا لهـــم لعـــدو

الشرح :

في هذه الأبيات يشير الناظم إلى شروط الشهادة (شهادة أن لا إله إلا الله) باعتبارها أهـــم دعائم الإيمان بالله إذ أن هذه الشهادة هي دليل الدخول في دين الإسلام والإيمان بالله تعالى وهـــذه الشهادة لا يكتفي فيها بمجرد النطق بل لابد من توفر سبعة شروط فيها حتى ينتفع بها وتكون سبباً في دخول الإنسان في التوحيد وخروجه من الشرك ومن ثم تكون سبباً في دخول الجنـــــة وهـــذه الشروط كما أشار إليها الناظم هي :

١. **العلم** : وهو العلم بمعناها المراد منها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك قال تعـــالى : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]. وقال تعـــالى : ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝﴾ [الزخرف:٨٦]. أي يعلمون بقلوبهم معنى ما تنطق به ألسنتهم وقال تعالى : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝﴾ [الزمر:٩]. وفي الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [من مات وهو يعلم أن لا إلـــه إلا الله دخل الجنة] (١).

٢. **اليقين** : وهو المنافي للشك بأن يكون قائلها مستيقناً مدلول هذه الكلمة يقيناً حازمـــاً فـــإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن فكيف إذا دخلـــه شـــك. قـــال تعـــالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝﴾ [الحجرات:١٥]. فاشترط في صدق إيمانهم بـــالله ورســـوله كونهـــم لم يرتابوا أي لم يشكوا فأما المرتاب فهو من المنافقين والعياذ بالله الذين قال الله تعالى فيـــهم : ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ۝﴾ [التوبة:٤٥].

---

(١) مسلم في الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ص ٤٤-٤٥ ح ٢٦ .

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة] (١) وفيه عنه رضي الله عنه من حديث طويل أن النبي ﷺ بعثه بنعليه فقال: [من لقيته من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة] (٢) فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقناً بها قلبه غير شاك فيها وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

٣. **الإنقياد** : وهو الإنقياد لما دلت عليه باطناً قال تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر:٥٤]. وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء:١٢٥]. وقال تعالى : ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان:٢٢]. العروة الوثقى هي: (لا إله إلا الله ومعنى يسلم وجهه أي ينقاد. وهو محسن أي موحد ومن لم يسلم وجهه إلى الله و لم يك محسناً فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى).

٤. **القبول** : وهو القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه فلا يرد شيئاً من لوازمها ومقتضياتها وقد قص الله علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء من قبلها وانتقامه ممن ردها وأباها كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَـٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الزخرف:٢٣-٢٥].

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يونس:١٠٣].

كذلك أخبرنا بما وعد به القابلين لها من ثواب ، وما أعده لمن ردها من العذاب كما قال تعالى: ﴿ ۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الصافات:٢٢-٢٤]. إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الصافات:٣٥-٣٦]. فجعل الله علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله وتكذيبهم من جاء بها فلم ينفوا ما نفته و لم يثبتوا ما أثبتته ثم قال سبحانه في شأن من قبلها : ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ

---

(١) مسلم في باب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ص ٤٥ ح ٢٧ .

(٢) مسلم في باب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ص ٤٦،٤٧ ح ٣١ .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ۝ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ۝ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ ﴾ [الصافات:٤٠-٤٣]. وقال تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝ ﴾ [النمل:٨٩]. وفي الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:[مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به] (١).

٥. الإخلاص : وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾ [الزمر:٣]. وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة:٥]. وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : [أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه] (٢). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول:(فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال) : [أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي غيري تركته وشركه] (٣). وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: [إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل] (٤).

٦. الصدق : أي الصدق فيها المنافي للكذب وهو أن يقولها صدقاً من قلبه يواطيء قلبه لسانه قال تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝ ﴾ [العنكبوت:١-٣]. وقال تعالى في شأن المنافقين الذين قالوها كذباً : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝ ﴾ [البقرة:٨-١٠] . وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل

---

(١) البخاري في العلم باب فضل من علم وعلم ج١ ص ٤٢ ح٧٩ .

(٢) البخاري في العلم باب الحرص على الحديث ج١ ص ٤٩ ح ٩٩ ، وفي الرقاق باب صفة الجنة والنار ج٥ ص ٢٤٠٢ ح٦٢٠١ .

(٣) مسلم في الزهد باب من أشرك في عمله غير الله ص ١١٩٦ ح ٢٩٨٥ .

(٤) البخاري في المساجد باب المساجد في البيوت ج١ ص ١٦٤ ح ٤١٥ ، ومسلم في المساجد باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر ص ٢٥٨ — ٢٥٩ ح ٣٣ .

رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: [**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار**] (١). فاشترط في إنجاء هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقاً من قلبه فلا ينفعه مجرد التلفظ بدون مواطأة القلب. وفيهما أيضاً من حديث أنس بن مالك وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما من قصة الأعرابي لما سأل رسول الله ﷺ عن شرائع الإسلام فأخبره ، قال هل علي غيرها قال : لا إلا أن تطوع قال والله لا أزيد عليها ولا أنقص منها فقال رسول الله ﷺ أفلح إن صدق] (٢) فاشترط رسول الله ﷺ في فلاحه ودخوله الجنة أن يكون صادقاً .

٧. المحبة : أي المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها المستلزمين لشروطها وبغض ما ناقض ذلك، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥] . وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ﴾ [المائدة:٥٤] . فأخبر الله تعالى أن عباده المؤمنين أشد حباً لله لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحداً كما فعل مدعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دون الله أنداداً يحبونهم كحبه وعلامة حب العبد لربه تقديم محابه وإن خالفت هواه وموالاة من والى الله ورسوله ومعاداة من عاداه واتباع رسول ﷺ واقتفاء أثره وقبول هداه. ومن هذه المحبة الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله كما أشار الناظم إلى ذلك فمحبة هذه الشهادة تقتضي محبة الرسول ﷺ ومحبة المؤمنين وموالاتهم ونصرتهم وبغض الكفار ومعاداتهم. قال تعالى في اشتراط محبة الرسول ﷺ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران٣١ - ٣٢].

(١) البخاري في العلم باب من خص بالعلم قوماً دون قوم ج١ ص ٦٠ ح ١٢٨ .

(٢) البخاري في الإيمان باب الزكاة في الإسلام ج١ ص ٢٥-٢٦ ح٤٦ .

وقال تعالى في اشتراط بغض الكفار ومعاداقمم : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤]. وقال رسول الله ﷺ [ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله] الحديث [١]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين] [٢] .

هذا ومما ينبغي العلم به أن الأحاديث الدالة على أن الشهادتين سبب في دخول الجنة والنجاة من النار لا تناقض بينهما وبين أحاديث الوعيد التي فيها أن من فعل ذنب كذا حرمت عليه الجنة أو لا يدخل الجنة من فعل كذا لإمكان الجمع بين النصوص بأنها جنان كثيرة كما أخبر الرسول ﷺ بذلك وبأن أهل الجنة يتفاوتون في دخول الجنة في السبق وارتفاع المنازل فيكون فاعل هذا الذنب لا يدخل الجنة التي أعدت لمن لم يرتكبه أو لا يدخلها في الوقت الذي يدخل فيه من لم يرتكب ذلك الذنب وكذلك لا تناقض بين الأحاديث التي فيها تحريم أهل هاتين الشهادتين على النار وبين الأحاديث التي فيها إخراجهم منها بعد أن صاروا حمماً لإمكان الجمع بينها بأن تحريم من يدخلها بذنبه من أهل التوحيد يكون بعد خروجه منها برحمة الله ثم بشفاعة الشافعين ثم يغتسلون في نهر الحياة ثم يدخلون الجنة فحينئذ قد حرموا عليها فلا تمسهم بعد ذلك أو المراد أنهم يحرمون مطلقاً على النار التي أعدت للكافرين التي لا يخرج منها من دخلها وهي ما عدا الطبقة العليا التي يدخلها بعض عصاة أهل التوحيد ممن شاء الله عقابه وتطهيره بها على قدر ذنبه ثم يخرجون فلا يبقى فيها أحد[٣].

---

(١) البخاري في الإيمان باب من كره أن يعود في الكفر ج١ ص ١٦ وفي الأدب باب الحب في الله ج٥ ص ٢٢٤٦ ح ٥٦٩٤ ومسلم في الإيمان باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ص ٤٩ ح ٤٣ .

(٢) البخاري في الإيمان باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ج١ ص ١٤ ح ١٥ ومسلم في الإيمان باب وجوب محبة الرسول ﷺ أكثر من الأهل ص ٥٠ ح ٤٤

(٣) انظر معارج القبول ج١ ص ٣٤١-٣٤٢ .

المطلب الثالث

فصل في الشرك الأكبر

النـــــص :

والشرك جعلـــك نـدا للإلــه ولم	يشـارك الله في تخليقنـا أحــــد
تدعوه ترجـــوه تخشــاه وتقصـــده	لدفع شـــر ومنـــه الخير ترتفـــد
وعلمه بك مع سمع الدعـــاء وقـــد	رة وســـلطان غيـــب فيـــه تعتقــد

المفردات : الند : المثيل والنظير (١).

ترتفد : الرفد العطاء والصلة ، ومنه ترافد القوم أي أعان بعضهم بعضاً (٢).

الشرح :

في هذه الأبيات يشير الناظم -رحمه الله- إلى الشرك بالله تعالى الذي هو ضـد التوحيـد، وذلك بعد أن تكلم عن الإيمان بالله تعالى فبين هنا نقيض التوحيد وهو الشـــرك بـــالله تعـــالى ، فتحدث هنا عن نوع من أنواع الشرك في الألوهية وذلك بأن نجعل لله نداً أي مثلاً وشبيهاً نصرف له شيئاً من أنواع العبادة الخاصة بالله تعالى مع علمنا الأكيد بأن الذي خلقنـــا هـــو الله ســـبحانه وتعالى لا شريك له .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (فأما الشرك في الإلهية فهو أن يجعل لله نداً أي مثلاً في عبادته أو محبته أو خوفه أو رجائه أو إنابته، فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبـــة منـــه، قـــال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨].

وهذا هو الذي قاتل عليه رســـول الله ﷺ مشركي العرب لأنهم أشركوا في الإلهيـــة قـــال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ

(١) انظر لسان العرب ج٣ ص ٤٢٠ .

(٢) المرجع السابق ج٣ ص ١٨١ والقاموس المحيط ج١ ص ٢٩٥ .

حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]. وقال تعالى : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]. وقال تعالى : ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝﴾ [ص:٥]. وقال تعالى : ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ۝﴾ [ق:٢٤-٢٦]. [وقال رسول الله ﷺ لحصين ، كم إلهًا تعبد؟ قال، ستة في الأرض وواحد في السماء قال فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك؟ قال ، الذي في السماء . قال ، ألا تسلم فأعلمك كلمات ، فأسلم فقال النبي ﷺ قل ، اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي[1]][2].

فمن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ويصرفون لهم شيئا من العبادات الخاصة بالله تعالى، سواء كان هؤلاء الأنداد من الإنس أو الجن، أو الملائكة أو الأوثان أو الكواكب، فيقعون بذلك في الشرك الأكبر المخرج من الملة والمخلد لصاحبه في النار.

تدعوه ترجوه تخشاه وتقصده   لدفع شر ومنه الخير ترتقد

يذكر الناظم –رحمه الله– هنا جملة من العبادات الخاصة بالله تعالى والتي إذا صرفها الإنسان لغيره فإنه يقع بذلك في الشرك الأكبر المخرج من الملة والمخلد لصاحبه في النار قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ۝﴾ [النساء:٤٨]. وقال تعالى : ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ۝﴾ [النساء:١١٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝﴾ [الحج:٣١]. وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ۝﴾ [الزمر:٦٥-٦٦] .

---

[1] الترمذي في أبواب الدعاء باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ ج١٣ ص ٢٤ مع الشرح وقال حديث غريب وقد روى عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه. أورده اللالكائي في شرح أصول وهو اعتقاد أهل السنة والجماعة قال أحمد سعد الغامدي محقق الكتاب سنده ضعيف فيه شبيب بن شيبه بن عبد الله التميمي المنقري وضعيف كما قال الحافظ بن حجر في التهذيب ج٤ ص ٢٧٠ طبعة دار الفكر بدون تاريخ.

[2] الفتاوى ج١ ص ٩١ .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : [أتى النبي ﷺ رجل فقال : يا رسول الله ما الموجبتان ؟ فقال: من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار] (١).

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: [يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله عز وجل ؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً] (٢) . فالشرك أعظم ذنب عُصي الله به ولهذا أخبر سبحانه وتعالى أنه لا يغفره ، وأنه لا أضل من فاعله وأنه مخلد في النار أبدا ، لا نصير له ولا حميم ولا شفيع يطاع ، وأنه لو قام لله مقام السارية ليلا ونهاراً ، ثم أشرك مع الله تعالى غيره لحظة من اللحظات ومات على ذلك فقد حبط عمله بتلك اللحظة التي أشرك فيها (٣).

ومن هذه العبادات التي صرفها بعض الناس لغير الله تعالى ، فأوقعهم ذلك في الشرك الأكبر.

الدعاء : وهو مخ العبادة ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠]. وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف:٥٥-٥٦]. وفي جامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ليس شيء أكرم على الله من الدعاء (٤). وفيه من حديث ابن عباس مرفوعاً إذا سألت فاسأل الله (٥) وهو حديث حسن صحيح .

الرجاء : وهو من أنواع العبادة الخاصة بالله تعالى ، قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف:١١٠]. وقال تعالى :

---

(١) مسلم في الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار ص ٩١ ح ٩٢ .

(٢) مسلم في الإيمان الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ص ٤٦ ح ٣٠ .

(٣) انظر معارج القبول ج١ ص ٣٨٣ .

(٤) الترمذي في الدعوات باب ما جاء في فضل الدعاء ج١٢ ص ٢٦٦ مع الشرح حسنه الألباني أنظر صحيح سنن الترمذي ج٢ ص ١٣٨.

(٥) الترمذي أبواب القيامة باب رقم ٦٠ ج ٩ ص ٣١٩ مع الشرح وقال الترمذي حديث حسن صحيح وصححه الألباني أنظر صحيح سنن الترمذي ج٢ ص ٣٠٩ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝﴾ [يونس:٧-٨]. وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النار (١).

الخشية: وهي مرادفة للخوف. قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس:١١]. وقال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝﴾ [ق:٣٢-٣٣]. وقال رسول الله ﷺ: إن أخشاكم وأتقاكم لله أنا (٢). وقال أيضاً: لا يلج النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع(٣).

القصد في دفع الشر وجلب الخير:

وذلك بأن يلجأ الإنسان لغير الله تعالى ويعتمد عليه في جلب النافع ودفع الضار، مع العلم بأنه لا يملك ذلك إلا الله، قال تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ۝﴾ [الفتح:١١]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس:١٠٦-١٠٧]. وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ

---

(١) البخاري في الرقاق باب الخوف مع الرجاء ج٥ ص ٢٣٧٤ ح ٦١٠٤.

(٢) البخاري في النكاح باب الترغيب في النكاح ج٥ ص ١٩٤٩، ومسلم في الصيام باب أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته ص ٤٢٩ ح ١١٠٨.

(٣) الترمذي في فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله ج٧ ص ١٣٠ ح ١٣٠ مع الشرح. النسائي في الجهاد باب من عمل في سبيل الله على قدمه ج٦ ص ١٢ مع الشرح للإمام السيوطي. أحمد ج٢ ص ٥٠٥ والحاكم في المستدرك ج٤ ص ٢٦٠ وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢]. وقال ﷺ لابن عباس : وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك[1]. فكل هذه العبادات خاصة بالله تعالى وحده لا شريك له ومن صرفها لغيره فقد أشرك بالله شركا أكبر مخرجاً من الملة ومخلداً لصاحبه في النار.

وعلمه بك مع سمع الدعاء وقد   رة وسلطان غيب فيه تعتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى بعض الأمور التي إذا اعتقدها الإنسان فإنه يقع بذلك في الشرك الأكبر المخرج من الملة والمخلد لصاحبه في النار ، ومن ذلك الاعتقاد بأن الأنداد التي تدعي من دون الله تعلم وتطلع على ما بداخل الإنسان ، وأنها تسمع الدعاء وتجيبه وأن لها القدرة على قضاء الحاجات من جلب المنافع ودفع المضار وأنها تعلم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.

فكل هذه الأمور التي لا يعلمها إلا الله تعالى ولا يقدر عليها غيره ، فمن اعتقدها في غيره فقد أشرك بالله تعالى شركاً أكبر مخرجاً من الملة ومخلداً لصاحبه في النار لأنه بهذا الاعتقاد يثبت لذلك الند من صفات الربوبية ما يرفعه عن درجة العبودية إلى درجة المعبودية ويجعله مستحقاً العبادة مع الله ، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١-٢٢]. وقال تعالى : ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:٣]. وقال تعالى : ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ . . . إلى قوله : ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٥٩-٦٤].

(١) سبق تخرجه ص ١٢٤ .

النـــــــــص :

مثل الألى بدعا الأموات قد هتفـــوا	يرجون نجدتهم من بعد مـــا لحـــدوا
وكم نذروا وقربانـــا لهـــا صرفـــوا	ظلما ومن أنفس المنقوش كم نقـــدوا
وكم قبابا عليـــها زخرفـــت ولهـــا	أغلى النسيج كساء ليـــس يفتقـــد
فهم يلوذون في دفع الشـــرور بهـــا	كما لها في قضا الحاجات قد قصـــدوا
ويصرفون لها كـــل العبـــادة دو	ن الله جهرا وللتوحيـــد قد جحدوا

المفردات :

١- هتفوا : الهتف والهتاف الصوت الجافي العالي وقيل الصوت ا لشديد وقد هتف بـــه هتافـــا أي صاح به [١].

٢- لحدوا : اللحد الشق الذي يكون في جانب القبر موضع الميت لأنه قد أميل عن وسـطه إلى جانبه ، وقيل لحده : دفنه[٢] والمراد من بعد ما لحدوا أي ماتوا ودفنوا في قبورهم .

٣- يلوذون : اللوذ بالشيء الإستتار والإحتصان به [٣].

الشرح :

في هذه الأبيات يشير الناظم رحمه الله الى كل من أشرك بالله تعالى شركاً أكبر، ويخـــص بالذكر أولئك الأشخاص الذين عبدوا الأصنام والأوثان، وعبدوا القبور، حيث انتشـــرت عبـادة القبور في زمن الناظم فعكف الناس على هذه القبور وطلبوا منها قضاء حاجاتهم وتفريج كربـاتهم، وصرفوا لها سائر أنواع العبادات من دون الله تعالى، علماً بأنهم لا يملكون لأنفســـهم نفعـاً ولا ضراً، فضلاً عن ان يملكوا ذلك لغيرهم.

قـــال تعـــالى : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [نوح:٢٣-٢٤].

وكم نذوراً وقربانا لها صرفوا ظلما ومن أنفس المنقوش كم نقدوا

---

(١) انظر لسان العرب ج٩ ص ٣٤٤ .

(٢) المرجع السابق ج٣ ص ٣٨٨ .

(٣) المرجع السابق ج٣ ص ٥٠٨ والقاموس المحيط ج١ ص ٣٥٨ .

الشرح:

في هذا البيت يشير الناظم إلى بعض العبادات الخاصة بالله تعالى والتي صرفها هؤلاء المشركون لآلهتهم التي عبدوها من دون الله تعالى ظلما وعدوانا على الله تعالى بصرفهم خالص حقه لغيره.

ومن هذه العبادات : النذر : وهو في اللغة : الإيجاب والإلتزام[١] . وفي الإصطلاح : إلزام المكلف نفسه لله شيئا غير واجب بكل قول يدل عليه[٢].

وهو في الأصل مكروه، فقد نهى عنه النبي ﷺ وقال : (إنه لا يرد شيئا ولكنه يستخرج به من البخيل)[٣].

قال تعالى :﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾ [البقرة:٢٧٠] . وقال تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝ ﴾ [الإنسان:٧]. وقال رسول الله ﷺ : [من نذر أن يطع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه][٤] فالنذر عبادة خاصة بالله تعالى ومن صرفها لغير الله فقد أشرك بالله تعالى شركا أكبر مخرجا من الملة ومخلدا لصاحبه في النار.

القربان : وهو كل ما يذبح تقرباً لله تعالى ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝ ﴾ [الكوثر:١-٢].

وعن علي رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثا لعن الله من غير منار الأرض[٥].

---

[١] لسان العرب ج٥ ص٢٠٠.

[٢] انظر حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع لعبد الرحمن بن محمد النجدي ج٧ ص ٤٩٦.

[٣] البخاري في الأيمان والنذور باب الوفاء بالنذر ج٦ ص ٢٤٦٣ ح ٦٣١٥ واللفظ له ومسلم في النذور باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئا ص ٦٧٢ ح ١٦٣٩.

[٤] البخاري في الأيمان والنذور باب النذر فيما لا يملك وفي المعصية ج٦ ص ٢٤٦٤ ح ٦٣٢٢.

[٥] مسلم في الأضاحي باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله ص ٨٢٠ ح ١٩٧٨.

فالذبح عبادة خاصة بالله تعالى ومن صرفها لغيره فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة والمخلد لصاحبه في النار.

فهؤلاء المشركون كما يقول الناظم قد صرفوا عبادتي النذر والذبح وهما خاصتان بالله تعالى لغيره فيكونون بذلك قد وقعوا في الشرك بالله تعالى وهو ظلم عظيم لأنفسهم . قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝﴾ [لقمان:١٣].

وكم قبابا عليها زخرفت ولها أغلى النسيج كساء ليس يفتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن هؤلاء المشركين قد نصبوا القباب العظيمة المزخرفة والمغطاة بأغلى الأنسجة على قبور الموتى تعظيماً وتقديساً لهم، مع ما في ذلك مما نهى الله عنه، فقد روى مسلم عن أبي الهياج رضي الله عنه قال : قال علي رضي الله عنه ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ : أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلى سويته[1] فقد أمر الرسول ﷺ بتسوية القبور لما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها ، وهو من ذرائع الشرك ووسائله ، فصرفهم إلى هذا وأمثاله ليس من مصالح الدين ومقاصده وواجباته ولما وقع التساهل في هذه الأمور وقع المحذور وعظمت الفتنة بأرباب القبور وصارت محطاً لرحال العابدين المعظمين لها، فصرفوا لها جل العبادة من الدعاء والإستعانة والإستغاثة والتضرع لها والذبح لها والنذور وغير ذلك من كل شرك محظور[2].

فهم يلوذون في دفع الشرور لها كما لها في قضا الحاجات قد قصدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن هؤلاء المشركين يلجأون إلى هؤلاء الموتى في دفع الشرور عنهم من الموت والمرض والفقر وسائر المصائب والشرور. ويقصدونها أيضاً في جلب المنافع وقضاء الحاجات لهم من جلب الرزق والولد والصحة وغيرها من المنافع . وهم بذلك يقعون في الشرك الأكبر لأن جلب المنافع ودفع المضار ليس لأحد سوى الله تعالى . قال تعالى : ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ

---

(١) مسلم في الجنائز باب الأمر بتسوية القبر ص ٣٧٤ ح ٩٦٩ .

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ٧٠٢ .

ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾ [يونس:١٠٦-١٠٧]. في هاتين الآيتين تنبيه على أن المدعو لابد أن يكون مالكا للنفع والضر حتى يعطي من دعاه أو يبطش بمن عصاه وليس ذلك إلا لله وحده، فتعين أن يكون هو المدعو دون ما سواه. وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام:١٧]. لأنه هو سبحانه المتفرد بالملك والقهر والعطاء والمنع، ولازم ذلك إفراده بتوحيد الألوهية لأنهما متلازمان ، وإفراده بسؤال كشف الضر وجلب الخير لأنه لا يكشف الضر إلا هو ولا يجلب الخير إلا هو .

قال تعالى : ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر:٢].

فتعين أن لا يدعى لذلك إلا هو وبطل دعاء من سواه ممن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عن غيره، وهذا ضد ما آل عليه عباد القبور ، فهم يعتقدون أن الأولياء والطواغيت ينفعون ويضرون، ويمسون بالضر ويكشفونه وأن لهم التصرف المطلق في الملك إما على سبيل الكرامة وهذا فوق شرك العرب، وإما على سبيل الوساطة بينهم وبين الله بالشفاعة وهذا شرك الذين قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣].وقال النبي ﷺ لابن عباس : إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك[1] فدل ذلك على أن ملك النفع ودفع الضر ليس لأحد سوى الله تعالى ، فمن طلبها من غير الله فقد وقع في الشرك بالله تعالى .

ويصرفون لها كـل العبادة دو   ن الله جهرا وللتوحيد قد جحدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن هؤلاء المشركين يصرفون سائر العبادات الخاصة بالله تعالى -جهرا دون خجل ولا حياء- لهؤلاء الموتى الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا

(١) انظر العبودية لابن تيمية ص ٢٣ سبق تخريج الحديث ص ١٢٤ .

ضراً فضلاً عن أن يملكوا ذلك لغيرهم، وهم بذلك ينكرون توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة.

والعبادة كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية هي : طاعة الله بامتثال ما أمر به على ألسنة الرسل. وقال أيضاً العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة[1].

قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]. وقال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء:٢٣].

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال:كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم ، قال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا ، فقلت : يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال : لا تبشرهم فيتكلوا[2] فالعبادة يجب أن تصرف لله وحده لا شريك له ، ومن صرفها لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة والمخلد لصاحبه في النار.

النص :

إن لم تكن هذه الأفعال يا علما شركاً فما الشرك قولوا لي أو ابتعدوا
إن لم تكن هذه شركا فليس على وجه البسيطة شرك قط ينتقد

المفردات : البسيطة : البسط نقيض القبض ، والبسيطة الأرض [3]

الشرح :

في هذين البيتين شرع الناظم -رحمه الله- في التأكيد على أن هذه الأفعال التي سبق وأن ذكرها شرك بالله تعالى، فهو يقول إن لم تكن هذه الأمور من الشرك فما حقيقة الشرك أيها العلماء وهو هنا يستفهم بأداة الاستفهام (ما) التي يراد بها البحث عن حقيقة الشيء ، ثم نجده يقرر ويؤكد أن هذه الأمور من الشرك ، وأنها إن لم تكن من الشرك فليس أصلا هناك شرك يستحق النقد والإنكار وذلك لعظم ما في هذه الأمور من الشرك الأكبر المخرج من الملة والمخلد لصاحبه في النار.

---

(١) انظر كتاب العبودية لشيخ الإسلام ابن تيميه ص٢٣.

(٢) سبق تخرجه ص ١٢٤.

(٣) انظر لسان العرب ج٧ ص ٢٥٩ والقاموس المحيط ج٢ ص ٣٥٠ س.

المبحث الرابع

بـــاب الإيـمـــــان بالــملائكـــــــة

النــــــــص :

وبالملائكة الرســـل الكـــرام عبـــا د الله نؤمن خابوا من لهـــم عبـــدوا

من دون ربي تعالى والتبـــاب لمـــن كانوا له ولهـــم والمرســـلين عـــدوا

بل هم عباد كرام يعملـــون بأمـــر الله ليس له نـــــــد ولا ولد

المفردات : التباب : التب الخسار والتباب ، الخسران والهلاك(١).

الشرح : بعد أن ذكر الناظم الركن الأول من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله تعالى شرع هنـــا في ذكر الركن الثاني من أركان الإيمان وهو الإيمان بالملائكة .

معنى الإيمان بالملائكة : هو التصديق الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور وأنهم كما وصفهم الله عباد مكرمون يسبحون الليل والنهار ولا يفترون وأنهم لا يعصون الله ما أمرهـــم ويفعلون ما يؤمرون وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها(٢).

وهذا ما أراده الناظم في الأبيات السابقة فقد أشار إلى أن الملائكة رسل الله تعالى وأنهم عباد لـــه يجب علينا الإيمان بوجودهم كما وصفهم الله تعالى بأنهم عباد مكرمون وأنهم الســـفرة بـــين الله تعالى ورسله وأنهم يطيعون الله تعالى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأنهم خلق من خلق الله خلقهم الله تعالى من نور لعبادته وحده لا شريك له وأنهم ليسوا بناتا لله عز وجل ولا أولاداً ولا شـــركاء معه ولا أنداداً له تعالى الله تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا. قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنبيـــاء:٢٦-٢٧]. فهم الكرام خلقاً وخلقاً وهم الكرام على الله تعالى. وقال الله تعـــالى ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [عبس:١٥-١٦]. فهم الطاهرون ذاتاً وصفة وأفعالاً. وقال الله تعالى ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾ [النساء:١٧٢].

---

(١) القاموس المحيط ج١ / ص ٣٨ ، ولسان العرب ج١ / ص ٢٢٦ .

(٢) الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٥٨ .

وقـــال الله تعـــــالى ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ۝ ﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠]

وقـال الله تعـــالى ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝ ﴾ [فاطر:١].

فيجب علينا الإيمان بهؤلاء الملائكة وعدم اتخاذهم أنداداً وشركاء لله تعالى نعبدهم من دونه لأن ذلك شرك عاقبته الهلاك والخسران المبين.

وقول الناظم : (والتباب لمن كانوا له وهم والمرسلين عدو) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ۝ ﴾ [البقرة:٩٨].

فالملائكة عباد مكرمون خلقهم الله من نور كما في حديث عائشة رضي الله عنها قـــالت قال رسول الله ﷺ : [خُلقت الملائكة من نور العرش وخُلق الجان من مارج من نار وخُلق آدم مما وصف لكم] (١).

وهم ليسوا أولادا لله تعالى ولا أندادا له قال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ۝ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ۝ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ۝ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾. إلى قولـــه تعـــــالى : ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ۝ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ۝ ﴾ [الصافات:١٥١-١٦٦].

النـــــــص :

منهم أمينٌ لوحــــــي الله يبلغه   لرسله وهو جبريلٌ بـــــــه يفد

المفردات : يفد : وفد فلان على الأمير أي ورد رسولاً وأوفدته أنا إلى الأمير أي أرسلته(٢).

الشرح : في هذا البيت وما يليه من الأبيات شرع الناظم في ذكر بعض وظائف الملائكـــة الـــتي هيأهم الله لها ووكلهم بها . فمنهم الموكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم الســـلام وهـــو الروح الأمين جبريل عليه السلام قال تعـــالى : ﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٩٧]. وقال الله تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝

---

(١) مسلم في الزهد والرقائق ج١٨ / ص ٣٣٤ / ح ٢٩٩٧ مع الشرح

(٢) لسان العرب ج٣ / ص ٤٦٤ -٤٦٥ .

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥]. وقال الله تعالى ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢]. وقال الله تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم:٤-٩]. وهذا في رؤية النبي ﷺ له في الأبطح حين تجلى له على صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق ثم رآه ليلة المعراج أيضا في السماء كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [النجم:١٣-١٥]. ولم يره ﷺ في صورته إلا هاتين المرتين وبقية الأوقات في صورة رجل(١).

النص:

وللرياح وقطر والسحاب فمي … كال بذاك إليه الكيل والعدد

الشرح:

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن من الملائكة الموكل بالقطر وتصاريفه إلى حيث أمره الله تعالى مع معرفة مقداره وعدده وهو ميكائيل عليه السلام وهو ذو مكانة عالية ومنزلة رفيعة وشرف عند ربه عز وجل وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله تعالى.

النص:

كذاك بالصور إسرافيل وكل وهو … و الآن منتظر أن يأذن الصمد

ومنهم الموكل بالنفخ في الصور وهو إسرافيل عليه السلام ينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر الله تعالى الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين(٢).

وقول الناظم (وهو الآن منتظر أن يأذن الصمد) فيه إشارة إلى حديث الرسول ﷺ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له قالوا: كيف نقول يا رسول الله؟ قال قولوا: حسبنا الله

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ج٤ / ص ٢١٨-٢٢٠.

(٢) سيأتي الحديث عن هذه النفخات في موضعه من المنظومة.

ونعم الوكيل، على الله توكلنا) (١) **فهو الآن منتظر أن يأذن الله له بالنفخ في الصور.**

وهؤلاء الثلاثة من الملائكة هم الذين ذكرهم النبي ﷺ في دعائه في صلاة الليل (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون إهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) (٢).

النص :

وحاملوا العرش مع من حولهم ذكروا   وزائروا بيته المعمور ما افتقدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن من الملائكة حملة عرش الرحمن والكروبيون(٣) وهم الذين قال تعالى فيهم : ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝﴾ [غافر:٧].وقال الله تعالى ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝﴾ [الحاقة:١٧].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول ﷺ قال: **أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**(٤).

(وزائروا بيته المعمور ما افتقدوا) ومنهم زوار البيت المعمور الذي أقسم الله به في كتابه قال تعالى : ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝﴾ [الطور:٤] كما ثبت ذلك في حديث المعراج وهو بيت في السماء السابعة بحيال الكعبة في الأرض بحيث لو سقط لوقع عليها حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم يعني لا تحول نوبتهم لكثرتهم.

---

(١) رواه الإمام أحمد ج٣ / ص ٧ ، والترمذي في صفة القيامة باب ما جاء في شأن الصور ج٤ / ص ٦٢٠ ح / ٢٤٣١ وقال هذا حديث حسن، وصححه الألباني أنظر صحيح سنن الترمذي ج٢ ص ٢٩٢.

(٢) مسلم صلاة المسافرين باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ص ٣٠٥ ح ٧٧٠ .

(٣) الكروبيون أقرب الملائكة إلى حملة العرش انظر لسان العرب ج١ / ٧١٤ .

(٤) أبو داود في الرد على الجهمية ج٤ / ص ٢٣٢ / ح ٤٧٢٧ واسناده صحيح.

النـــــــص :

والحافظون علينـــــا الكاتبون لما نسعى وفي الحشر إذ يؤتى بهم شهدوا

الشرح :

ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر وهم الكرام الكـــــاتبون الذيـــن يحفظـــون ويكتبون كل ما نعمل من خير أو شر ثم يكونون شهداء علينا يوم القيامة بما أحصوه علينـــا مـــن الأعمال.

قال تعالى : ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف:٨٠].

وقال تعالى : ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق:١٧-١٨] . فالذي عن اليمين يكتب الحسنات والذي عن الشمال يكتب الســـيئات.

وقال تعالى : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار ١٠-١٢] .

وعن علقمة بن الحارث المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلـى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلـــغ مـــا بلغـــت يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه) وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (أن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمـــل بـــه أو تتكلم) (١).

النـــــــص :

وآخرون بحفظ العبد قـــــد وكلوا حتى إذا جاءه المقدور لم يفـــــدوا

الشرح :

ومنهم الموكل بحفظ العبد في حله وارتحاله وفي نومه ويقظته وفي كل حالاته وهم المعقبات

(١) البخاري في الأيمان والنذور باب إذا حنث ناسيا ص١٢٧٢/ ح٦٦٦٤ ومسلم في الإيمان باب تجاوز الله عن حديـــث النفـــس ؟ ح١٢٧ ص ٧٦ .

قال تعالى : ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد:١٠-١١]. وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام:٦١].

قال ابن عباس المعقبات ملك موكل به يوقظه من الجن والإنس والهوام فما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك وراءك إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه[1].

وهذا ما أراده الناظم بقوله : (حتى إذا جاءه المقدور لم يفلوا) فهم يحفظونه بأمر الله لهم حتى إذا جاء قدر الله تخلوا عنه فلم يمنعوا عنه ذلك القدر بحفظهم له . وقال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الأنبياء:٤٢]. أي بدل الرحمن، يمتن سبحانه وتعالى بنعمته على عبيده وحفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام. أ . هـ[2]

والموت وكل حقا بالوفاة لروح العبد قبضا إذا منها خلا الجسد

ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه وقد جاء في بعض الآثار تسمية عزرائيل قال تعالى : ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝ ﴾ [السجدة:١١]. وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ۝ ﴾ [الأنعام:٦١-٦٢]. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝ ﴾ [الأنفال:٥٠]. وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ ﴾ [النحل:٢٨-٣٢]. وغيرها من الآيات وقد جاء في الأحاديث أن أعوانه يأتون العبد بحسب عمله إن كان محسنا ففي أحسن هيئة وأجمل صورة وأعظم بشارة وإن كان مسيئا ففي أشنع هيئة وأفظع منظر بأغلظ وعيد ثم يسوقون الروح حتى إذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت ولا يدعونها في يده بل يضعونها

---

(١) ابن كثير ج٢ / ٥٢٢ .

(٢) المرجع السابق ج٣ ص ١٨٨ .

في أكفان وحنوط يليق بها كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾. إلى قوله ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٨٣-٩٦].

النص ومنكر ونكير وكلا سـؤا ل العبد في القبر عما كان يعتقد

ومنهم الموكل بفتنة القبر وهما منكر ونكير فيسألان الإنسان عما كان يعتقده .

كما جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعا وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين)[١].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (إذا أقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت)[٢].

النـص : كذاك رضوان في أعـوانه خزنـوا لجنة الخلد بشرى من بها وعـدوا

الشرح : ومنهم خزنة الجنة ومقدمهم رضوان عليه السلام قال تعـالى : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣]. وقال تعـالى : ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٣-٢٤].

ثم يقول الناظم (بشرى من بها وعدوا) من البشارة وهي الخبر السار، أي بالعظم البشـارة

---

(١) البخاري في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر ص ٢٦٧ ح ١٣٧٤ ، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب عـرض مقعـد الميت من الجنة أو النار ص ١١٥٠ ح ٢٨٧٠.

(٢) البخاري في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر ص ٢٦٦ح١٣٦٩ ، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميـت من الجنة أو النار ص ١١٥١ ح ١٨٧١.

لهم بدخولهم الجنة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾ [فصلت:٣٠].

النص :

كـذا زبانية النيران يقدمهم ... في شأنها مالك بالغيظ يتقد

الشرح : ومنهم خزنة جهنم عياذا بالله منها وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر ومقدمهم مالك عليه السلام (بالغيظ يتقد) كناية عن شدة الغضب قال تعالى : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ [الزمر:٧١].

وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم:٦]. وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : (**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**) [(١)].

النص :

وآخرون فسياحون حيث أتوا ... مجالس الذكر حفوا من بها قعدوا

الشرح : ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم بهم منهم: (ما يقول عبادي؟) قالوا يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك) وقال ﷺ: (**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده**) [(٢)].

النص :

وغيرهم من جنود ليس يعلمها ... إلا العليم الخبير الواحد الأحد

الشرح : في هذا البيت يشير الناظم إلى كثرة عدد الملائكة وأنه لا يعلم عددهم إلا الله قال تعالى:

---

(١) مسلم باب في شدة حر نار جهنم ص ١١٤١ ح ٢٨٤٢ .

(٢) مسلم في الذكر باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ص ١٠٨٢ ح ٢٦٩٩.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٣١].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى) (١).

المبحث الخامس

بـــاب الإيمـــان بكتـــب الله المنـــزلة

النـــص:

وكتبه بـالهدى والحـق منــزلة   نورا وذكرى وبشرى للذين هــدوا

الشرح:

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى الركن الثالث من أركان الإيمان وهو الإيمـــان بكتب الله المنـــزلة فيقول إن هذه الكتب السماوية منـــزلة من عند الله تعالى بالهدى والحق فـــهي تحمل في طياتها هداية البشر إلى طريق الخير والرشاد الذي فيه خيرا الدنيا والآخرة إن هم آمنوا بهـــا وصدقوها كما أن كل ما تضمنته حق لا باطل فيه، ذلك أنها منـــزلة من لدن حكيم خبير، كمـــا أن هذه الكتب هي النور الذي ينير للبشرية طريقها وهي السبيل لتذكرهم بالله والرجوع بهـــم إلى دين الله الحق كما أنها تحمل لهم البشارة بالفوز في الدنيا والآخرة إن هم اهتدوا بهداها وآمنوا بهـــا، قال تعـــالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦].

---

(١) رواه أحمد ج٥/ ص١٧٣، والترمذي في الزهد باب قول النبي ﷺ لو تعلمون ما أعلم ج٤ / ص ٥٥٦/ ح٢٣١٢ وقال هـــذا حديث حسن غريب، وابن ماجه في الزهد باب الحزن والبكاء ج٢ / ص ١٤٠٢ / ح ٤١٩٠، والحاكم في المستدرك ج٢/ ص ٥١٠ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي.

وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء:١٣٦].

معنى الإيمان بالكتب السماوية :

هو التصديق الجازم بأن لله تعالى كتبا أنزلها على رسله ، وأنها نور وهدى ، وأن ما تضمنته حق وصدق، وأنه لا يعلم عددها إلا الله ، وأنها جميعها يصدق بعضها بعضاً، وانه يجب علينا الإيمان بها جملة وتفصيلاً والإقرار بأنها كلام الله تعالى لا كلام غيره تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد(1).

فمنها ما خطه الله تعالى بيده وأسمعه لرسوله من وراء حجاب دون واسطة كالتوراة الذي أنزله الله على سيدنا موسى عليه السلام قال تعالى : ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى ﴾ [الأعراف:١٤٤]. والألواح التي أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام قال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا ۚ ﴾ [الأعراف:١٤٥].

ومنها ما يسمعه للرسول الملكي ويأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشري كما أوحى الله تعالى إلى سائر رسله قال تعالى :﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشورى:٥١] (2).

كيفية الإيمان بالكتب السماوية :

سبق وأن ذكرنا أنه يجب علينا الإيمان بالكتب السماوية جملة وتفصيلا، وذلك تفصيلا فيما فصل ، وإجمالاً فيما أجمل، ذلك أن الله تعالى قد سمى من كتبه التوارة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، والزبور على داود والقرآن على محمد وذكر صحف إبراهيم وموسى تفصيلاً فيجب

(1) انظر الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٦٠ ، ومعارج القبول ج٢ / ص ٦٧٢.

(2) انظر تفسير ابن كثير ج٢ / ص ٢٦٥ .

علينا الإيمان بها على هذا التفصيل الذي أخبرنا به الله تعالى، قال تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء:١٦٣].

وذكر أنه أنزل على رسله كتباً جملة لم يفصلها لنا فيجب علينا الإيمان بها جملة قال تعالى: ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ﴾ [الشورى:١٥].

وقال تعالى : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران:٧]. فيجب علينا الإيمان بكل ما أنزل الله من الكتب إجمالاً فيما أجمل وتفصيلا فيما فصل[1].

النص : ثم القرآن كلام الله ليس كما ... قال الذين على الإلحاد قد مردوا

جعد وجهم وبشر ثم شيعتهم ... ألا فبعدا لهم بعدا وقد بعدوا

المفردات : مردوا : المارد العاتي ، وهو الذي استكبر وتجاوز الحد[2] والمراد أنهم استكبروا وتجاوزوا الحد في الإلحاد.

الشرح : بعد أن تحدث الناظم في البيت السابق عن الكتب السماوية جملة شرع هنا في الحديث عن خاتم هذه الكتب وأعظمها عند الله تعالى وهو القرآن الكريم، الذي نزل به الروح الأمين على سيدنا محمد ﷺ بلسان عربي مبين قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥]. فذكر أن القرآن الكريم كلام الله تعالى وليس كما يزعم أهل الإلحاد الذين تجاوزا الحد في استكبارهم وعنادهم ، كالجعد بن درهم[3]، والجهم بن صفوان[4]،

(١) انظر فيما سبق الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٦٠-٦٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٢٤-٤٢٦ معارج القبول ج٢ / ص ٦٧١-٦٧٥ ، الإيمان أركانه حقيقته ونواقضه للدكتور محمد نعيم يس ص ٦٥-٦٦ ، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد للدكتور صالح بن فوزان الفوزان ص ١٤٩-١٥١.

(٢) انظر لسان العرب ج٣ / ص ٤٠٠ وج ١٥ / ص ٢٧ .

(٣) هو الجعد بن درهم من الموالي مبتدع له أخبار في الزندقة قال عنه الذهبي : (عداده في التابعين مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا و لم يكلم موسى تكليما فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر) وقتله خالد القسري يوم النحر سنة ١١٨هـ في العراق حيث قال أيها الناس ضحوا فإني مضح بالجعد بن درهم . انظر :لسان الميزان ج٢/ ص ١٠٥، وميزان الاعتدال ج١/ ص ١٨٥، والكامل لابن الأثير ج٥/ ص ١٦٠ ، والأعلام ج٢ / ص ١٢٠.

(٤) سبق التعريف به في المقدمة ص ٥٠ .

وبشر المريسي[1] ومن سار على نحوهم واتبعهم في منهجهم الضال الذي يزعمون فيه أن القرآن الكريم مخلوق، لكن قبل الحديث عن القرآن الكريم وبيان أنه كلام الله منزل غير مخلوق والرد على أهل الزيغ والإلحاد ينبغي لنا أولا أن نبين أن الله تعالى متصف بصفة الكلام كما ينبغي لجلاله وعظمته .

مذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى :

هو الإعتقاد الجازم بأن الله متكلم بكلام قديم النوع حادث الآحاد[2]، وأنه لم يزل يتكلم إذا شاء بما شاء وأنه يتكلم بكلام يسمعه من شاء من خلقه، سمعه منه موسى والأبوان[3] بلا واسطة ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه يكلم المؤمنين ويكلمونه في الآخرة.

وقد دل القرآن الكريم والسنة النبوية والمعقول وكلام السلف على أنه سبحانه يتكلم بمشيئته، كما دل على أن كلامه صفة قائمة بذاته وهو صفة ذات وفعل[4].

الأدلة المثبتة لصفة الكلام :

أولاً : من القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:٢٥٣].

وقال تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء:١٦٤].

وقال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الكهف:١٠٩].

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ [التوبة:٦].

---

(١) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي ، أبو عبد الرحمن فقيه معتزلي ، عارف بالفلسفة ، يرمي بالزندقة وهو رأس الطائفة المريسية القائلة بالارجاء وإليه نسبتها ، وهو من أهل بغداد عاش فيها سبعين عاما توفي سنة ٢١٨ هـ . انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج١/ص ٩١ ، وتاريخ بغداد ج٧/ ص ٥٦ ، وميزان الإعتدال ج١/ص ١٥٠، والأعلام ج٢ / ص ٥٥ .

(٢) أي أن نوع الكلام قديم وان لم يكن الصوت المعين قديماً. شرح الطحاوية ص ١٧٤.

(٣) وهما آدم وحواء.

(٤) انظر الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٣٦٣-٣٦٤.

ثانياً : من أدلة السنة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (احتج آدم وموسى فقال له موسى ، أنت الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة ، فقال له آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومني على أمر قدر عليّ قبل أن أخلق) فقال رسول الله ﷺ (فحج آدم موسى) مرتين[1].

ثالثاً : من الأدلة العقلية :

١. أن الكلام صفة كمال وضدها صفة نقص وهي البكم والخرس وهذه الصفة تعتبر عيباً في المخلوق العاجز الضعيف فكيف يوصف بها من له الكمال المطلق من كل وجه، كما أن الله تعالى هو واهب الكمال للكاملين فكيف يهب للعبد ما هو عاجز عن الاتصاف به من صفات الكمال، ولله المثل الأعلى والكمال من جميع الوجوه فحيث نفينا عنه كل نقص وعيب فهو إذن المتصف بكمال ضد ذلك فلما كان ضد الكلام نقصا نزهناه عنه وأثبتنا له كمال ضده وهو الكلام الذي لا نظير له كسائر صفاته تعالى، ولقد قرر القرآن الكريم هذا المعقول أحسن تقرير فقال تعالى في العجل الذي اتخذه قوم موسى إلها يعبدونه من دون الله : ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف:١٤٨] وقال تعالى : ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [طه:٨٩]. فعاب الله تعالى العجل بكونه قد سلب صفة الكلام فدل ذلك على أن سلبها صفة نقص لا تليق بالإله المعبود وما كان ليعيب إلههم الباطل بما هو عيب فيه تعالى وتقدس عن ذلك.

٢. إن العباد لا غنى لهم عن إرسال الرسل وإنزال الكتب لأن أحوال الدنيا والآخرة لا تستقيم إلا بذلك بل إن الحكمة من خلقهم تنتفي بدون ذلك ويعيش الناس في الدنيا عيش البهائم بغير تكليف فلا أمر ولا نهي ، فلما كانوا لاغنى لهم عن ذلك أرسل الله الرسل وأنزل عليهم الكتب إذ لو تركهم لعقولهم لضلوا، وليس للرسول معنى إلا تبليغ الرسالة والرسالة إنما هي وحي الله الذي يوحيه إلى رسله ووحيه إنما هو كلامه ومنه كتبه المنزلة على رسله[2].

---

(١) البخاري كتاب الأنبياء باب وفاة موسى وذكره بعده ج٤ / ص١٢٥١ / ح٣٤٠٩ ، ومسلم في القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ص ١٠٦٣ – ١٠٦٤ ح ٢٦٥٢ .

(١) انظر العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع ص ٦٦-٧٨ .

رابعا : أقوال السلف :

عن عائشة رضي الله عنها قالت –في قصة الإفك- : (والله ما كنت أظن أن الله ينزل براءتي وحيا يتلى ، ولشأني في نفسي أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى . . .)[1]

مذهب أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم :

إن القرآن الكريم كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، ومعنى منه بدأ : أي أنه هو المتكلم به لم يخلقه في غيره كما قالت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة، وغيرهم من أنه بدأ من بعض المخلوقات كالشجرة التي كلم الله من عندها سيدنا موسى عليه السلام وأنه سبحانه لم يقم به كلام، ومعنى إليه يعود : أنه يرفع في آخر الزمان فلا يبقى منه حرف في المصاحف ولا آية في القلوب [2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

(والذي اتفق عليه السلف والأئمة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود وإنما قال السلف منه بدأ لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون أنه خلق الكلام في المحل، فقال السلف منه بدأ أي هو المتكلم به فمنه بدأ لا من بعض المخلوقات كما قال تعالى : ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الزمر:١]. وقال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾ [السجدة:١٣]. وقال تعالى : ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [سبأ:٦]. وقال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل:١٠٢].

ومعنى قولهم إليه يعود : أنه يرفع من الصدور والمصاحف فلا يبقى في الصدور منه آية ، ولا منه حرف كما جاء في عدة آثار [3].

---

(١) البخاري في الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضا ج٢ / ص ٩٤٢ م ح ٢٥١٨ .

(٢) انظر لوامع الأنوار البهية ج١ / ص ١٣٣ ، والفتاوي ج١٢ / ص ٣٧-٣٨ ، وشرح الطحاوية ص ١٧٤-١٧٧.

(٣) انظر الفتاوي ج٦ / ص ٥٢٨-٥٢٩ .

قال الإمام الطحاوي[1] :

(وأن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولا ، وأنزله على رسوله وحيا ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا ، وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال : ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر:٢٦]. فلما أوعد الله بسقر لمن قال : ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥]. علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ، ولا يشبه قول البشر)[2].

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم وهو المذهب الحق الذي ينبغي لكل مسلم الإيمان به والسير على هداه .

وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال :

١) أن كلام الله هو ما يفيض عن النفوس من المعاني إما من العقل أو من غيره، وهذا قول الصابئة والمتفلسفة .

٢) أنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه ، وهذا قول المعتزلة .

٣) أنه معنى واحد قائم بذات الله ، هو الأمر والنهي ، والخبر والاستخبار ، إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا ، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة ، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه .

٤) أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل وهذا قول طائفة من أهل الكلام.

٥) أنه حروف وأصوات لكن تكلم الله بعد أن لم يكن متكلما وهذا قول الكرامية.

٦) أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته وهذا يقوله صاحب المعتبر[3] ويميل إليه الرازي[4] في المطالب العالية .

---

[1] الإمام الطحاوي : هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي الحنفي (٢٣٩ - ٣٢١هـ) فقيه ومحدث ومؤرخ، من كتبه : العقيدة الطحاوية والمختصر في الفقه. انظر تذكرة الحفاظ ج٣ ص٢٨، وشذرات الذهب ج٢ ص ٢٢٨.

[2] انظر شرح الطحاوية ص ١٧٢.

[3] هو أبو البركات هبة الله بن ملكا الطبيب الفيلسوف ، كان يهودياً وأسلم ، وكتابه هو المعتبر في الحكمة ، وتوفي سنة نيف وخمسين وخمسمائة ، انظر سير أعلام النبلاء ج٢٠ / ٤١٩.

[4] هو العلامة الكبير ذو الفنون فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن القرشي البكري الطبرستاني ، الأصولي المفسر ، كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين ، ولد سنة ٥٤٤ هـ واشتغل على أبيه ضياء الدين الخطيب الرازي وانتشرت تواليفه في البلاد شرقاً وغرباً ، وكان يتوقد ذكاء وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وانحرافات عن السنة ، والله يعفو عنه فإنه توفي على طريقة حميدة والله يتولى السرائر توفي بهراة سنة ٦٠٦ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ج٢١ / ص ٥٠٠-٥٠١.

٧) أن كلامه يتضمن معناً قائماً بذاته هو ما خلقه في غيره وهذا قول أبي منصور الماتريدي[1].

٨) أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات وهذا قول أبي المعالي ومن تبعه .

٩) أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم به بصوت يسمع وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة[2].

ولا شك أن مذهب أهل السنة والجماعة هو المذهب الحق في هذه المسألة والذي ينبغي لكل مسلم أن يتبعه ويسير على نهجه .

أدلة القائلين بخلق القرآن الكريم والرد عليها :

الدليل الأول :

قولهم بأن القرآن شيء ، وقد استدلوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الرعد:١٦] . ولفظ كل يدل على العموم ، فالقرآن داخل في عموم ما خلق الله تعالى من الأشياء.

الرد عليهم :

إن صيغة كل وما يشابهها من صيغ العموم ، عموم كل منها هو بحسبه ، قال تعالى في ريح عاد : ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ ﴾ [الأحقاف:٢٥] . فالتدمير إنما كان بأمره تعالى، وأمره تعالى هو كلامه ، وقد دلت الآية على أن مساكنهم لم تدمر ، فدل ذلك على أن عموم كل كان في حق الكفار المستحقين للوعيد لا كل شيء حتى ما سواهم من الجماد وغيره .

وقال تعالى عن بلقيس : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النمل:٢٣].

ومعلوم أنها لم تؤت ملك سليمان ولا غير أرضها من الأرض .

---

(١) هو محمد بن محمد الماتريدي نسبة إلى قرية من قرى سمرقند ، إمام المتكلمين صاحب التصانيف في الفقه والأصول والعقائد، والتفسير، توفي سنة ٣٣٣هـ . انظر الفوائد البهية لمحمد بن عبد الحي اللكنوي ص ١٩٥ ، والأعلام ج٧ / ص١٩.

(٢) انظر شرح الطحاوية ص ١٧٣-١٧٤ ، والكواشف الجلية ص ٣٩٧-٤٠٠ ، والعقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف ص ٢٧٥ -- ٢٨٢ ، ومعارج القبول ج١ / ص ٣٩٧ .

وقد اثبت الله تعالى أن له نفسا حيث قال : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١١٦] وقال : ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه:٤١] ، وقال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران:١٨٥ والأنبياء:٣٥] ، فهل تدخل نفس الله تعالى في هذا العموم ؟

إن الأنفس التي تموت إنما هي الأنفس المخلوقة ، وأما الخالق تعالى بصفاته فهو حي لا يموت .

فدلت هذه النصوص على أن عموم (كل) إنما هو بحسب الموضع الذي وردت فيه ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد:١٦]. فالله تعالى شيء وصفته شيء قال تعالى : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام:١٩]. والمخلوق شيء والله تعالى هو الخالق، وليس بمخلوق وصفاته تابعة لذاته فليست مخلوقة والقرآن كلامه، وكلامه صفته وصفته غير مخلوقة، فالله شيء غير مخلوق وصفته شيء غير مخلوقة والمخلوق من وقع عليه فعل الخلق، وهو كل شيء سوى الله تعالى وصفته .

كما أن هؤلاء المعتزلة والجهمية ، أدخلوا صفة الله تعالى في عموم كل في هذه الآية وأخرجوا أفعال العباد من هذا العموم ، فكذبوا القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦]، وقال تعالى :﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد:١٦] ، فكذبوا على الله رب العالمين وألحدوا في آياته ، وصرفوا الآية عما هي له واحتجوا بها على ما ليست له.

الدليل الثاني :

قولهم بأن القرآن مجعول ، مستدلين على ذلك بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف:٣]. والجعل : الخلق .

الرد عليهم :

إن لفظ جعل يأتي بمعنى خلق وبغيره ، وهو لا يأتي بمعنى خلق إلا إذا تعدى إلى مفعول واحد، ومنه قوله تعالى :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الأنعام:١]. وقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف:١٨٩]. فجعل هنا بمعنى خلق .

وقد يتعدى إلى مفعول واحد ولا يكون بمعنى خلق كقولـــه تعـــالى : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ [الأنعام:١٠٠ والرعد ٣٣]. وقوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝ ﴾ [الفيل:٥]. فمن الواضـــح أن جعل ليست بمعنى خلق في هاتين الآيتين .

أما إذا تعدى إلى مفعولين فلا يكون بمعنى خلق بأي حال ومن ذلك قولـــه تعـــالى : ﴿ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ﴾ [البقرة:٦٦].

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [الأنبياء:٧٣].

وكذلك منه قوله تعالى : إنا جعلناه قرءانا عربيا) فالمفعول الأول الضمير، والمفعول الثاني قرءانـــا والمعنى : قلناه قرءانا عربياً ، أو بيناه .

فيبطل بذلك استدلال المعتزلة بفضل الله تعالى[1] .

الدليل الثالث :

قولهم بأن القرآن محدث ، مستدلين على ذلك بقوله تعـــالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ ﴾ [الأنبياء:٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝ ﴾ [الشعراء:٥].

وقالوا بأن معنى المحدث : المخلوق .

الرد عليهم :

إن قوله تعالى : (محدث) هي في الأصل من الحدوث وهو كون الشيء بعد أن لم يكـــن، والقرآن الكريم حين كان ينـــزل كان كلما نزل منه شيء كان جديدا على الناس لأنهم لم يكونوا علموه من قبل، فهو محدث بالنسبة للناس ، فقد قال تعالى : (ما يأتيهم) فهو محدث إليهم حـــين يأتيهم ، ومنه قول النبي ﷺ : (إن الله يحدث لنبيه ما شاء ، وإن مما أحدث لنبيه : أن لا تتكلمـــوا في الصلاة)[2].

وأمر الله تعالى هو قوله وكلامه ، وهو غير مخلوق ، وإنما هو محدث بالنسبة للعباد أي جديد عليهم لم يكونوا علموه من قبل، فليس المحدث هنا هو المخلوق كما يزعم أهل الباطل

---

[1] أنظر العقيدة السلفة ص ٢٨٥ —٢٨٧

[2] أحمد ج١ / ص ٣٧٧ ، ٤٣٥ ، ٤٦٣ ، وأبو داود ح ٩٢٤ ، والنسائي ج٣ / ص ١٩صححه الألباني أنظر صحيح ســنن أبي داود ج١ص٢٥٨.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (المحدث في الآية ليس هو المخلوق الذي يقوله الجهمي، ولكنه الذي أنزل جديدا ، فإن الله كان ينزل القرآن شيئا بعد شيء ، فالمنزل أولا هو قديم بالنسبة للمنزل آخرا ، وكل ما تقدم على غيره فهو قديم في لغة العرب)(١).

الدليل الرابع :

قولهم بأن الله جعل أمره مقدورا ، حيث قال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب:٣٨] وأمر الله كلامه ، والمقدور المخلوق .

الرد عليهم :

إن لفظ الأمر إذا أضيف إلى الله تعالى يأتي على تفسيرين :

الأول : يراد به المصدر ، كقوله تعالى : ﴿ لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف:٥٤]. وهذا يجمع على أوامر.

الثاني : يراد به المفعول الذي هو المأمور المقدور كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب:٣٨]. فالأمر في هذه الآية هو المأمور ، وهذا يجمع على (أمور) وهو مخلوق .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ففي قوله : (وكان أمر الله قدرا مقدورا) المراد به المأمور به المقدور وهذا مخلوق ، وأما في قوله : ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ﴾ [الطلاق:٥] . فأمره كلامه إذ لم ينزل إلينا الأفعال التي أمرنا بها ، وإنما أنزل القرآن ، وهذا كقوله : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء:٥٨]. فهذا الأمر هو كلامه)(٢).

فليس الأمر إذا على ما قالت الجهمية والمعتزلة من اختصاصه بالمفعول المقدور(٣).

الدليل الخامس :

قولهم بأن الله سمى عيسى عليه السلام كلمته فقال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ [النساء:١٧١]، وقال ﴿ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران:٤٥]

(١) انظر الفتاوى ج١٢ / ص ٥٢٢ .

(٢) انظر الفتاوى ج٨ / ص ٤١٢ .

(٣) العقيدة السلفية ص ٢٩١-٢٩٢.

وعيسى عليه السلام مخلوق فالكلمة مخلوقة :

الرد عليهم :

إن عيسى عليه السلام مخلوق خلقه الله بأمره حين قال له (كن) كما قال تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران:٤٧]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران:٥٩]. فكان عيسى عليه السلام بكلمة الله تعالى وقوله (كن) فالكلمة (كن) لا عين عيسى ، والمكون بها هو عين عيسى عليه السلام[1].

الدليل السادس :

قوله تعالى : ﴿ نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [القصص:٣٠].

فقد استدلوا بهذه الآية على أن القرآن الكريم مخلوق وأن الله خلقه في الشجرة، فسمعه موسى منها

الرد عليهم :

لقد قال الله تعالى قبل هذه الآية : (فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن) .

والنداء هو : الكلام من بعد ، فسمع موسى عليه السلام النداء من حافة الواد ، ثم قال تعالى : (في البقعة المباركة من الشجرة) أي أن النداء كان في البقعة المباركة من عند الشجرة، كما تقول: سمعت كلام زيد من البيت ، فيكون من البيت لابتداء الغاية لا أن البيت هو المتكلم ، فلماذا تجاهلتم ما قبل هذه الآية وما بعدها .

كما أنه لو كان الكلام مخلوقا في الشجرة لكانت الشجرة هي القائلة :﴿ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص:٣٠]، وهل قال إني أنا الله رب العالمين غير الله تعالى ؟ وهل يعقل أن تكون الشجرة هي المتكلمة بهذا الكلام؟ فأي غباء وأي سخف هذا ؟؟[2] .

الدليل السابع :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة:٤٠ والتكوير ١٩].

---

[1] العقيدة السلفية ص ٢٩٢-٢٩٣.

[2] شرح الطحاوية ص ١٨٠-١٨٣.

حيث قالوا بأن هذه الآية تدل على أن الرسول هو الذي أحدث هذا القول من عنده، وهذا الرسول إما سيدنا جبريل عليه السلام أو سيدنا محمد ﷺ .

الرد عليهم :

من المعروف أن الرسول هو المبلغ عن مرسله ما أرسله به ، وليس هو من أنشأ الكلام من عنده، والله سبحانه وتعالى لم يقل إنه قول ملك أو نبي ، فعلم من ذلك أنه بلغه عمن أرسله به ، لا أنه أنشأه من جهة نفسه .

وأيضاً فالرسول في إحدى الآيتين سيدنا جبريل عليه السلام وفي الأخرى سيدنا محمد ﷺ ، فإضافته إلى كل منهما تبين أن الإضافة للتبليغ ، إذ لو أحدثه أحدهما لامتنع أن يحدثه الآخر.

مما سبق يتضح لنا بطلان هذه الأدلة وأن الذين استدلوا بها إنما استدلوا بها في غير مواضعها التي وضعت لها وحرفوا كلام الله تعالى عن مواضعه بما يوافق مذهبهم الباطل(1).

النص :

تكلم الله رب العالمين به قولا وأنزله وحيا به الرشد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حروفه ومعانيه وهو قول الله تعالى ليس قول غيره وأن الله تعالى أنزله وحيا على سيدنا محمد ﷺ . والذي نزل به هو سيدنا جبريل عليه السلام فكل من الرسول ﷺ وجبريل عليه السلام مبلغ عن ربه وليس أحدهما من أنشأ هذا الكلام من عنده بل هو كلام الله تعالى حروفه ومعانيه تكلم به تعالى وأنزله وحيا فيه الرشد والخير والفلاح لمن اتبعه.

والناظم رحمه الله يشير بذلك إلى مذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله وهو أن كلامه تعالى مؤلف من حروف إن شاء جعلها عربية وإن شاء جعلها عبرانية وإن شاء جعلها غير ذلك فهو المتكلم بحروف التوارة والإنجيل وغيرها من كلامه ، وكلامه تعالى بصوت وهو كسائر صفاته فكما أنها لا تشبه صفات المخلوقين فصوته تعالى لا يشبه أصواقم وقياس الخالق على المخلوق تشبيه والله تعالى ليس كمثله شيء في ذاته وجميع صفاته .

---

(1) شرح الطحاوية ص ١٨٣-١٨٥ ولوامع الأنوار البهية ص ١٣٧ .

وهو بذلك يرد على أهل البدع والأهواء ممن قالوا بخلاف ذلك إذ زعموا أن كلام الله يجب ألا يكون حروفا حتى لا يشبه كلام المخلوقين متجاهلين أن الإتفاق في أصل الحقيقة ليس بتشبيه، كما أن اتفاق البصر في أنه إدراك المبصرات ، والسمع في أنه إدراك المسموعات، والعلم في أنه إدراك المعلومات ، ليس بتشبيه كذلك ، ويلزمهم إن نفوا هذه الصفة لكونه تشبيها أن ينفوا سائر الصفات من الوجود والحياة والعلم . . . . الخ.

وزعموا أيضا أن الحروف تحتاج إلى مخارج وأدوات ، فالجواب عن ذلك أن احتياجها لذلك في حقنا لا يوجب ذلك في كلام الله تعالى ، فضلا عن أن بعض المخلوقات لم تحتج إلى مخارج في كلامها كالأيدي والأرجل والجلود التي تتكلم يوم القيامة فكيف بالله تعالى، وقولهم هذا هو عين التشبيه الذي يفرون منه[١].

فكونه مؤلف من حروف ظاهر لا يحتاج إلى استدلال إذ أن كل أحد يعلم أن (قل هو الله أحد) مثلا آية وهي أربع كلمات كل كلمة مؤلفة من حرفين أو أكثر وهي كلمات عربية وحروف عربية ، وكذلك فكل من يقرأ (الم – المر – كهيعص . . . الخ لا يخطر بباله غير أنها حروف وليس لها تسمية إلا هذه).

ومع ذلك نجد بعض أهل البدع ينازع في إطلاق لفظ (الحرف) ويقول إن إطلاقه يحتاج إلى دليل وذلك نوع من المكابرة التي هي سمة أهل البدع، إضافة إلى أنه نوع من الجهل والغباء إذ أن ألفاظ القرآن الكريم مكونة من حروف ولا يخطر ببال أحد أن لها تسمية غير الحروف. والأدلة على ذلك كثيرة منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : **بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال: (هذا باب من السماء فتح اليوم ، فنزل منه ملك فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال : (أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك ، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته)**[٢].

وأما كلامه تعالى بصوت فقد قامت الدلائل القواطع على إثباته منها :

١) تكليمه تعالى موسى عليه السلام قال تعالى :﴿ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ [طه:١٣] فدل هذا

---

(١) انظر لوامع الأنوار البهية ج١ / ص ١٣٨-١٣٩ .

(٢) مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ص ٣١٥ ح ٨٠٦ .

على أنه سمع كلام الله ، ولا يسمع إلا الصوت والله تعالى قد خاطبنا باللسان العربي المبين الذي نفهمه وليس هناك سماع يحدث من غير صوت ، وكلام الله تعالى لموسى عليه السلام إنما هو كلام مسموع بالآذان (١).

٢) إخباره تعالى عن ندائه لموسى عليه السلام ولعباده يوم القيامة، قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ ﴾ [النازعات:١٥-١٦].

وقال تعالى : ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝ ﴾ [مريم:٥٢].

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ ﴾ [القصص:٦٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝ ﴾ [القصص:٦٢-٧٤].

قال شيخ الإسلام : (والنداء في لغة العرب : هو صوت رفيع ، ولا يطلق النداء على ما ليس بصوت لا حقيقة ولا مجازا) .

فدل هذا على أنه تعالى نادى موسى عليه السلام بصوت يسمعه منه ، وينادي عباده يوم القيامة بصوت يسمعونه منه .

النص :

نتلوه نسمعه نراه نكتبه	خطا ونحفظه بالقلب نعتقد
وكل أفعالنا مخلوقة وكذا	آلاتنا الرق والأقلام والمدد
وليس مخلوقاً القرآن حيث تلي	أو خط فهو كلام الله مسترد

الشرح : في هذه الأبيات يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن تلاوتنا للقرآن وسماعنا له من غيرنا، وكتابتنا له وحفظنا له كل ذلك يكون مع اعتقادنا التام بأنه كلام الله تعالى منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، وكل الأفعال التي نقوم بها من حفظ وتلاوة وسماع وكتابة إنما هي مخلوقة ، وكذلك آلات الكتابة من الأقلام والأوراق والمداد فهي أيضاً مخلوقة لله تعالى ، أما القرآن الذي نتلوه ونسمعه ونكتبه بأفعالنا فليس بمخلوق لله تعالى بل هو كلام الله وكلام الله صفة من صفاته وكل صفاته تعالى أزلية وليس شيء منها مخلوق ، تعالى الله عن ذلك وتعالى أن يكون ذاته محلا

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ج٢ / ص ٩٣ .

للحوادث فأعمال العباد مخلوقة والقرآن حيثما تصرف وأين كتب وحيث تلي فهو كلام الله تعالى منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، فالصوت للقارئ لكن المتلو المؤدي بذلك الصوت هو قول الباري سبحانه وتعالى [(١)].

قال شيخ الإسلام : (فإن القرآن كلام الله تعالى تكلم به بلفظه ومعناه ، بصوت نفسه ، فإذا قرأه القراء قرءوه بصوت أنفسهم فإذا قال القارئ (الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم) كان هذا الكلام المسموع منه كلام الله لا كلام نفسه ، وكان هو قراءة بصوت نفسه لا بصوت الله فالكلام كلام البارئ والصوت صوت القارئ) [(٢)].

وقال أيضاً : (فمن قال إن حروف المعجم كلها مخلوقة وأن كلام الله تعالى مخلوق فقد قال قولا مخالفا للمعقول الصريح، والمنقول الصحيح، ومن قال نفس أصوات العباد أو مدادهم أو شيئاً من ذلك قديم فقد خالف أيضاً أقوال السلف وكان فساد قولهم ظاهراً لكل أحد وكان مبتدعا قولا لم يقله أحد من أئمة المسلمين ولا قالته طائفة كبيرة من طوائف المسلمين بل الأئمة الأربعة وجمهور أصحابهم بريئون من ذلك ومن قال إن الحرف المعين أو الكلمة المعينة قديمة العين فقد ابتدع قولا باطلا في الشرع والعقل.

ومن قال إن جنس الحروف التي تكلم الله بها في القرآن وغيره ليست مخلوقة وأن الكلام العربي الذي تكلم به ليس مخلوقا والحروف المنتظمة منه جزء منه ولازمة له وقد تكلم بها فلا تكون مخلوقة فقد أصاب[(٣)].

النص :

والواقفون فشر نحلة وكذا   لفظية ساء ما راموا وما قصدوا

الشرح :

يشير الناظم -رحمه الله- إلى فرقتين من الفرق التي ضلت في مسألة القرآن الكريم وهما : الواقفة واللفظية .

فأما الواقفة فهم الذين يتوقفون في القرآن الكريم فلا يقولون إنه مخلوق أو غير مخلوق بل يقولون هو كلام الله ويتوقفون .

---

(١) انظر معارج القبول ج١ / ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ، وشرح الطحاوية ص ١٩٠-١٩٥ .

(٢) انظر الفتاوي ج١٢ / ص ٥٣ .

(٣) انظر الفتاوي ج١٢ / ص ٥٤-٥٥ .

ومن المعلوم أن السلف الصالح كانوا يقولون القرآن كلام الله وهم في غنى عن أن يقولوا إنه ليس مخلوق لعلمهم أن صفات الله تابعة لذاته غير مخلوقة ، ولكن لما ظهرت البدعة القائلة بخلق القرآن عقل أهل السنة خطرها فردوها وابطلوها بقولهم القرآن كلام الله منــزل غير مخلوق، غير أن فرقة الواقفة تورعوا عن القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق خوفا من الوقوع في البدعة، وهو ورع مبني على جهل لأن هذه المسألة كانت حديثة على أذهانهم فوقعوا بذلك في البدعة التي فروا منها .

فلما وقع الناس في هذه البدعة وعظم خطرها وجب إظهار الحق في هذه المسالة وهو ما فعله أئمة أهل السنة بقولهم : (القرآن كلام الله منــزل غير مخلوق).

وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله[1] : (هل لهم رخصة أن يقول الرجل: القرآن كلام الله تعالى ثم يسكت؟ فقال و لم يسكت؟ لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا لأي شيء لا يتكلمون ؟).

قال الحافظ أبو بكر الآجري[2] : (معنى قول أحمد بن حنبل في هذا المعنى، يقول: لم يختلف أهل الإيمان أن القرآن كلام الله عز وجل فلما جاء جهم فأحدث الكفر بقوله : (إن القرآن مخلوق، لم يسع العلماء إلا الرد عليه بأن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق بلا شك ولا توقف فيه ، فمن لم يقل غير مخلوق سمي واقفيا شاكا في دينه[3].

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله : (وقضى السلف الصالح رحمهم الله على الطائفة الواقفة وهم القائلون لا نقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق بأن من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي ومن لم يحسن الكلام منهم بل علم أنه كان جاهلا جهلا بسيطا فهو تقام عليه الحجة بالبيان والبرهان ، فإن تاب وآمن أنه كلام الله تعالى ، وإلا فهو شر من الجهمية)[4].

---

[1] الإمام أحمد بن حنبل : هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي ثم البغدادي، المولود ١٦٤هـ المتوفي ٢٤١هـ، علم الأعلام وإمام أهل السنة، وصاحب المذهب الفقهي المعروف، وقف سدا منيعا في وجه المعتزلة أيام المحنة، وأبلى بلاءا حسنا، حتى نصر الله السنة على يديه، من كتبه المسند والزهد، وفضائل الصحابة. أنظر تاريخ بغداد ج٤ص٤١٢هـ وتهذيب الكمال ج١ ص٤٣٧ وسير أعلام النبلاء ج١١ ص١٧٧.

[2] الحافظ أبو بكر الآجوري: هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي المتوفي سنة ٣٦٠هـ فقيه ومحدث صاحب تصانيف، من كتبه الشريعة، وتحريم النرد والشطرنج وأخبار عمر بن عبد العزي. أنظر تاريخ بغداد ج٢ ص ٢٤٣، والمنتظم لابن الجوزي ج٧ص ٥٥.

[3] انظر الشريعة للآجري ص (٨٧).

[4] انظر معارج القبول ج١ / ص ٢٨٠.

وأما اللفظية فهم القائلون ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة ، وينقسمون إلى قسمين :

١) لفظية نافية : وهم القائلون : (ألفاظنا بالقرآن مخلوقة) ويريدون بذلك أن القرآن العربي مخلوق وأن جبريل إنما نزل بقرآن مخلوق، فعندهم أن القرآن الذي يتلوه الناس بألسنتهم وأصواتهم مخلوق ليس منزلا من الله تعالى وليس هو الذي تكلم به .

ولا شك أن هذه العقيدة باطلة لأنها منافية لما تقرره النصوص الشرعية ، ولما أثبته أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى ، والذي سبق وأن بيناه.

٢) لفظية مثبتة : وهم القائلون : (ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة) ويريدون بهذا الإطلاق اللفظ الذي هو كلام الله المؤلف من الحروف العربية ويريدون به أيضاً الرد على اللفظية النافية القائلون: (ألفاظنا بالقرآن مخلوقة) .

ولكنهم حين أطلقوا هذه المقالة – مع صحة مرادهم – جاء من بعدهم أقوام وافقوهم في إطلاق اللفظ وادخلوا في ذلك فعل العبد وحركته وصوته ، ومما أوقعهم في ذلك إطلاقهم القول بأن التلاوة هي المتلو ، والقرآن هو المقروء وقد بينا فساد هذا الإطلاق .

وقد منع الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إطلاق مثل هذا اللفظ : (ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة) لأمرين :

الأول : أنه لفظ مبتدع لم يتكلم فيه السلف .

الثاني : لما يجره من الوقوع في المحظور ، كما جر بعض من جاء بعد من أتباع هذه المقالة فمنهم من توقف: هل يدخل في اللفظ صوت العبد وحركته ؟ أم لا ؟ وتجرأ آخرون وأدخلوا فعل العبد وحركته وصوته [1].

وبهذا يتضح لنا بطلان مذهب كلا الفريقين .

وقول الناظم –رحمه الله تعالى : (ساء ما راموا وما قصدوا) يريد به إبطال قول كلا الطائفتين كما فعل أهل السنة والجماعة .

---

(١) انظر العقيدة السلفية ص ٢٤٨ .

المبحث السادس

باب الإيمان بالرسل عليهم السلام

النـــــــص :

والرسل حق بلا تفريـــق بينهموا　　　وكلهم للصـــراط المستقيم هدوا

الشرح :

في هذا البيت وما بعده يشير الناظم -رحمه الله- إلى الركن الرابع من أركان الإيمان وهـــو الإيمان بالرسل عليهم السلام .

والراجح في تعريف الرسول والنبي هو ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتـــاب النبوات .

إن الرسول والنبي كلاهما أوحي إليهما وأمرا بالتبليغ فإن كان المرسل إلى قوم كافرين فـــهو نبي ورسول مثل نوح ولوط وهود وصالح عليهم السلام .

وإن كان النبي مرسلا إلى قوم مؤمنين فهو نبي مثل أنبياء بني إســـرائيل حيـــث كـــانت شريعتهم كلها التوراة المنـــزلة إلى موسى عليه السلام[1] فكل من النبي والرسول يوحى اليه لكـــن النبي قد يبعث في قوم مؤمنين بشرائع سابقة كأنبياء بني اسرائيل، يأمرون بشريعة التـــوراة، وقـــد يوحى إلى أحدهم وحي خاص في قضية معينة، وأما الرسل فإنهم يبعثون في قوم كفار يدعونهـــم إلى توحيد الله وعبادته، فهم يرسلون إلى مخالفين فيكذبهم بعضهم.

معنى الإيمان بالرسل :

هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحـــده لا شريك له والكفر بما يعبد من دونه .

قال تعـــالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

وأن جميعهم صادقون بارون راشدون ، كرام بررة، أتقياء أمناء ، هـــداة مـــهتدون، وبالـــبراهين الظاهرة والآيات الباهرة مؤيدون ، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به لم يكتموا منـــه حرفـــا و لم يغيروه و لم يزيدوا فيه ، من عند أنفسهم حرفا و لم ينقصوه وأنهم كلهم كانوا على الحـــق المبـــين

---

(١) من كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله . بتصرف ٢٨١ – ٢٨٤ .

والهدى المستبين (١).

قال تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النحل:٨٢].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور:٥٤].

يجب علينا الإيمان بمن سمى الله في كتابه الكريم من رسله عليهم السلام والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلا سواهم لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله الذي أرسلهم .

قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [النساء:١٦٤].

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر:٧٨].

كما يجب علينا عدم التفريق بينهم ذلك أن الإيمان برسل الله عز وجل متلازم من كفر بواحد منهم فقد كفر بالله وبجميع الرسل عليهم السلام(٢).

قال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١٥٠-١٥٢].

فيجب علينا الإيمان برسل الله جميعا تفصيلا فيما فصل وإجمالا فيما أجمل.

(وللصراط المستقيم هدوا).

أي أن هؤلاء الرسل هداة مهتدون فقد هداهم الله تعالى إلى صراطه المستقيم ووفقهم لاتباع الحق، فقد هداهم الله تعالى هداية التوفيق والتسديد والتثبيت ، وهم بذلك مهتدون للحق.

---

(١) انظر شرح الطحاوي ج٢ ص ٦٧٧ .

(٢) المرجع السابق ج٢ / ص ٦٧٨ .

وهم هداة أي أنهم يهدون الناس هداية الدعوة والدلالة والإرشاد إلى سبيل الهدى كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد:٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى:٥٢].

أما هداية التوفيق والتسديد والتثبيت فليست إلا بيد الله تعالى فهو مقلب القلوب ومصرف الأمور ليس لملك مقرب ولا نبي مرسل التصرف في شيء منها فضلا عما دونهما .

قال تعالى : ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة:٢٧٢]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦].

النص :

وبالخوارق والإعجاز أيدهم ربي على الحق ما خانوا وما فندوا

المفردات : فندوا : كذبوا (١).

الشرح :

يشير الناظم -رحمه الله- في هذا البيت إلى أن الله تعالى قد أيد رسله بالمعجزات الباهرة، الخارقة لعادات البشر والتي تدل على صدقهم فيما يخبرون الناس به ، وأنهم ليسوا خائنين ولا كاذبين.

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [غافر:٧٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (المعجزة تعم كل خارق للعادة في اللغة، وفي عرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره — ويسمونها الآيات- لكن كثير من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما ، فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي، وجمعهما الأمر الخارق للعادة(٢).

النص :

وفضل الله بعض المرسلين على بعض بما شاء في الدنيا وما وعدوا

(١) انظر لسان العرب ج٢ / ص ٣٣٩ .

(٢) انظر الفتاوي ج١١/ ص ٣١١ .

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الله تعالى قد فضل بعض النبيين على بعض، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۢ ﴾ [الإسراء:٥٥].

وقال تعالى : ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍۢ ﴾ [البقرة:٢٥٣].

والمراد بتفضيل بعضهم على بعض : (أن الله جعل لبعضهم من مزايا الكمال فوق ما جعله للآخر فكان الأكثر مزايا فاضلا والآخر مفضولا) (١).

فأفضل الأنبياء والرسل هم أولوا العزم وهم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ﷺ .

وقد ذكرهم الله تعالى في قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ ﴾ [الأحزاب:٧].

وقوله تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِۚ ﴾ [الشورى:١٣].

وأفضل أولي العزم سيدنا محمد ﷺ والأدلة على ذلك كثيرة منها قول الرسول ﷺ : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع) (٢).

وقوله ﷺ (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم) (٣).

ولا تعارض بين هذه الأدلة وبين قول الرسول ﷺ : (لا تفضلوني على موسى) (٤).

إذ أن المراد بهذا النهي النهي عن تفضيل رسول بعينه ، كأن نقول: موسى أفضل من عيسى، وكذلك إذا كان التفضيل على وجه الفخر أو الحمية أو العصبية، وإذا كان على وجه الانتقاص بالمفضول والتقليل من شأنه(٥).

---

(١) انظر فتح القدير ج١ / ص ٣٤٤ .

(٢) مسلم في الفضائل باب تفضيل سيدنا محمد على جميع الخلائق ص ٦٣٥ ح ٢٢٧٨ .

(٣) مسلم في الفضائل باب فضل نسب النبي ﷺ ص ٦٣٥ ح ٢٢٧٦ .

(٤) سبق تخريجه ص ١٠١ .

(٥) شرح الطحاوية ص ١٥٩ – ١٦٠ .

وقد أيد الله سبحانه وتعالى سيدنا محمدا ﷺ بالكثير من المعجزات التي تدل على صدق نبوته، وكان أعظم هذه المعجزات القرآن الكريم الذي تحدى الله سبحانه وتعالى الكفار أن يأتوا ولو بآية واحدة من مثله فلم يستطيعوا .

قال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝ ﴾ [البقرة:٢٣-٢٤].

فقد تحدى الله سبحانه وتعالى الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة واحدة من مثله فما استطاع أحد منهم منذ بعث الله سيدنا محمد ﷺ إلى عصرنا هذا وإلى الأبد أن يأتي بكتاب مثله أو بمثل سورة منه على الرغم من وجود أعداء كثيرين للرسول ﷺ ولدين الإسلام في عصور التاريخ المختلفة لكنهم وقفوا عاجزين أمام هذه المعجزة الباهرة ، والخالدة على مر العصور.

النص :

من ذاك أعطى لإبراهيم خلته　　　كذا لأحمد لم يشركهما أحد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى بعض الأمور التي فضل الله بها بعض الأنبياء على بعض، ومن تلك الأمور أن الله قد خص سيدنا إبراهيم وسيدنا محمدا ﷺ بأعلى مراتب المحبة وهي الخلة فكلاهما خليل الرحمن، كما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا) (١).

وقال ﷺ : (لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكنه أخي وصاحبي ، وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلا) (٢).

وبهذين الدليلين يبطل قول من قال الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد ﷺ ، فالمحبة قد ثبتت لغير الرسول ﷺ كما قال تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝ ﴾ [آل عمران:٧٦].

---

(١) مسلم في المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور ص ٢١٤ ح ٥٣٢ .

(٢) مسلم في الفضائل باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ص ٩٧١ ح ٢٣٨٣ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢]

بل إن الخلة خاصة بهما والمحبة عامة(١).

النـــص :

وكلم الله موســـى دون واسطة حقـــا وخط له التوراة فاعتمدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى بعض الأمور التي خص الله بها سيدنا موســى عليه السلام على سائر الرسل، فيذكر من هذه الأمور تكليم الله تعالى له دون واسـطة مـن وراء حجاب وذلك حينما كلمه الله تعالى في طور سيناء دون واسـطة قـال تعـالى : ﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ [طه:١٠-١٣].

وقال تعـالى : ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٤].

وقال تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤].

وقول الناظم رحمه الله (حقاً) يريد به الرد على من أنكر كلام الله تعالى وزعم أن الله خلق الكـلام في غيره. كما سبق تفصيل ذلك في باب الإيمان بالكتب السماوية.

ثم يذكر الناظم -رحمه الله- أن من الأمور التي اختص بها سيدنا موسى عليه السلام أن الله تعـالى أنزل عليه التوارة عند جبل الطور فيها المواعظ وتفصيل كل شيء وهي هدى ورحمة لمن آمن بهـا واتبعها .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة:٥٣].

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص:٤٣].

ومن معجزات سيدنا موسى عليه السلام أنه كان يدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سـوء،

---

(١) شرح الطحاوية ص ١٦٤ — ١٦٥ .

ويلقي عصاه على الأرض فتتحول إلى حية تأكل كل ما يصنعه السحرة، قال تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ۝ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۝ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ۝ ﴾ [طه:١٧-٢٢].

النــــــص :

وكان عيســـى بإذن الله يبرئ مــــن علات ســـوء ويحيي الميت قد فقدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى بعض الأمور التي فضل الله بها سيدنا عيســـى عليه السلام فيذكر منها أنه يشفي من بعض الأمراض ويحيى الموتى بإذن الله .

قال تعـــالى : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ ﴾ [آل عمران:٤٩].

فهذه الآية تبين لنا بعض معجزات سيدنا عيسى عليه السلام والتي منها :

١) أنه يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله .

٢) أنه يبرئ الأكمة وهو الذي يولد أعمى على أصح الأقوال[١] والأبرص والبرص مرض يصيب الجلد فيغير لونه.

٣) أنه يحيي الموتى بإذن الله .

٤) أنه يخبر الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم .

وكل هذه المعجزات تكون بأمر الله تعالى الذي إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون.

قال ابن كثير رحمه الله : (قال كثير من العلماء بعث الله كل نبي من الأنبياء بمـــا يناســـب أهـــل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر، وتعظيم السحرة فبعثـــه الله بمعجـــزة

---

(١) تفسير ابن كثير ج١ / ص ٣٧٣ .

بهرت الأبصار وحيرت كل سحار فلما استيقنوا أنها من عند العزيز الجبار انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار ، وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدا من الذي شرع الشريعة فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمة والأبرص ، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد، وكذلك محمد ﷺ بعث في زمان الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء ، فأتاهم بكتاب من الله عز وجل فلو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وما ذاك إلا أنه كلام الرب عز وجل لا يشبه كلام الخلق أبدا)[1].

النــــص :

والكل في دعوة التوحيد ما اختلفوا أما الفروع ففيها النسخ قد تجد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الرسل جميعا قد اتفقوا في أصل دعوتهم وهو الدعوة إلى توحيد الله ، وعبادته وحده لا شريك له .

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝ ﴾ [الأنبياء:٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

فالرسل جميعا إنما بعثهم الله لتحقيق أصل واحد وهو (توحيد الله تعالى بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ونفي ما يضاد ذلك أو ينافي كماله).

فما من رسول إلا وكانت هذه دعوته للناس .

وأما فروع الشرائع من الحلال والحرام والأوامر والنواهي فإنها تختلف من رسول لآخر فالله تعالى ينسخ بعض الشرائع ببعض فيفرض على هؤلاء ما لا يفرض على هؤلاء ويخفف على هؤلاء ما

---

(١) تفسير بن كثير ج١ ص ٣٧٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير ج١ / ص ٨٤ .

شدد على أولئك ويحرم على أمة ما يحل للأخرى وبالعكس ، لحكمة بالغة وغاية محمودة قضاهـــا الله عز وجل .

النـــــــص :

إلا شـــــــريعتنا الغرا فليس لها   من ناسخ ما رسي في أرضه أحـــد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن شريعة سيدنا محمد ﷺ هي الشريعة الوحيدة التي لم تنسخ بسواها من الشرائع ولن تنسخ أبدا ما بقي واستقر على الأرض جبل أُحُـــد (وهـــو كناية عن بقاء هذه الشريعة إلى الأبد) ، ذلك أنها خاتمة الشرائع ، وأنها كاملة شاملة لكـــل مـــا يصلح للبشر ويصلح حياتهم في كل زمان ومكان ، فهي خاتمة الرسالات ، وهي المشتملة علـــى كل خير في أمر الدنيا والآخرة إلى قيام الساعة .

النـــــــص :

إذ كان أحـــــد ختم المرسلين فمن   من بعده رام وحيا كـــــاذب فنـــد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن سيدنا محمدﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسـلين وان كل من يدعي النبوة بعده فهو ضعيف العقل كاذب في قوله ورأيه .

قال تعالى : ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠].

وقد أطلق الناظم -رحمه الله- على سيدنا محمد ﷺ اسماً من أسمائه وهو أحمد، حيث أن الرســول ﷺ له أكثر من اسم كما ورد ذلك في القرآن الكريم قـــال تعـــالي : ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ ﴾ [الصف:٦]في الصحيحين ، قال رسول الله ﷺ : (إن لي أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي يمحو الله بي الكفـــر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبـــي) [1].

---

(١) البخاري في المناقب باب ما جاء في أسماء الرسول ﷺ ج٣/ ص١٢٩٩ / ح ٣٣٣٩ ، ومسلم في الفضائل باب في أسمائه ﷺ ص ٩٥٧ – ٩٥٨ ح ٢٣٥٤ .

فكأن الناظم في هذا البيت يشير إلى هذا المعنى الذي يدل على أن للرسول ﷺ أكثر من اسم ، ويدل على أن الرسول ﷺ خاتم الأنبياء والرسل عليهم السلام فلا نبي بعده .

ومن الأدلة أيضاً على أن الرسول ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل عليهم السلام قوله ﷺ (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فأخذ الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)(١).

وكل من يدعي النبوة بعده ﷺ فهو كاذب فيما يدعيه ومن الأدلة على ذلك قوله ﷺ : (وإنه سيكون من أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي)(٢).

النص :

وكان بعثته للخلق قاطبة   وشرعه شامل لم يعده أحد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى عموم بعثة الرسول ﷺ للخلق جميعا من الإنس والجن ، وشمولها لكل شئون الحياة ، فيقول إن بعثة الرسول ﷺ كانت عامة للخلق جميعا من الإنس والجن والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ:٢٨].

وقال تعالى على لسان الجن : ﴿ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ۝ ﴾ [الجن:١-٢].

وقال ﷺ : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة)(٣).

---

(١) البخاري في المناقب باب خاتم النبيين ﷺ ج٣ / ص ١٣٠٠ / ح ٣٣٤٢ ، ومسلم في الفضائل باب كونه ﷺ خاتم النبيين ص ٩٣٨-٩٣٩ ح ٢٢٨٦ .

(٢) أحمد ج٥ / ص ٢٧٨ ، وأبو داود في أول كتاب الفتن والملاحم ح ٤٢٥٢ صححه أحمد شاكر أنظر شرح المسند ج٨ ص ١٨٦ ح ٥٩٨٥ وصححه الألباني أنظر صحيح سنن أبي داود ج٣ ص ٩.

(٣) البخاري في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) ج١ ص ٦٨ ح ٤٢٧ .

وقول الناظم -رحمه الله- (وشرعه شامل لم يعده أحد):

يشير به إلى شمول شريعة سيدنا محمد ﷺ وكمالها ، ووفائها بحاجة البشرية في جميع شئون الحياة الدينية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية . . . الخ فلم تترك شأنا من شؤون الحياة إلا وضحته وبينته للناس، بما يصلحهم ويصلح لهم في كل زمان ومكان ، فقد أكمل الله تعالى بهذه الشريعة الدين وأتم بها الشرائع.

قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

ولما تتميز به هذه الشريعة من الشمول والكمال فإنه ليس لأحد تجاوزها أو الخروج عن أحكامها بحثا عن الأفضل لأن الخير كل الخير في اتباعها ، فعلى جميع الخلق أن يؤمنوا بهذه الشريعة ويتبعوها، ومن تجاوزها وخرج عنها فهو كافر كما قال رسول الله ﷺ : (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) (١).

النص :

ولم يسع أحدا عنها الخروج ولو   كان النبيون أحياء لها قصدا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن هذه الشريعة الكاملة الشاملة ليس لأحد أن يخرج عن حدودها وأحكامها وحلالها وحرامها ، وأوامرها ونواهيها ، بل إن الأنبياء أنفسهم الذين أرسلهم الله تعالى بشرائع مماثلة لو كانوا أحياء لقصدوا هذه الشريعة وآمنوا بها واتبعوها، كما سيحدث ذلك في آخر الزمان عند نزول سيدنا عيسى عليه السلام فإنه سوف يتبع هذه الشريعة ، حيث ينزل حكما بشريعة الإسلام ولا يأتي بشريعة جديدة(٢) إذ لم تترك هذه الشريعة شيئا جديداً يحتاج للبيان والإيضاح(٣).

---

(١) مسلم في الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ص ٨٥ ح ١٥٣ .

(٢) سيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن أشراط الساعة .

(٣) أنظر : أصول الدين الإسلامي للشيخ محمد بن إبراهيم التويجري ص ٤٣-٤٥ ، والإيمان أركانه وحقيقته ونواقضه ص ٧١-٩٣ ، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ١٥٣-١١٩١ ، النبوات لابن تيمية ص٢٨١-٢٨٤ معارج القبول ج٢ / ص ٦٧٥ - ٦٨٠ .

المبحث السابع

باب الإيمان باليوم الآخر

النـــــــص :

واليوم الآخر حـــق لـــم ساعته ... بمنتهـــي علمهـــا الرحمن منفرد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى الركن الخامس من أركان الإيمان وهو الإيمان بـــاليوم الآخر، فيذكر أن هذا اليوم هو حق وهو واقع لا محالة، وأن الناس يبعثون في ذلك اليوم بين يـــدي الله تعالى لملاقاة حسابهم. قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٦٤].

ثم يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن موعد هذا اليوم وساعته من الأمور الغيبية التي لا يعلمـــها إلا الله . قال تعالى : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾ [الأنعام:٥٩] .

وقال تعالى : ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٧].

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب:٦٣].

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلا من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله متى الساعة قائمة؟ قال (ويلك وما أعددت لها؟) قال ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله، قال إنك مع من أحببت. فقلنا ونحن كذلك؟ قال نعم ففرحنا يومئذ فرحا شديدا فمر غلام للمغيرة وكان من أقراني، فقال إن أخر هذا فلن يدركه الهرم حتى تقوم الساعة)[1]"[2].

مما سبق يتضح لنا أن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان وأن ذلك اليوم وســـاعته مـــن الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله تعالى .

---

(١) البخاري في الأدب باب ما جاء في قول الرجل ويلك ، ج٥ / ص ٢٢٨٢ / ح ٥٨١٥ .

(٢) ومعنى لن يدركه الهرم حتى تقوم الساعة : المراد به ساعة أولئك القوم الذين كانوا موجودين عند رسول الله صلى الله عليـــه وسلم في ذلك الوقت، أو المراد به تقريب وقت قيام الساعة، لا تحديد وقتها لأن ذلك لا يعلمه الا الله. أنظر فتح البـــاري ج١٠ ص٥٥٦.

النـــــــص :

والموت حق ومـــن جـــاءت منيتـــه	بـــأي حتـــف فبـــالمقدور مفتقـــد
ما إن له عنه مـــن مســـتأخر أبـــدا	كلا ولا عنه مـــن مســـتقدم يجـــد
كل إلى أجل يجــــري علـــى قـــدر	ما لامرئ عن قضـــــاء الله ملتحـــد

حتف : الحتف الموت (١)

ملتحد : الملتحد الملجأ ، لأن اللاجئ يميل إليه(٢)

الشرح :

في هذه الأبيات يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن من الأمور الداخلـة في الإيمـان بـاليوم الآخر الإيمان بالموت الذي هو مصير كل إنسان، وهو أول منازل الانتقال إلى الآخرة، فالموت حق وهو متحتم على كل من كان في الدنيا ، من أهل السماوات والأرض من الأنس والجن والملائكـة وغيرهم من المخلوقات.

وقال تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص:٨٨].

وقال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

فالموت حق وهو مصير كل حي، ومن جاء وقت وفاته أو ساعة موته بأي حتف أي بأي شـكل من أشكال الموت سواء مات على فراشه أو مجاهدا في سبيل الله ، أو غرقا، أو حرقـا، أو بـأي شكل من الأشكال فإنه يموت بأجله وتنتهي حياته ، ويفقده الناس بهذا القدر المقدور الذي قـدره الله سبحانه وتعالى ، وفي نفس الوقت الذي حدده الله تعالى لوفاته ، لا يتأخر عنه لحظة ولا يتقـدم عنه لحظة، قال تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء:٧٨].

قـال تعـالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٤].

وقال تعالى : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون:١١].

---

(١) انظر لسان العرب ج٩ / ص ٣٨ .

(٢) المرجع السابق ج٣ / ص ٣٨٩ والقاموس المحيط ج١ / ص ٣٣٥ .

فهذا المصير وهذا الأجل المحتوم واقع لا محالة وهو قضاء وقدر من الله تعالى ليس لمخلوق أن يفـــر منه، وهو واقع لا محالة وليس لأحد ملجأ منه .

قال تعـــالى :﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ ﴾ [آل عمران:١٤٥] .

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قالت أم حبيبة رضي الله عنها: اللهم أمتعنـــي بزوجـــي رسول الله ﷺ ، وبأبي أبي سفيان ، وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله ﷺ (قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة ، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئاً قبل حله أو يؤخر شـــيئاً عن حله ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كـان خيرا لك) (١).

النـــــــص :

وفتنة القـــبر حـــق والعـــذاب بـــه لكـــافر ونعيـــم لـــلأولى ســـعدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن فتنة القبر وعذابه ونعيمه حق، وأنهـــا مـــن الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله والتي يجب علينا الإيمان بها .

قال الإمام الطحاوي : ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين وبعذاب القبر لمـــن كان له أهلا، وعن سؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ، ونبيه، على ما جاءت به الأخبـــار عن رسول الله ﷺ ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة ، أو حفـــرة من حفر النيران (٢) فالموت حق ، وفتنة القبر وعذابه واقع لا محالة ، وقد أشار الله سبحانه وتعـــالى لذلك في كتابه الكريم ، قال تعـــالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ [الأنعام:٩٣] .

---

(١) مسلم في القدر باب بيان أن الأقدار والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر ، ص ١٠٦٨ / ح ٢٦٦٣.

(٢) انظر شرح الطحاوية ص ٥٧٢ .

قال: {والملائكة باسطوا أيديهم} أي إليهم بالضرب والنكال حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم (أخرجوا أنفسكم)[١].

ذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والسلاسل والأغلال والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم، فتفرق روحه في جسده وتعصي وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين {أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق} . ووجه الدلالة من هذه الآية ، أنه إذا كان يفعل به هذا وهو محتضر بين ظهراني أهله كبيرهم وصغيرهم وذكرهم وأنثاهم وهم لا يرون شيئا من ذلك ولا يسمعون شيئا من ذلك التقريع والتوبيخ ولا يدرون بشيء من ذلك الضرب، غير أنهم يرون مجرد احتضاره وسياق نفسه ، لا يعلمون بشيء مما يقاسي من الشدائد فلأن يفعل به في قبره ذلك وأعظم منه ولا يعلمه من كشف عنه أولى وأظهر لأنهم لم يطلعوا على ما يناله بين أظهرهم فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم ودار غير دارهم[٢].

وقال تعالى :﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر:٤٥-٤٦] .

فهذه الآية واضحة في ثبوت عذاب القبر فإن الحق تبارك وتعالى قد قرر أن آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا وهذا قبل يوم القيامة لأنه قال بعد ذلك ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب.

قال القرطبي[٣] : (الجمهور على أن هذا العرض في البرزخ وهو حجة في تثبيت عذاب القبر)[٤]

---

[١] أنظر تفسير ابن كثير ج٧ص٤١-٤٢.

[٢] انظر معارج القبول ج٢ / ص ٧١٨.

[٣] القرطبي : هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري المالكي الأندلسي، المتوفى سنة ٦٧١هـ، فقيه مفسر، رحل إلى مصر ومات بها، من كتبه الجامع لأحكام القرآن، والوجيز في فضائل الكتاب العزيز، والتذكار في أفضل الأذكار، أنظر الديباج المذهب لأبن فرحون ص٣١٧، وشذرات الذهب ج٥ص٣٣٥.

[٤] انظر تفسير القرطبي ج١٥ / ص ٢٠٨.

ومن الإرشادات القرآنية الواضحة الدالة على فتنة القبر وعذابه قوله تعالى :

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧] .

أما نصوص السنة في إثبات عذاب القبر فقد بلغت مبلغ التواتر إذ رواها أئمة السنة وحملة الحديث ونقاده (وأهل الجرح والتعديل) عن الجم الغفير والجمع الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ ففي الحديث الذي يرويه البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال (إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) [(١)].

ومن ذلك الحديث الذي يرويه أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه، حتى أنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة ، قال النبي ﷺ فيراهما جميعا، وأما المنافق والكافر فيقول لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين) [(٢)].

النص :

وللقيامة آيات إذا وجبت فليس من توبة تجدي وتلتحد

المفردات : وجبت : وجب الشيء يجب وجوبا إذا ثبت ولزم . والمراد إذا ثبت ولزم وقوع القيامة[(٣)].

---

(١) البخاري في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر، ج١ / ٤٦١ / ح ١٣٠٣ .

(٢) البخاري في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر ج١ / ٤٦٢ / ح١٣٠٨ .

(٣) لسان العرب ج١ ص ٧٩٣ والقاموس المحيط ج١ ص ١٦٣ .

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن قيام الساعة تسبقه علامات تدل على قرب وقوعه، وأنه إذا ثبت ولزم قيام الساعة فإن التوبة عند ذلك لا تجدي ولا تنفع، ولا تعصم صاحبها من العذاب ، لأنها تكون قد تأخرت عن وقتها ، وجاءت بعد فوات الأوان ، عند ذلك يندم الإنسان ولا ينفعه الندم .

هذا وقد أشار الرسول ﷺ إلى أشراط الساعة في كثير من الأحاديث ، ومن تلك الأحاديث: ما رواه الإمام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: (أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون؟ قالوا نذكر الساعة . قال إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم) (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (بادروا بالأعمال ستا : طلوع الشمس من مغربها ، أو الدخان ، أو الدجال ، أو الدابة ، أو خاصة أحدكم أو أمر العامة) (٢).

النص :

من ذاك أن تستبين الشمس طالعة   من حيث مغربها والخلق قد شهدوا

المفردات : تستبين:استبان الشيء أي ظهر ووضح (٣)

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن من تلك العلامات التي تسبق قيام الساعة: طلوع الشمس من مغربها ، حيث تظهر الشمس واضحة جلية من المغرب ويراها الناس جميعا.
وهذا هو الزمن الذي لا تقبل فيه التوبة ولا ينفع الكافر الإيمان .
فطلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة الكبرى وهو ثابت بالكتاب والسنة .

---

(١) مسلم في الفتن باب الآيات التي تكون قبل الساعة ، ص ١١٦٣ ح ٢٩٠١

(٢) مسلم في الفتن باب بقية من أحاديث الدجال ص ١١٨٤ ح ٢٩٤٧ .

(٣) انظر لسان العرب ج١٣ / ص ٦٧ ، والقاموس المحيط ج٤ / ص ٢٠٤ .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام:١٥٨] .

قال الطبري بعد ذكره لأقوال المفسرين في هذه الآية : والأولى بالصواب ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : ذلك حين تطلع الشمس من مغربها [(١)].

وقال الشوكاني : فإذا ثبت رفع هذا التفسير النبوي من وجه صحيح لا قادح فيه فهو واجب التقدم محتم الأخذ به[(٢)].

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا) [(٣)].

وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس أتدري أين تذهب؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس:٣٨] [(٤)].

فإذا طلعت الشمس من مغربها فإنه لا يقبل الإيمان ممن لم يكن قد آمن من قبل، كما لا تقبل توبة العاصي وذلك لأن طلوع الشمس من مغربها آية عظيمة يراها كل من كان في ذلك الزمان فتنكشف لهم الحقائق ويشاهدون من الأهوال ما يلوي أعناقهم إلى الإقرار والتصديق بالله وآياته وحكمه في ذلك حكم من عاين بأس الله كما قال الله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر:٨٥].

---

(١) انظر تفسير الطبري ج٥ / ص ٤١٠ .

(٢) انظر فتح القدير ج٢ / ص ١٨٨ .

(٣) البخاري في الرقاق باب طلوع الشمس من مغربها ج٥ ص ٢٣٨٦ / ح٦١٤١ ، ومسلم في الإيمان باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ص ٨٦ ح ١٥٧ .

(٤) البخاري في بدء الخلق باب صفة الشمس والقمر ص ٨٧ ح ١٥٩ ، ومسلم في الإيمان باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ، ج٢ / ص ٥٥٤ / ح ٢٥٠ .

قال القرطبي :

قال العلماء (وإنما لا ينفع نفسا إيمانها عند طلوع الشمس من مغربها لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة، من شهوات النفس، وتفتر كل قوى من قوى البدن فيصير الناس كلهم – لإيقانهم بدنو القيامة- في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلانها من أبدانهم فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت [١].

وقال ﷺ : إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها) [٢].

فجعل رسول الله ﷺ غاية قبول التوبة هو طلوع الشمس من مغربها. فإذا طلعت الشمس من مغربها انقطع قبول التوبة إلى قيام الساعة .

وقال ابن كثير[٣] (إذا أنشأ الكافر إيمانا يومئذ لا يقبل منه، فأما من كان مؤمنا قبل ذلك ، فإن كان مصلحاً في عمله فهو بخير عظيم ، وإن لم يكن مصلحا فأحدث توبة حينئذ لم تقبل منه توبة)[٤].

وقال الحافظ ابن حجر[٥] : (إذا طلعت الشمس من المغرب أغلق باب التوبة و لم يفتح بعد ذلك، وإن ذلك لا يختص بيوم الطلوع، بل يمتد إلى يوم القيامة ، وأن طلوع الشمس من مغربها أول

---

(١) انظر التذكرة ج٢ / ص ٤٤٤ ، وتفسير القرطبي ج٧ / ص ١٤٦ .

(٢) مسلم في التوبة باب قبول التوبة عن الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة ، ص ١١٠٤ ح ٢٧٥٩ .

(٣) الإمام ابن كثير: هو عماد الدين أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي، البصري، ثم الدمشقي، فقيه ومحدث ومفسر ومؤرخ،لازم شيخ الإسلام ابن تيميه وسمع منه، من كتبه تفسير القرآن العظيم، وجامع المسانيد والسنن، والبداية والنهاية، أنظر: الدرر الكامنة لابن حجر ج٣ص٣٧٣. والبدر الطالع للشوكاني ج١ص١٥٣، وشذرات الذهب ج٦ص٢٣١.

(٤) ابن كثير ج٢ / ص ٢٠٣.

(٥) الحافظ بن حجر: هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي، بن محمود بن أحمد، الكناني العسقلاني، ثم المصري الشافعي (٧٧٣-٨٥٢هـ) أمير المؤمنين في الحديث في زمانه، من كتبه فتح الباري شرح صحيح البخاري، وتهذيب التهذيب وتقريب التهذيب، أنظر: طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٥٢.

الإنذار بقيام الساعة) (١).

وأما قول رسول الله ﷺ (إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كانت صاحبتها فالثانية على إثرها قريباً) (٢).

فإنه يدل على أن طلوع الشمس من مغربها يكون قبل خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج، إلا أن العلماء قد جمعوا بين هذه النصوص وبينوا أن طلوع الشمس من مغربها يكون أول العلامات الدالة على تغير العالم العلوي أما خروج الدجال فهو أول العلامات الدالة على تغير العالم السفلي وكذلك فإن طلوع الشمس من مغربها أول العلامات الغير مألوفة أما خروج الدجال فأمر مألوف والغير مألوف هو ما يأتي به من خوارق العادات.

ولذلك قال الحافظ بن حجر رحمه الله (يترجح من مجموعة الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة لتغيير أحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة لتغيير أحوال العالم العلوي وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب) (٣).

النص :

كذاك دابة الأرض تكلمهم ... جهرا وتفرق بالتمييز من تجد

المفردات : تكلمهم : الكلم : الجرح (٤).

تفرق : الفرق : تفرق ما بين الشيئين حين يتفرقان وهو الفصل بين الشيئين (٥).

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى علامة أخرى من علامات الساعة الكبرى وهي خروج الدابة فيقول إن من علامات الساعة الكبرى خروج دابة الأرض على صورة مخالفة لما ألفه

---

(١) انظر فتح الباري ج١١ / ص ٣٥٥ .

(٢) مسلم في الفتن باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض/ ص١١٨٠-١١٨١ ح ٢٩٤١ .

(٣) فتح الباري ج١١ / ص ٣٥٣ .

(٤) انظر لسان العرب ج١٢ / ص ٥٢٤ ٥٢٥ .

(٥) انظر لسان العرب ج١٠ / ص ٣٠١ ، والقاموس المحيط ج٣ / ص ٢٧٤ .

البشر من الدواب، إذ تخاطب هذه الدابة الناس وتكلمهم ، وتميز بين الكافر والمؤمن ، تكميلا للمقصود من إغلاق باب التوبة بتميز الكافر من المؤمن .

وخروج هذه الآية العظيمة كغيرها من الآيات ثابت بالكتاب والسنة .

قال تعالى : ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [النمل:٨٢] .

وهذه الآية الكريمة جاء فيها ذكر خروج الدابة ، وإن ذلك يكون عند فساد الناس ، وتركهم أوامر الله ، وتبديلهم الكلام الحق ، فيخرج الله لهم دابة من الأرض وتكلمهم على ذلك(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ **(ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا، طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ودابة الأرض)** (٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال حفظت من رسول الله ﷺ حديثا لم أنسه بعد ، سمعت رسول الله ﷺ يقول **(إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا)** (٣).

فالدابة تخرج على الناس ضحى في وقت طلوع الشمس من مغربها. وخروج الدابة ضحى وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً. وهي من العلامات الكبرى التي لا تجدي التوبة بعدها وعمل هذه الدابة عند خروجها أنه تسم الكافر والمؤمن ، فأما المؤمن فإنها تجلو وجهه حتى يشرق ويكون ذلك علامة إيمانه.

وأما الكافر فإنها تخطمه على أنفه علامة على كفره والعياذ بالله وهو معنى قول الناظم-رحمه الله- تكلمهم أي تسمهم بتلك العلامة التي يفرق بها بين المؤمن والكافر . وقد جاء في الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [النمل:٨٢]. وقد اختلفت أقوال المفسرين في معنى التكليم الوارد في هذه الآية ، فمنهم

---

(١) ابن كثير ج ٣ / ص ٣٨٦ .

(٢) مسلم في الإيمان باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ص/٨٧ ح ١٥٨ .

(٣) سبق تخريجه ص ١٧٧ .

من قال :

١- إن المراد تكلمهم كلاما أي تخاطبهم مخاطبة ، ويدل على هذا قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه "تنبئهم" .

٢- أن المراد تجرحهم ، ويؤيد هذا قراءة "تكلمهم" بفتح التاء وسكون الكاف من الكلم وهو الجرح ، وهذه القراءة مروية عن ابن عباس رضي الله عنه أي تسمهم وسماً[١].

وهذا القول يشهد له حديث أبي إمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (تخرج الدابة فتسم[٢] الناس على خراطيمهم[٣] ثم يعمرون فيكم حتى يشتري الرجل الدابة فيقال ممن اشتريته فيقول اشتريته من أحد المخطمين[٤])[٥].

الأقوال في ماهية الدابة : قد اختلفت الآراء في ماهية الدابة اختلافاً بينا، وحاول أصحاب الأهواء تأويل النصوص بما يوافق معتقداتهم وأهوائهم ، فقيل بأنها الثعبان الذي كان في بئر الكعبة ، وقيل بأنها الجاسة الموجودة في بحر القلزم، وقيل بأنها فصيل ناقة صالح ، وقيل بأنها الجراثيم وغير ذلك.

والذي يجب الإيمان به أن الله تعالى سيخرج للناس في آخر الزمان دابة من الأرض تكلمهم فيكون تكليمها لهم آية لهم دالة على أنهم مستحقون للوعيد بتكذيبهم بآيات الله ، فإذا خرجت الدابة فهم الناس وعلموا أنها الخارقة المنبئة باقتراب الساعة، وقد كانوا قبل ذلك لا يؤمنون بآيات الله ولا يصدقون باليوم الموعود[٦].

---

(١) انظر تفسير القرطبي ج١ / ص ٢٣٧ ، وابن كثير ج٣ / ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، وفتح الباري ج٤ / ص ١٥٢ .

(٢) تسم : تعلم بعلامة ما .

(٣) خراطيمهم : أنوفهم والخرطوم هو الأنف، أنظر لسان العرب ج١٢ص١٧٣..

(٤) المخطم : المعلم أنفه المرجع السابق ج١٢ ص١٨٧.

(٥) مسند أحمد ج٥ ص ٢٦٨ . صححه الألباني أنظر السلسلة الصحيحة ج١ ص ٥٧٦ ح ٣٢٢

(٦) أنظر اشراط الساعة ص ٤٠٧-٤١٣.

قال أحمد شاكر رحمه الله[1] .

(والآية صريحة بالقول العربي أنها "دابة" ومعنى الدابة في لغة العرب معروف واضح، لا يحتاج إلى تأويل ، ووردت أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها بخروج هذه الدابة وأنها تخرج في آخر الزمان، ووردت آثار أخرى في صفتها لم تنسب لرسول الله ﷺ المبلغ عن ربه والمبين آيات كتابه، فلا علينا أن ندعه .

ولكن بعض أهل عصرنا من المنتسبين للإسلام الذين فشا فيهم المنكر من القول، والباطل من الرأي الذين لا يريدون أن يؤمنوا بالغيب ويريدون أن يقفوا عند حدود المادة التي رسمها لهم معلموهم وقدوهم ملحدوا أوروبا الوثنيون الإباحيون ، المتحللون من كل خلق ودين هؤلاء لا يستطيعون أن يؤمنوا بما نؤمن به ، ولا يستطيعون أن ينكروا إنكاراً صريحاً فيجمجمون[2] ويحاورون ويداورون ثم يتأولون فيخرجون بالكلام عن معناه الوضعي الصحيح للألفاظ في لغة العرب ، يجعلونه أشبه بالرموز لما وقر في أنفسهم من الإنكار الذي يبطنونه[3].

النص :

نزول عيسى لدجال فيقتله وفتح سد عباد ما لهم عدد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى ثلاث علامات من علامات الساعة الكبرى وهي:

١) نزول سيدنا عيسى عليه السلام

٢) خروج الدجال .

٣) خروج يأجوج ومأجوج.

وبما أن سيدنا عيسى عليه السلام ينـزل لقتل المسيح الدجال لذلك سوف أبدأ بالحديث عن فتنة المسيح الدجال .

---

[1] أحمد شاكر: هو أحمد محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر المصري، المولود (١٣٠٩ - ١٣٧٧هـ) من علماء الحديث والتفسير في العصر الحديث، ألف وحقق كثيراً من كتب التراث، منها مسند الإمام أحمد، ولم يتمه، ورسالة الإمام الشافعي، أنظر الأعلام ج١ص٢٥٣.

[2] الجمجمة هو أن لا يبين كلامه انظر ترتيب القاموس المحيط ج١ / ص ٥٣٣.

[3] انظر شرح أحمد شاكر لمسند الإمام أحمد بن حنبل ج ١٥ / ص ٨٢.

١- فتنة المسيح الدجال :

الدجال من الدجل وهو الكذب ، والدجال الكذاب المموه ، والدجال هو المسيح الكذاب ودجله هو سحره وكذبه (١).

إن فتنة المسيح الدجال آية كبرى من آيات الساعة الكبرى ، المؤذنة بقيامها، وهي تختلف عن باقي الآيات الأخرى إذ أن جميع الآيات تدعو إلى الإيمان بالله تعالى، أما فتنة الدجال فإنها الآية الوحيدة التي تدعو للكفر بالله تعالى ذلك أن فتنة المسيح الدجال هي إدعاؤه للربوبية والألوهية مع ما يجريه الله تعالى على يديه من خوارق العادات التي لا يقدر عليها إلا الله فتنة وامتحانا للناس فهل من فتنة أعظم من هذه الفتنة .

روى مسلم عن حميد بن هلال عن رهط منهم أبو الدهماء وأبو قتادة قالوا : (كنا نمر على هشام بن عامر نأتي عمران بن حصين فقال ذات يوم إنكم لتجاوزون إلى رجال ما كانوا بأحضر لرسول الله مني، سمعت رسول الله ﷺ يقول (ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال) (٢).

ومن تلك الخوارق التي يجريها الله على يديه :

١- أنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت .

فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: (ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة وفيه قال رسول الله ﷺ (فيأتي على قوم - أي الدجال- فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت ....الحديث) (٣).

٢- إنه يجيء معه مثل الجنة والنار

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه ، إنه أعور ، وإنه يجيء بمثال الجنة والنار، فالتي يقول إنها الجنة هي النار وإني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه) (٤).

---

(١) انظر لسان العرب ج١١ / ص ٢٣٦ .

(٢) مسلم في الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ص ١١٨٤ ح ٢٩٤٦ .

(٣) مسلم في الفتن باب ذكر الدجال ج١٨ / ص ٢٧٧ / ح ٢٩٣٧ مع الشرح .

(٤) البخاري في الأنبياء باب قول الله عز وجل (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه) ج٣ / ص ١٢١٥ / ح ٣١٦٠ . ومسلم في أشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه/ ص ١١٧٧ ح ٢٩٣٦ .

٣- سرعة انتقاله في الأرض :

ففي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه الطويل قال . . . . **قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض ؟ قال : كالغيث استدبرته الريح**[١].

٤- قتله للشاب المؤمن ثم إحياؤه :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ حديثا طويلا عن الدجال فكان مما حدثنا به أنه قال يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي بالمدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس – أو من خير الناس- فيقول أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنه رسول الله ﷺ حديثه فيقول الدجال أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر فيقولون لا فيقتله ثم يحييه فيقول له حين يحييه والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه)[٢].

هذه هي فتنة المسيح الدجال التي يفتن بها الناس عند خروجه، وما تلك الخوارق التي يظهرها الله تعالى بقدرته وإرادته على يد الدجال إلا قضاء وقدراً من عند الله تعالى، ولو شاء الله لما قدرها ولما وقعت ، ولما خلق الدجال أصلاً، إلا أن وقوعها دليل على قضاء الله وقدره لا محالة وفق قدرته وإرادته، وفي حديث الدجال رد على القدرية الذين يقولون لا قدر ، ذلك أن الله قدر منذ الأزل خروج الدجال وفتنة الناس به فهو واقع لا محالة .

---

(١) مسلم كتاب الفتن باب ذكر الدجال وصفته وما معه ص ١١٧٧ ح ٢٩٣٧ .

(٢) البخاري في الفتن باب لا يدخل الدجال المدينة ج٦ / ص ٢٦٠٨ / ح ٦٧١٣ ، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة بـاب صفة الدجال وتحريم المدينة وقتله المؤمن وإحياؤه ص ١١٧٨ ح ٢٩٣٨ .

كذبه في دعوى الألوهية :

المسيح الدجال يدعي الألوهية يوهم الناس أنه هو الإله الحق، وذلك بما يجريه الله تعالى على يديه من الخوارق التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى، إلا أن صفات الدجال تدل على كذبه في هذا الإدعاء، ذلك أن الإله الحق يتصف بكل كمال ويتنزه عن كل نقص وعيب، أما المسيح الدجال ففيه من صفات النقص والعيب ما ينافي كمال الألوهية التي يدعيها، ومن تلك الصفات :

١) أنه أعور :

والله تعالى ليس بأعور ، قال رسول الله ﷺ (إن الله ليس بأعور ، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافئة)[١]. فالعور صفة نقص يتنزه عنه الله تعالى ، بل إنها صفة نقص في المخلوق فكيف بالخالق جل وعلا فلو كان المسيح الدجال صادقا في دعوى الألوهية لاستطاع أن يزيل ذلك النقص والعيب الموجود في عينه

٢) أنه مكتوب بين عينيه كافر ، وهذه العلامة يراها المؤمنون دون غيرهم ممن طمس الله على بصائرهم.

عن أنس بن مالك –رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ (ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور وإن ربكم عز وجل ليس بأعور، مكتوب بين عينيه ك ، ف ، ر)

في رواية أخرى قال (الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر ثم تهجاها ك ، ا ، ف ، ر يقرؤه كل مسلم)[٢]. فلو كان صادقا في دعواه لما كتبت هذه العبارة أصلا بين عينيه إلا أن الله جعلها علامة بينة وواضحة لأهل الإيمان تدل على كذبه وبطلان دعوته. والصحيح الذي عليه المحققون كما يذكر ذلك الإمام النووي رحمه الله أن هذه الكتابة على ظاهرها وأنها كتابة حقيقة جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله ، ويظهره الله لكل مسلم كاتب وغير كاتب ويخفيه عمن أراد شقاوته وفتنته)[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ص ٦٦٣ ح ٣٤٣٨.

(٢) البخاري في الفتن باب ذكر الدجال ح ٦ / ص ٢٦٠٨ / ح ٦٧١٢ ، ومسلم في الفتن باب ذكر الدجال وصفته وما معه ص ١١٧٥ ح ٢٩٣٣ .

(٣) انظر شرح مسلم للنووي ج١٨ ص ٢٧٥-٢٧٦ .

٣) أنه لا يدخل مكة والمدينة :

جاء في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن الدجال قال : (فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليّ كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة – أو واحدا– منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها وأن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها) (١).

فلو كان صادقا في دعواه للألوهية لما حيل بينه وبين دخول مكة والمدينة لأن الإله لا يعجزه شيء.

٤) أنه لا يستطيع أن يقتل الشاب المؤمن مرة أخرى :

إذ يحول الله بينه وبين ذلك إظهارا لكذبه كما في حديث أبي سعيد الخدري السابق الذكر.

فلو كان صادقا في دعواه لما حيل بينه وبين قتل ذلك الشاب الذي أعلن كذبه أمام الناس وتجرأ على الوقوف في وجهه والتصدي له وهو رب العالمين كما يزعم كيف يعجز عن التخلص من هذا الشاب؟

كل هذه الأمور تدل على كذبه في دعوى الألوهية وقد أخبرنا بها الرسول ﷺ بالنصوص والأدلة الثابتة لنعرفه بها عند خروجه ونتقي فتنته وشره .

وفي هذه النصوص الثابتة رد على المنكرين للدجال القائلين بأنه رمز للخرافة من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة(٢) وممن أنكر وجوده من المعاصرين وزعم أنه رمز للدجل والخرافة محمد عبده في تفسير المنار(٣).

فالنصوص السابقة رد على كل من أنكر وجود الدجال وزعم أنه رمز للدجل والخرافة .

سبل الوقاية من فتنة المسيح الدجال :

سبق وأن ذكرنا أن فتنة الدجال من أعظم الفتن خطراً على الناس. وقد حذر جميع

---

(١) البخاري في الفتن باب ذكر الدجال ج٦ ص ٢٦٠٨ ح ٦٧١٢ .

(٢) انظر شرح مسلم للنووي ج ١٨ / ص ٢٧٢ – ٢٧٤ .

(٣) انظر تفسير المنار ج٣ / ص ٣١٧ .

الأنبياء أقوامهم من هذه الفتنة ، وخص رسول الله ﷺ أمته بمزيد من التحذير وبين لهم الكثير من صفاته، وأرشدهم إلى ما يعصمهم من هذه الفتنة ويقيهم شرها وخطرها، ومن تلك الإرشادات التي أرشدنا إليها رسول الله ﷺ ما يأتي :

١- التمسك بالإسلام ، والتسلح بالإيمان ومعرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته الحسنى ، التي ليس لأحد أن يشاركه فيها ، فنعلم أن الدجال بشر يأكل ويشرب وينام ، وأن الله تعالى منزه عن كل ذلك ، وأن الدجال أعور ، والله ليس بأعور ، إذ من المحال أن يكون واهب الكمال للخلق عاريا منه، وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت فالدجال يراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم. فالإيمان الصادق بالله ، ومعرفته وصفاته حق المعرفة تجنبنا الوقوع في فتنة الدجال.

٢- التعوذ من فتنة الدجال وخاصة في الصلاة، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة : (**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ... الحديث**)(١).

٣- حفظ آيات من سورة الكهف : فقد أمر النبي ﷺ بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال ، وفي بعض الروايات خواتيمها وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان الطويل وفيه قوله ﷺ (**من أدركه فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف**)(٢).

وروى مسلم أيضا عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال) أي من فتنته . قال مسلم قال شعبة من آخر الكهف . وقال همام من أول الكهف**)(٣).

٤- الفرار من الدجال والابتعاد عنه عند خروجه والأفضل سكنى مكة والمدينة لأنه لا يدخلها

---

(١) البخاري في صفة الصلاة باب الدعاء قبل السلام ج١ ص ٢٨٦ ح ٧٨٩ ومسلم في كتاب المساجد ومواضيع الصلاة باب التعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم ص ٢٤٣ ح ٥٧٩ .

(٢) سبق تخريجه ص ١٨١ .

(٣) مسلم في صلاة المسافرين باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ٣١٦ ح ٨٠٩ .

حتى لا يفتن الإنسان بما يجريه الله على يديه من الخوارق فتنة واختبارا للناس[١].

هلاك الدجال :

يكون هلاك الدجال في بلاد الشام ويقتله عيسى بن مريم عليه السلام كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (**يخرج الدجال في أمتي .. فذكر الحديث وفيه .. فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه**) [٢].

وعن مجمع بن سارية الأنصاري رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**يقتل ابن مريم الدجال بباب لد**[٣])[٤].

وبقتله لعنه الله تنتهي فتنته العظيمة ويتخلص الناس من شره وأذاه[٥].

نزول عيسى عليه السلام :

قبل الحديث عن نزول سيدنا عيسى عليه السلام ينبغي لنا الحديث عن رفعه كما صرح بذلك في القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [النساء:١٥٧-١٥٨].

فهاتان الآيتان تدلان على أن سيدنا عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب كما يزعم اليهود والنصارى وإنما رفعه الله إليه والذي قتل وصلب هو أحد حواري سيدنا عيسى عليه السلام ألقي

---

(١) انظر أشراط الساعة ص / ٣٢٥ – ٣٣٠ ، وكتاب فقد جاء أشراطها ص ٣٨١ – ٣٨٥ .

(٢) مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه، ص ١١٨٠ ح ٢٩٤٠.

[٣] باب لد: موضع بالشام وقيل بفلسطين، أنظر لسان العرب ج٣ص٣٩١.

[٤] مسند أحمد ج٣ / ٤٢٠ ، والترمذي في الفتن باب ما جاء في قتل عيسى بن مريم الدجال ، ج٩/ ص ٩٨ مع الشرح صححه الألباني أنظر صحيح سنن الترمذي ج٢ ص٢٥١.

[٥] انظر أشراط الساعة ص / ٣٣٣ – ٣٣٥ ، وكتاب فقد جاء أشراطها ص / ٣٦٨-٣٦٩.

الله شبهه عليه فقتل وصلب، أما سيدنا عيسى عليه السلام فإنه رفع حيا لم يقتل و لم يصلب، وقيل هو الذي دل اليهود على مكان عيسى عليه السلام وظن اليهود والنصارى أن المصلوب هو سيدنا عيسى عليه السلام و لم يكونوا متيقنين من ذلك كما جاء في قوله تعالى (وما قتلوه يقينا) والحق الذي عليه علماء السلف أن سيدنا عيسى عليه السلام رفع حيا إلى السماء وأنه سوف ينزل في آخر الزمان ويقتل الدجال ثم يموت .

وكما دل القرآن الكريم على رفع سيدنا عيسى عليه السلام فقد دل على نزوله في آخر الزمان.

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء:١٥٩] .

فهذه الآية تدل على أن أهل الكتاب الموجودين وقت نزول عيسى سيؤمنون بعيسى عليه السلام آخر الزمان وذلك عند نزوله وقبل موته، وهذا هو الراجح من أقوال العلماء[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في جوابه على سؤال وجه إليه عن وفاة عيسى عليه السلام ورفعه : (الحمد لله عيسى عليه السلام حي وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : (ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا وإماما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية). وثبت في الصحيح أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق وأنه يقتل الدجال ومن فارقت روحه جسده لم ينزل جسده من السماء ، وإذا أحيي فإنه يقوم من قبره)[٢].

وكما دل القرآن على نزوله في آخر الزمان فقد دلت السنة أيضاً على ذلك بالأحاديث المتواترة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ... الحديث)[٣].

وقد أجمعت أمة محمد ﷺ على نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان و لم يخالف في ذلك أحد

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ١ / ص ٢٧٦ .

(٢) الفتاوي ج ٤ / ص ٣٢ – ٣٢٣ .

(٣) البخاري في الأنبياء باب نزول عيسى عليه السلام ج٣ / ص ١٢٧٢ / ح ٣٢٦٤ ، ومسلم في الإيمان باب عيسى بن مريم حكما بشريعة نبينا محمد ﷺ ج٢ / ص ٥٤٨-٥٤٩ / ح ١١٥٥ مع الشرح .

إلا الملاحدة والفلاسفة ممن لا يعتد بخلافهم ، وقد انعقد الإجماع على أنه ينزل ويحكم بشريعة الإسلام وليس بشريعة مستقلة وإن كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها إلا أنه يحكم بشريعة الإسلام كما أخبرنا رسول الله ﷺ بذلك فيكسر الصليب إبطالا لما يزعمه النصارى من تعظيمه، ويقتل الخنزير لأنه محرم في شريعة الإسلام والمختار من مذهب الجمهور أن المسلم إذا وجد خنزيرا في بلاد الكفار وتمكن من قتله قتله فكأن عيسى عليه السلام عندما يقتل الختزير يؤيد هذا المذهب. ويضع الجزيرة أي لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام لا يقبل الجزية مع أنها من شريعة الإسلام ذلك أن مشروعيتها مقيدة بنزول سيدنا عيسى عليه السلام وليس هو الناسخ لها في ذلك الوقت وإنما الناسخ لها هو سيدنا محمد ﷺ بهذا الحديث . وما فعل سيدنا عيسى عليه السلام لهذه الأمور في آخر الزمان إلا دليلا على حكمه بشريعة الإسلام وتنفيذه لما أخبر به رسول الله ﷺ (١).

قال القاضي عياض(٢) رحمه الله تعالى : (نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته ، وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى:(وخاتم النبيين) وبقوله ﷺ (لا نبي بعدي) وبإجماع المسلمين على أنه لا نبي بعد نبينا محمد ﷺ وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة لا تنسخ وهذا استدلال فاسد لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا بل صحت هذه الأحاديث هنا وغيرها أنه ينزل حكما مقسطا حكم بشرعنا ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس)(٣).

ومن المعاصرين المنكرين لنزول سيدنا عيسى عليه السلام محمد عبده(٤) ومحمود شلتوت(٥) حيث أنكرا نزول سيدنا عيسى عليه السلام وردا الأحاديث الواردة في نزوله لزعمهما بأنها أحاديث

---

(١) انظر فتح الباري ج٦ ص ٤٩٢ – ٤٩٤ ، وشرح النووي لمسلم ج٢ ص ٤٤٨ – ٤٥٠ .

(٢) القاضي عياض: هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى اليحصبي المالكي، (٤٩٦-٥٤٤هـ) محدث وفقيه ومؤرخ ولغوي، من كتبه الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وترتيب المدارك ومشارق الأنوار، والإلماع. أنظر الديباج المذهب ص ٣٦٨، وشذرات الذهب ج٤ ص١٣٨.

(٣) شرح النووي لمسلم ج١٨ – ص ٢٨٨ – ٢٨٩.

(٤) محمد عبده بن حسن خير الله (١٢٦٦-١٣٧٣هـ) مفتي الديار المصرية في أيامه أصدر مع صديقه جمال الدين الأفغاني جريدة العروة الوثقى من كتبه التفسير ولم يتمه ورسالة التوحيد وشرح نهج البلاغة أنظر الأعلام للزركلي ج٦ص٢٥٢.

(٥) هو محمد شلتوت (١٣١٠-١٣٨٣هـ من علماء مصر في العصر الحديث ترقى في المناصب العلمية حتى تولى منصب شيخ الجامع الأزهر، من كتبه الإسلام عقيدة وشريعة وتوجيهات الإسلام أنظر الأعلام للزركلي ج٧ ص١٧٣.

آحاد لا تقوم بها حجة[1] ، وقولهم هذا باطل وحجتهم واهية ذلك أن خبر الآحاد من الأمور المسلم بقبولها والأخذ بها عند جمهور المسلمين وإذا قلنا بعدم حجيتها فإننا نرد كثيرا من أحاديث رسول الله ﷺ ويكون ما قاله ﷺ عبثا لا معنى له مع العلم بأن أحاديث نزول سيدنا عيسى عليه السلام ليست من الآحاد بل هي متواترة كما ذكر ذلك ابن كثير وغيره[2].

فنزول سيدنا عيسى عليه السلام في آخر الزمان إماما عدلا وحكما مقسطا من الأمور المسلم بها في دين الإسلام لما ثبت في ذلك من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية[3].

٣) خروج يأجوج ومأجوج :

يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان عند الأكثر منعا من الصرف للعلمية والعجمة ، وقيل بل عربيان واختلف في اشتقاقهما فقيل : من أجيج النار وهو التهابها ، وقيل من الأجه بالتشديد وهي الاختلاط وشدة الحر.

وقيل من الأج وهو سرعة العدو ، وقيل من الأجاج وهو الماء الشديد الملوحة ، ويكون التقدير في يأجوج يفعول وفي مأجوج مفعول .

ويجوز أن يكون فاعولا في كليهما ، هذا إن كانا عربيان ، أما إن كانا أعجميان فلا اشتقاق لهما من العربية، ويؤيد الاشتقاق وقول من جعله ماج إذ اضطرب قوله تعالى : ﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ [الكهف:٩٩][4].

وأصل يأجوج ومأجوج من البشر من ذرية آدم وحواء عليهما السلام والدليل على ذلك ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **يقول الله تعالى (يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول : أخرج بعث النار، قال، وما بعث النار؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل**

---

[1] أنظر تفسير المنار ج٣ ص٣١٧ وكتاب الفتاوي لمحمود شلتوت ص ٥٩-٩٦.

[2] تفسير ابن كثير ج١ ص ٥٩ – ٨٢.

[3] للاستفادة انظر فيما سبق : أشراط الساعة ص ٣٣٧-٣٦٣ ، وصحيح أشراط الساعة ص / ٢٤٧-٢٦٥، وكتاب فقد جاء أشراطها.

[4] انظر فتح الباري ج١٣ / ص ١٠٦ ، ولسان العرب ج٢ ص ٢٠٦-٢٠٧.

حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، قالوا وأينا ذلك الواحد؟ قال ابشروا إن منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألف) (١).

وخروجهما في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى، وهو ثابت في الكتاب والسنة.

قال تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝٩٦﴾ [الأنبياء:٩٦].

وقال تعالى في سياقه لقصة ذي القرنين ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ۝٩٤﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ۝٩٩﴾ [الكهف:٩٤-٩٩]

وعن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوما فزعا يقول لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها) قالت زينب بنت جحش أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال نعم إذا كثر الخبث) (٢).

ومن حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (إن الله تعالى يوحي إلى عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال أن قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون . . . الحديث)(٣).

(١) البخاري في الأنبياء باب قصة يأجوج ومأجوج / ص ٦٤٠ / ح ٣٣٤٨ .

(٢) البخاري في الأنبياء باب قصة يأجوج ومأجوج/ ص ٦٣٩ – ٦٤٠ ح ٣٣٤٦ ، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة بباب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج ص ١١٥٤ ح ٢٨٨٠ .

(٣) سبق تخريجه ص ١٨١ .

ويكون خروجهم في آخر الزمان بعد نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال قبحه الله ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم : ارجعوا فسنحفره غدا فيعيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفره غداً إن شاء الله واستثنوا فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصوتهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع عليها الدم فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء)[١].

قال الحافظ بن حجر في الفتح قال ابن العربي:(في هذا الحديث ثلاث آيات : الأولى : أن الله منعهم أن يوالوا الحفر ليلا ونهاراً ، الثانية : منعهم أن يحاولوا الرقي على السد بسلم أو آلة فلم يلهمهم ذلك ولا علمهم إياه ، الثالثة : أن الله صدهم عن أن يقولوا إن شاء الله حتى يجيء الوقت المحدد)[٢].

وبخروج يأجوج ومأجوج يقع الناس في بلاء عظيم وذلك لأن يأجوج ومأجوج ينتشرون في الأرض ويأكلون خيراتها ويشربون المياه الموجودة بها ويحاصرون الناس فيتحصنون في حصونهم ويقع عليهم من البلاء ما الله به عليم بسبب هذا الحصار عند ذلك يتضرع نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله تعالى ليكشف عنهم ما حل بهم من البلاء العظيم فيستجيب الله لهم ويرسل على يأجوج ومأجوج أضعف خلقه الدود فيصبحون موتى كموت نفس واحدة لا يسمع لهم حس فتمتلىء الأرض من نتنهم فيؤذون الناس بنتنهم أشد من حياتهم فيتضرع نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله مرة أخرى فيرسل الله طيراً تحملهم وتطرحهم في الأرض ثم يرسل مطرا تغسل آثارهم ثم يأمر الله الأرض لترد بركتها وتنبت ثمرها فيعم الرخاء وتطرح البركة فيعيش عيسى بن مريم وأصحابه في عيش رغيد ففي حديث النواس بن سمعان الطويل قال : قال رسول الله ﷺ : (. . . ويحاصر عيسى بن مريم وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار

---

(١) أحمد في المسند ج ٢ / ص ٥١٠-٥١١ ، والترمذي في التفسير باب سورة الكهف ج١٢ / ص ١٠-١١ مع الشرح، والحاكم في المستدرك ج٤ / ص ٤٨٨ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

(٢) انظر فتح الباري ج١٣ / ص ١٠٩.

لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف[1] في رقابهم فيصبحون فرسى[2] كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم[3] ونتنهم فرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله تعالى فيرسل الله طيرا كأعناق البخت[4] فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله . . .)[5].

النص :

كذا الدخان وريح وهي مرسلة   لقبض أنفس من للدين يعتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى علامتين من علامات الساعة الكبرى وهما :

أولاً : الدخان :

ظهور الدخان في آخر الزمان من علامات الساعة الكبرى التي دل عليها الكتاب والسنة .

أدلة ظهوره :

أولاً من الكتاب : قال تعالى : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ﴾ [الدخان:١٠-١١].

والمعنى انتظر يا محمد هؤلاء الكفار يوم تأتي السماء بدخان مبين واضح يغشى الناس ويعمهم عند ذلك يقال لهم هذا عذاب أليم تقريعا وتوبيخا لهم أو يقول بعضهم لبعض ذلك[6]. ثانياً : من السنة : روى مسلم عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال (بادروا بالأعمال ستا

---

(١) النغف : دود صغير يكون في أنوف الأبل والغنم . النهاية في غريب الحديث ج٥ / ص ٨٧ .

(٢) فرسى : جمع فريس وهو القتيل،المرجع السابق ج٣/ص ٢٢٨ .

(٣) زهمهم: الزهمه : الريح المنتنة والكريهة .

(٤) البخت : الإبل الخرسانية وهي جمال طوال الأعناق . المرجع السابق ج١ / ص ١٠١ .

(٥) راجع فيما سبق : أشراط الساعة ص ٣٦٥ – ٣٧٩ ، وصحيح أشراط الساعة ص ٢٦٧-٢٧٩ ، وكتاب فقد جاء أشراطها ص ٤١٩-٤٣١ .

(٦) انظر تفسير القرطبي ج١٦ / ص ٨٧-٨٨ ، وتفسير الطبري ج١١ / ص ٢٢٤-٢٢٥ ، وابن كثير ج٤ / ص ١٥١ .

الدجال والدخان . . . الحديث) [1]. وغيره من الأحاديث التي سبق ذكرها في أشراط الساعة.

وقد اختلف العلماء في الدخان هل وقع أم هو من الآيات المنتظرة ، وكان لهم في ذلك رأيان

الرأي الأول: أن هذا الدخان هو ما حل بقريش من الشدة والجوع بعد دعاء النبي ﷺ عليهم عندما لم يستجيبوا له فكانوا يرون ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان من شدة الجوع، وهذا هو رأي عبد الله بن مسعود ووافقه جماعة من السلف وهو اختيار ابن جرير قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (خمس قد مضين:اللزام[2] ، والروم ، والبطشة ، والقمر ، والدخان)[3].

ولما حدث رجل من كنده عن الدخان وقال : (إنه يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم غضب ابن مسعود رضي الله عنه وقال من علم فليقل ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم لا أعلم فإن الله قال ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝﴾ [ص:٨٦] وإن قريشا أبطئوا عن الإسلام فدعا عليهم النبي ﷺ فقال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف، فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان)[4].

الرأي الثاني :

إن هذا الدخان من الآيات المنتظرة التي لم تقع وأنه سوف يقع قرب قيام الساعة وإلى هذا القول ذهب ابن عباس وبعض الصحابة والتابعين فقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن عبد الله بن أبي مليكه قال غدوت على ابن عباس رضي الله عنهما ذات يوم فقال : (ما نمت الليلة حتى أصبحت قلت و لم ؟ قال قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى أصبحت)[5]. وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن وهكذا قول من وافقه

---

(١) سبق تخريجه ص ١٧٤ .

[2] اللزام: هو ما جاء في قوله تعالى: (فقد كذبتم سوف يكون لزاما) الفرقان٧٧. أي يكون عذابا لأزما يهلككم نتيجة تكذيبكم وهو ما وقع لكفار قريش في بدر من القتل والأسر.

[3] البخاري في التفسير باب فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ، ج٤ / ص ١٨٢٣ ح ٤٥٤٣ ، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب الدخان ص ١١٢٦ ح ٢٧٩٨.

[4] البخاري في التفسير تفسير سورة الروم ج٤ / ص ١٧٩١ – ١٧٩٢ / ح ٤٤٩٦ ، وباب (يغشى الناس هذا عذاب أليم) ج٤ / ص ١٨٢٣ / ح ٤٥٤٤ ، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار باب الدخان ص ١١٢٥ ح ٢٧٩٨.

[5] انظر تفسير الطبري ج١١ / ص ٢٢٤-٢٤٥ ، وابن كثير ج٤ / ١٥٠.

من الصحابة والتابعين أجمعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرها . . . مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن قال الله تعالى : (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) أي بين واضح يراه كل أحد على أن ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد(١).

وقد جمع بعض العلماء بين هذه الآثار بأنهما دخانان ظهر أحدهما وبقي الآخر وهو الذي سيقع في آخر الزمان فأما الذي وقع فهو الذي كان يراه كفار قريش كهيئة الدخان وهذا الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من أشراط الساعة الكبرى .

وهذا هو الصواب والله أعلم . قال القرطبي : (قال : مجاهد : كان ابن مسعود يقول هما دخانان قد مضي أحدهما والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكام وأما الكافر تثقب مسامعه) (٢).

وقال ابن جرير : (وبعد فإنه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد توعدهم ويكون محلا فيما يستأنف بعد بآخرين دخانا على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ عندنا كذلك لأن الأخبار عن رسول الله قد تظاهرت بأن ذلك كائن فإن كان ما روى عنه عبد الله بن مسعود فكلا الخبرين الذين رويا عن رسول الله ﷺ صحيح) (٣).

ثانيا : الريح التي تقبض أرواح الناس :

هذه الريح التي تقبض أرواح المؤمنين علامة من علامات الساعة الكبرى، وهي ريح طيبة تقبض أرواح المؤمنين فلا يبقى على الأرض من يقول الله، ويبقى أشرار الناس وعليهم تقوم الساعة.

وقد جاء في صفة هذه الريح أنها ألين من الحرير ، ولعل ذلك من إكرام الله لعباده المؤمنين في ذلك الزمان المليء بالفتن والشرور.

---

(١) ابن كثير ج ٤ / ص ١٥٠-١٥١ .

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ج٢ / ص ٣٨٩ .

(٣) راجع فيما سبق : أشراط الساعة ص ٣٨٣-٣٨٩ ، وصحيح أشراط الساعة ص ٢٨٧-٢٩٤ وكتاب فقد جاء أشراطها ص ٨١-٨٩.

جاء في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه الطويل في قصة الدجال ونزول عيسى عليه السلام (إذا يبعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن ومسلم ، ويبقى أشرار الناس يتهارجون[١] فيها تهارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة)[٢].

وروى مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (يخرج الدجال...) فذكر الحديث وفيه : (فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود[٣] ، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه)[٤].

ولا تعارض بين هذا الحديث وحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي فيه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله تعالى يبعث ريحا من اليمن ، ألين من الحرير فلا تدع أحدا في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته)[٥].

حيث يمكن الجمع بينهما بأنهما ريحان :

١) شامية ويمانية .

٢) أن مبدأها من أحد الإقليمين ثم تصل الآخر وتنتشر عنه[٦] . والله أعلم.

النص :

وغيرها من أمور في الكتاب جرت ذكرى وصح بها في السنة السند

---

[١] أي يجامع الرجال والنساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير لا يكترثون لذلك. أنظر شرح النووي ج١٨ص٢٧٧.

[٢] سبق تخريجه ص ١٨١.

[٣] هو عروة بن مسعود بن مالك بن كعب الثقفي، صحابي كانت له اليد البيضاء في تقرير صلح الحديبية أسلم عند منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف فقتله قومه لإسلامه فدفن مع شهداء المسلمين. أنظر الإصابة ج٤ص٤٩٢.

[٤] سبق تخريجه ص ١٨٦.

[٥] مسلم في الإيمان باب الريح التي تكون قرب القيامة ص ٧٢ ح ١١٧.

[٦] انظر أشراط الساعة وأسرارها ص ٨٨ / ٨٩.

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن أشراط الساعة لا تقتصر على الأشراط التي سبق ذكرها، وإنما هناك أشراط أخرى غيرها لم تذكر في هذا النظم، لاكتفاء الناظم بما ذكر منها، أما باقي الأشراط كالمهدي ، والنار التي تطرد الناس إلى محشرهم ، والخسف والمسخ ، وكثرة الفتن ، . . . الخ فكلها أشراط للساعة صح بها السند عن رسول الله ﷺ ؛ وهي إنما ذكرت ليتعظ بها الناس ويتذكرون يوم القيامة وما فيه من الأهوال فيعدوا لذلك اليوم عدته(١).

النص :

والنفخ في الصور حق أو لا فزع فصعقة فقيام بعدما رقدوا

المفردات : الفزع الذعر من الشيء والخوف منه (٢).

صعقة : الصعقة ، الصيحة يغشى منها على من يسمعها أو يموت(٣).

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى حقيقة النفخ في الصور ، فيذكر أنه ينفخ في الصور ثلاث نفخات هي :

١) نفخة الفزع .

٢) نفخة الصعق .

٣) نفخة البعث .

والصور في لغة العرب (القرن) وقد سئل عنه الرسول ﷺ ففسره بما تعرفه العرب في كلامها، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: (جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : ما الصور؟ فقال ﷺ : الصور قرن ينفخ فيه) (٤).

والملك الموكل بالنفخ في الصور هو سيدنا إسرافيل عليه السلام .

---

(١) انظر : النهاية في الفتن والملاحم ، وأشراط الساعة ، وصحيح أشراط الساعة، وكتاب فقد جاء أشراطها .

(٢) لسان العرب ج٨ / ص ٢٥١ .

(٣) لسان العرب ج١٠ / ص ١٩٨ ، وترتيب القاموس المحيط ج٢ / ٨٢٣ .

(٤) مسند أحمد ج ٢ / ص ١٦٢ ، والترمذي صفة القيامة باب ما جاء في شان الصور ج٩ / ص ٣٦٠-٣٦١ مع الشرح وقال هذا حديث حسن .

قال ابن حجر : (اشتهر أن صاحب الصور إسرافيل عليه السلام)[١].

وقد جاء عن الرسول ﷺ أن صاحب الصور مستعد دائما لأن ينفخ في الصور فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ)[٢].

والنفخ في الصور كما أشار الناظم -رحمه الله- يكون ثلاث مرات كالتالي :

النفخة الأولى : نفخة الفزع ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [النمل:٨٧].

النفخة الثانية : نفخة الصعق ، قال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر:٦٨].

النفخة الثالثة : نفخة البعث ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر:٦٨]. وقال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يس:٥١]. فالناظم هنا رجح أن يكون النفخ في الصور ثلاث مرات ، وهذا المذهب هو ما يراه ابن تيمية[٣] وابن كثير[٤] والسفاريني[٥].

وقد استدلوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [النمل:٨٧] . كما احتجوا بحديث الصور الطويل وفيه:(ثم ينفخ في الصور ثلاث نفخات ، نفخة الفزع ، ونفخة الصعق ، ونفخة القيام لرب العالمين[٦].

وهناك من يرى أن النفخ في الصور مرتين مثل ابن حجر والقرطبي، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر:٦٨].

---

(١) انظر فتح الباري ج١١ / ص ٣٦٨ .

(٢) سبق تخريجه ص ١٣٥ .

(٣) الفتاوى ج ٤/ص ٢٦٠ .

(٤) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ج١ / ص ٢٠٩ -٢١٩ .

(٥) لوامع الأنوار البهية ج٢ / ص ١٥٤ .

(٦) تفسير ابن كثير ج٢/ص ١٥٤ .

وبحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:(بين النفختين أربعون. قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما قال أبيت، قالوا أربعون سنة قال أبيت . قالوا أربعون شهرا قال أبيت) (١).

وبحديث أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:(إن أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه الصعقة وفيه النفخة) (٢).

ويرى أصحاب هذا المذهب أن الاستدلال بالآية التي تذكر فيها نفخة الفزع ليس صحيحا على أن هذه نفخة ثالثة، إذ لا يلزم من ذكر الحق تبارك وتعالى للفزع الذي يصيب من في السماوات والأرض عند النفخ في الصور ، أن تجعل هذه النفخة مستقلة ، فالنفخة الأولى تفزع الأحياء قبل صعقهم ، والنفخة الثانية تفزع الناس عند موتهم . يقول ابن حجر : ولا يلزم من مغايرة الصعق الفزع أن لا يحصلا معا منذ النفخة الأولى) (٣). وأما حديث الصور فهو حديث ضعيف مضطرب كما ذكر الحافظ بن حجر رحمه الله . هذه هي مذاهب العلماء في النفخ في الصور ، والأولى بالصواب عندي المذهب الثاني وهو ما ذهب إليه الإمام ابن حجر والقرطبي من أن النفخ في الصور مرتين، والله أعلم .

النص :

والوزن بالقسط والأعمال محضرة في الصحف تنشر والأشهاد قد شهدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى مشهد آخر من مشاهد يوم القيامة وهو الميزان فيقول إن الوزن يوم القيامة يكون بالقسط أي بالعدل فلا يظلم أحد في ذلك اليوم لأن الحاكم فيه هو العدل الحكيم الذي حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرما قال تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ﴾ [غافر:١٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧].

---

(١) البخاري في التفسير باب تفسير سورة الزمر ج٤ / ص ١٨١٣/ح ٤٥٣٥، ومسلم في الفتن باب ما بين النفختين ص ١١٨٦ ح ٢٩٥٥ .

(٢) أبو داود في الصلاة باب فضل يوم الجمعة ح ١٠٤٧ ، والنسائي في كتاب الجمعة باب إكثار الصلاة على النبي يوم الجمعة ح ١٣٧٣ ، وابن ماجة في إقامة الصلاة السنة فيها باب فضل الجمعة ح ١٠٨٥ صححه الألباني أنظر صحيح سنن النسائي ج١ ص٢٩٧ .

(٣) فتح الباري ج١١ / ص ٣٦٩ .

(والأعمال محضرة في الصحف تنشر) أي أن أعمال الإنسان التي عملها في الدنيا تكون حاضرة أمامه لأنها سجلت وأحصيت عليه في الدنيا وهي الآن معروضة عليه في الصحف التي تنشر بين يديه فإن كان ما أحصى فيها خيرا أعطي كتابه بيمينه.

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ ﴾ [الحاقة:١٩-٢١].

وإن كان ما أحصي فيها شراً أعطي كتابه بشماله قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ۝ ﴾ [الحاقة:٢٥-٢٩].

(والأشهاد قد شهدوا) لعل الناظم أراد بهذه العبارة الرسل الذين يشهدون على أممهم بالتصديق أو التكذيب أو الملائكة الذين سجلوا هذه الأعمال أو أعضاء الإنسان التي تشهد عليه يوم القيامة أو الأرض التي تحدث بما فعل على ظهرها وغير ذلك من الأشهاد.

والظاهر أنه أراد كل ذلك . . . والله أعلم .

الميزان عند أهل السنة والجماعة :

والميزان عند أهل السنة والجماعة ميزان حقيقي توزن به الأعمال ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة .

أولاً : أدلة الكتاب :

قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأنبياء:٤٧].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌ ۝ ﴾ [القارعة:٦-١١].

ثانياً : الأدلة من السنة :

قال رسول الله ﷺ : **(كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)** [١].

---

(١) البخاري في الدعوات باب فضل التسبيح ج٥ / ص ٢٣٥٢/ح ٦٠٤٣، ومسلم في الذكر والدعاء باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ص ١٠٨١ ح ٢٦٩٤ .

وقد أنكر الميزان المعتزلة ومن يقول بقولهم، استنادا إلى عقولهم في رد النصوص من القرآن والسنة ، حيث قالوا أن الأعمال أعراض والأعراض لا توزن وإنما توزن الأجسام.

قال ابن حجر : قال أبو إسحاق الزجاج[1] : (أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة ، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال، وأنكرت المعتزلة الميزان وقالوا هو عبارة عن العدل فخالفوا الكتاب والسنة لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين)[2].

وقد رد القرطبي على الذين أنكروا الميزان ، وأولوا النصوص الواردة فيه وحملوها على غير محملها قائلا (قال علماؤنا ولو جاز حمل الميزان على ما ذكروه لجاز حمل الصراط على الدين الحق والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد من الأحزان والأفراح والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة ، والملائكة على القوى المحمودة ، وهذا كله فاسد لأنه رد لما جاء به الصادق ﷺ ، وفي الصحيحين (فيعطى صحيفة حسناته) وقوله : (فيخرج له بطاقة) وذلك يدل على الميزان الحقيقي وان الموزون صحف الأعمال كما بينا وبالله التوفيق)[3].

والمعول عليه في هذا الباب النصوص ولهذا رجح أهل السنة والجماعة :

١/ أن الميزان ميزان حقيقي ، كما سبق وأن ذكر ذلك بالأدلة .

٢/ أن الأعمال توزن في هذا الميزان ، قال شيخ الإسلام:(الميزان هو ما يوزن به الأعمال وهو غير العدل كما دل على ذلك الكتاب والسنة) واستدل على ذلك :

بقوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝﴾ [القارعة:٦-١١] .

وقوله تعالى : ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء:٤٧].

---

[1] أبو إسحاق الزجاج هو : أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل بن الزجاج (٢٤١ -٣١١هـ) من مشاهير اللغويين والدعاة) من كتبه : معاني القرآن، وشرح أبيات سيبويه، والاشتقاق. أنظر تاريخ بغداد ج١ص٢٨٧. المنتظم لابن الجوزي ج٦ص١٧٦. وشذرات الذهب ج٢ص٢٥٩.

[2] فتح الباري ج١٣/ص ٥٣٨.

[3] انظر التذكرة ج٢ / ص ٨.

وبقول الرسول ﷺ : (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان . . .) الحديث (١).

وبحديث البطاقة الذي فيه أن رجلا يؤتى به له تسع وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيوضع في كفة ، ويؤتى ببطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله، قال النبي ﷺ : فطاشت السجلات وثقلت البطاقة) (٢).

ثم قال:(وهذا الحديث وأمثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين تبين رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس ، فهو ما به تبين العدل، والمقصود بالوزن العدل كموازين الدنيا ، وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة سائر ما أخبرنا به من الغيب) (٣).

وقد اختلف العلماء في الموزون في ذلك اليوم على أقوال :

الأول :

أن الأعمال نفسها هي التي توزن ، وأن أعمال العباد تجسم فتوضع في الميزان والدليل على ذلك قول الرسول ﷺ :(كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن .. الحديث) (٤).

وقول الرسول ﷺ : (يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران) (٥).

وهذا القول قد رجحه ابن حجر حيث قال:(والصحيح أن الأعمال هي التي توزن) (٦).

الثاني:

أن صحائف الأعمال هي التي توزن ، الدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (إن الله عز وجل يستخلص رجلا من أمتي

---

(١) سبق تخرجه ص ١٩٩ .

(٢) سيأتي ذكره قريبا .

(٣) الفتاوي ج٤ / ص ٣٣٠٢ .

(٤) سبق تخرجه ص ١٩٩ .

(٥) مسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ص ٣١٤ ح ٨٠٤

(٦) فتح الباري ج١٣/ص ٥٤٨ .

على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا . كل سجل مد البصـــر ثـم يقول أتنكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ قال : لا يا رب . قال أفلك عـــذر أو حسنة قال : فبهت الرجل، فيقول لا يا رب ، فيقول بلى إن لك عندنا حسنة واحـــدة لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رســول الله، فيقول أحضروه، فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فيقول إنك لا تظلم ، قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقـــة، قال، ولا يثقل شيء مع اسم الله الرحمن الرحيم) (١).

وقد مال القرطبي إلى هذا القول فقال : (والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبـة وبها تخف كما دل عليه الحديث الصحيح والكتاب العزيز ، قال الله عـــز وجـــل : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ ﴾ [الانفطار:١٠-١١]. وهذا نص ، قال ابن عمر توزن صحائف الأعمـــال وإذا ثبت هذا فالصحف أجسام فيجعل الله تعالى رجحان إحدى الكفتين على الأخـــرى دليـــلا على كثرة أعماله بإدخاله الجنة أو النار) (٢).

الموزون هو العامل نفسه ، القول الثالث : والدليل على ذلك قول الرسول ﷺ : (إنه ليأتي الرجـــل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله بعوضة، وقال اقـــرؤا ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝ ﴾ [الكهف:١٠٥] (٣).

فهذه النصوص تدل على أن العباد يوزنون يوم القيامة فيثقلون في الميزان أو يخفون بمقدار إيمانهم، لا بضخامة أجسامهم.

ولعل الحق أن الذي يوزن هو العامل وعمله. وصحيفة أعماله فقد دلت النصوص المثبتـــة لـــوزن الواحد منها أن غيره لا يوزن فيكون مقتضى الجمع بين النصوص إثبات الوزن للثلاثة المذكـــورة جميعها.

---

(١) أحمد ج٢ / ٢١٣ ، والترمذي في الإيمان باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إلـــه إلا الله ج١٠ / ص ١٠٧ مـــع الشرح . صححه الألباني أنظر صحيح سنن الترمذي ج٢ ص٣٣٣-٣٣٤ .

(٢) التذكرة ج٢ / ص ٧-٨ .

(٣) البخاري في التفسير تفسير سورة الكهف ج٤ / ص ١٧٥٩ / ح ٤٤٥٢ ، ومسلم في صفة القيامة والجنـــة والنـــار ص ١١٢٠ ح ٢٧٨٥ .

وهذا ما رجحه الشيخ حافظ الحكمي فقال:(والذي استظهر من النصوص –والله أعلم– أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل ذلك ولا منافاة بينها ، ويدل لذلك ما رواه أحمد رحمه الله تعالى عن عبد الله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة ثم قال : فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن ولله الحمد والمنة) (١).

النص :

والجسر ما بين ظهراني الجحيم كما	في النص إن أحد إلا لها يرد
يجوزه الناس بالأعمال تحملهم	عليه ليس القوي والعدد والعدد
كالبرق والطرف أو مر الريح وكالـ	ـجياد أو كركاب النوق تنشرد
وذاك يعدو وذا يمشي عليه وذا	زحفا وذا كب في نار به تقد

المفردات :

يرد : الورود على الشيء هو الإشراف عليه سوءا دخله أم لم يدخله (٢).

يجوزه : من جاز الشيء وأجازه إذا سار فيه وقطعه (٣).

تنشرد : شرد البعير والدابة بمعنى نفر ، فهو شارد والمراد سرعة السير (٤).

تتقد : الوقود كل ما توقد به النار، واتقدت النار أي هاجت (٥).

الشرح :

في هذه الأبيات يشير الناظم –رحمه الله– إلى أمر آخر من أهوال يوم القيامة وهو المرور على الجسر أي (الصراط).

والصراط في اللغة : هو الطريق الواضح .

---

(١) انظر معارج القبول ج٢ ص ٨٤٨ – ٨٤٩ .

(٢) لسان العرب ج ٣ ص ١٧٧ .

(٣) المرجع السابق ج٥ / ص ٢٦٦ ، وترتيب القاموس المحيط ج١ / ص ٥٥٦ .

(٤) لسان العرب ج٣ / ص ٢٣٦ وترتيب القاموس المحيط ج٢ / ص ٦٥٣ – ٦٥٤ .

(٥) لسان العرب ج٣ / ص ٢٣٦ ، وترتيب القاموس المحيط ج٢ / ص ٦٤٠ .

وفي الشرع جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون ، فهو قنطرة بين الجنة والنار[1].
فالجسر هو الممدود على متن جهنم كما في النص في قوله تعالى:﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم:٧١].

وهذا الجسر يجتازه الناس بأعمالهم الصالحة التي تحملهم وتجعلهم قادرين على السير عليه وليس قوتهم وعددهم وعدتهم هي التي تجعلهم يجتازونه إلى الجنة. وهؤلاء الناس يجتازونه بحسب أعمالهم فمنهم من يمر عليه كالبرق، ومنهم من يمر عليه كالطرف، ومنهم من يمر عليه كالريح، ومنهم من يمر عليه كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يجري ومنهم من يمشي ومنهم من يزحف ومنهم من يسقط في النار التي تتقد به،كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦] .

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هذا المعنى كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه من حديث الرؤية والشفاعة الطويل ، وفيه:(ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا نعم يا رسول الله، قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله ، تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم المؤمن يبقى بعمله أو الموبق بعمله ، والموثق بعمله ، ومنهم المخردل[2] أو المجازى أو نحوه . . . الحديث)[3].
وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه الطويل : (ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم قلنا يا رسول الله وما الجسر ؟ قال مدحضة[4] مزلة[5] ، عليه خطاطيف كلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفة تكون بنجد يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف، وكالبرق وكالريح وكأجاويد

---

(١) لوامع الأنوار البهية ج٢ / ص ١٨٩ .

[2] المخردل: المصروع المرمي أي المقطع بهذه الكلاليب. شرح النووي لصحيح مسلم ج٣ص٢٦ ولسان العرب ج١١ ص٢٠٣.

[3] البخاري في التوحيد باب قال الله تعالى "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" ج٦/ ص ٢٧٠٤ / ح ٧٠٠٠.ومسلم في الإيمان باب معرفة طريق الرؤية ج٣ص٢١ ح٢٩٩.

[4] مدحضة : من دحضت رجله أي زلقت ومالت: أنظر لسان العرب ج٧ص ١٤٨.

[5] مزلة: موضع تزلق الأقدام. المرجع السابق ج١١ص٣٠٦.

الخيل، والركاب، فناج مسلم ، وناج مخدوش مكدوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحبا) (١).

من هم الذين يمرون على الصراط ؟

معنى ورود النار :

ذهب بعض العلماء إلى أن المراد بورود النار المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم:٧١]. هو دخول النار وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه(٢). وكان يستدل على ذلك بقوله تعالى في فرعون : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ﴾ [هود:٩٨]. وقوله تعالى : ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم:٨٦]. وبقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾ [الأنبياء:٩٩].

وذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالورود هنا المرور على الصراط كما في قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم:٧١]. قال شارح الطحاوية واختلف المفسرون في المراد بالمرور في قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم:٧١]. ما هو ؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم:٧٢]. وفي الصحيح أنه ﷺ قال (والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة) قالت حفصة فقلت يا رسول الله أليس الله يقول (وإن منكم إلا واردها) قال ألم تسمعيه قال (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) (٣). فقد أشار الرسول ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها ، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدو ليهلكوه ولم يتمكنوا منه يقال نجاه الله منهم ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا ﴾ [هود:٥٨].

---

(١) البخاري في التوحيد باب قال الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة)ج٦ص ٢٧٠٤ ح ٧٠٠١. ومسلم في الإيمان باب معرفة طريق الرؤية ج٣ ص ٢١ ح ٢٩٩ .

(٢) التخويف من النار لابن رجب الحنبلي ص ٢٠ .

(٣) مسلم في فضائل أصحاب الشجرة ص ١٠١٢ ح ٢٤٩٦ ونص الحديث عنده : أن الرسول ﷺ قال عند حفصة لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها ، قالت بلى يا رسول الله ، فانتهرها فقالت (وإن منكم إلا واردها) فقال النبي ﷺ (قد قال الله عز وجل ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا).

وقال : ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا﴾ [هود:٦٦]. وقال : ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ [هود:٩٤].

ولم يكن العذاب أصابهم بل أصاب غيرهم ، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك ، وكذلك حال الواردين على النار يمر من فوقها على الصراط ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا ، فقد بين ﷺ في حديث جابر المذكور أو الورود على النار وردان، ورود الكفار أهل النار فهذا ورود دخول لا شك في ذلك كما قال تعالى في شأن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ۝﴾ [هود:٩٨]. أي بئس المدخل المدخول .

والورود الثاني ورود الموحدين ، أي مرورهم على الصراط على النحو المذكور في الأحاديث السابقة[١].

معتقد أهل السنة والجماعة في الصراط :

قال شارح الطحاوية (ونؤمن بالصراط وهو جسر على جهنم ، إذ انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط)[٢] كما قالت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سئل : أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال : (هم في الظلمة دون الجسر)[٣].

وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين ، ويتخلفون عنهم ويسبقهم المؤمنون ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم .

وقد بين السفاريني رحمه الله موقف الفرق من الصراط، وهل هو صراط مجازي أم حقيقي؟ ثم قرر مذهب أهل الحق الذي دلت عليه النصوص فقال: (اتفقت الكلمة على إثبات الصراط في الجملة، لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسرا ممدودا على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة).

(١) انظر القيامة الكبرى ص ٢٧٨ .

(٢) أنظر شرح الطحاوية ص ٦٠٥.

(٣) مسلم في الحيض باب صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما ص ١٤٥ ح ٣١٥.

وأنكر هذا الظاهر القاضي عبد الجبار المعتزلي[1] وكثير من أتباعه زعما منه أنه لا يمكن عبوره وإن أمكن ففيه تعذيب ، ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة، وإنما المراد طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى : ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝﴾ [محمد:٥]. وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى : ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۝﴾ [الصافات:٢٣]. ومنهم من حمله على الأدلة الواضحة والمباحات والأعمال الرديئة التي يسأل عنها ويؤاخذ بها.

وكل هذا باطل وخرافات لوجوب حمل النصوص على حقائقها، وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء أو الطيران في الهواء ، أو الوقوف فيه، وقد أجاب ﷺ عن سؤال حشر الكافر على وجهه بأن القدرة الإلهية صالحة لذلك . . . إلى أن قال (والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة، وهو محمول على ظاهره من غير تأويل كما ثبت في ا لصحيحين ، والمسانيد والسنن ، والصحاح مما لا يحصى إلا بكلفة، من أنه جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق وهم في جوازه متفاوتون[2].

وقد ذكر القرطبي مذهب القائلين بمجازية الصراط والمؤولين للنصوص المصرحة به فقال : ذهب بعض من تكلم عن أحاديث وصف الصراط من أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف أن ذلك راجع إلى يسره وعسره ، على قدر الطاعات والمعاصي ، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله ، لخفائها وغموضها ، وقد جرت العادة بتسمية الغامض الخفي دقيق فضرب المثل بدقة الشعر فهذا من هذا الباب .

ومعنى قوله أحد من السيف أن الأمر الدقيق الذي يصعد من عند الله تعالى إلى الملائكة في إجازة الناس على الصراط يكون في نفاذ حد السيف ومضيه إسراعا منهم في طاعته وامتثاله ولا يكون له مرد ، كما أن السيف إذا نفذ بحده وقوة ضاربه في شيء لم يكن له بعد ذلك مرد .

وإما أن يقال أن الصراط نفسه أحد من السيف وأدق من الشعر فذلك مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجانبيه، وأن فيه كلاليب وحسكا، أي أن من يمر عليه يقع على بطنه ، ومنهم

---

[1] عبد الجبار المعتزلي: هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد الهمداني قاضي الري، (٣٥٩-٤١٥هـ) من رؤوس المعتزلة، من كتبه المغني، وشرح الأصول الخمسة وتنزيه القرآن عن المطاعن، دلائل النبوة، أنظر تاريخ بغداد ج١١ص١١٣، وميزان الاعتدال ج٢ص٩١، شذرات الذهب ج٣ص٢٠٣.

[2] لوامع الأنوار البهية ج٢ / ص ١٩٢.

من يزل ثم يقوم ، وفيه أن من الذين يمرون عليه من يعطي النور بقدر موضع قدمه وفي ذلك إشارة أن للمارين عليه مواطئ الأقدام ومعلوم أن دقة الشعر لا يحتمل هذا كله).

ثم رد عليهم مقالتهم بقوله:(ما ذكره هذا القائل مردود بما ذكرنا من الأخبار وأن الإيمان يجب بذلك وإن القادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك المؤمن عليه فيجريه أو يمشيه ، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة ولا استحالة في ذلك للآثار المروية في ذلك وبيانها بنقل الأئمة العدول (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) [١].

النص :

والنار حق وجنات النعيم ولا	تقول تفنى ولا ذا الآن تفتقد
هذي لأعدائه قد أرصدت أبدا	وذي لأحبابه والكل قد خلدوا

المفردات :

أرصدت : الإرصاد الإعداد ، وأرصدت أي أعددت[٢].

الشرح :

يتحدث الناظم -رحمه الله- في هذين البيتين عن الجنة والنار وأنهما حق لا شك فيه وأنهما دائمتان وباقيتان بإبقاء الله لهما ، وأن النار قد أعدت لأعداء الله من الكفرة والمشركين، وأن الجنة أعدت لأولياء الله تعالى من أهل التوحيد.

ثم شرع الناظم -رحمه الله- في ذكر الأمور التي يجب اعتقادها في الجنة والنار وهي كالتالي:

١- أنهما حق لا شك في ذلك، فقد أعد الله الجنة لأوليائه والنار لأعدائه. الأدلة على ذلك :

أولاً : من القرآن ، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم:٦]. وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التحريم:٨]. وقال تعالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ

---

(١) التذكرة ج٢ / ص ٣٠-٣١ .

(٢) لسان العرب ج٣ / ص ١٧٧ .

عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحجر:٤٢-٤٦].

ثانيا : من السنة

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من عمل)(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال (اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد ﷺ حق والساعة حق، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ، أو لا إله غيرك . . . الحديث)(٢).

٢- اعتقاد وجودهما الآن :

الأدلة على ذلك :

أولا : من القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران:١٣٣].

﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد:٢١].

وغيرها من الآيات التي يخبر الله تعالى فيها أن الجنة معدة قد وجدت وهيئت لعباده الصالحين.

---

(١) البخاري في الأنبياء باب قوله تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) ج٣ / ص ١٢٦٧ ح / ٣٢٥٢ ومسلم في الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ص ٤٥ ح ٢٨ .

(٢) البخاري في التهجد باب التهجد بالليل ج١ / ص ٣٧٧ / ح / ١٠٦٦٩ ، ومسلم في صلاة المسافرين بـاب الدعـاء في صلاة الليل وقيامه ص ٣٠٤ ح ٧٦٩ .

وقال تعالى في النار : ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝﴾ [آل عمران:١٣١].

﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝﴾ [الفرقان:١١]

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦]

فهي أيضاً معدة لأعداء الله تعالى مرصدة لهم (١).

ثانياً : من السنة :

عن عمران بن الحصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء) (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فاقرأوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (٣).

وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تدل على وجود الجنة والنار ، وأن الله قد أعد الجنة لأوليائه والنار لأعدائه.

٣- اعتقاد دوامهما وبقاؤهما بإبقاء الله تعالى لهما وأنهما لا تفنيان أبدا ولا يفنى من فيهما

أولاً : الأدلة على ذلك من القرآن الكريم :

قال تعالى في الجنة :﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال تعالى : ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝﴾ [الحجر:٤٨].

وقال تعالى : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝﴾ [هود:١٠٨].

---

(١) معارج القبول ج/ ٢ ص ٨٦٠ .

(٢) البخاري في الرقاق باب صفة الجنة والنار ج٥ / ص ٢٣٩٧ / ح ٦١٨٠ ، ومسلم كتاب الرقاق باب أكثر أهل الجنة الفقراء ص ١٠٩٥ ح ٢٧٣٦ .

(٣) البخاري في التوحيد باب قول الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) ج٦ / ص ٢٧٢٣ / ٢٧٢٤ / ح ٧٠٥٩ ، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها ص ١١٣٦ ح ٢٨٢٤ .

وقال تعالى في النار : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۝﴾ [النساء:١٦٨-١٦٩].

وقال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝﴾ [طه:٧٤].

ثانيا : الأدلة من السنة :

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ (إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، جيئ بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادى مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا، ويزداد أهل النار حزنا على حزنهم)[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ يقول لأهل الجنة خلود لا موت ، ولأهل النار خلود لا موت) [٢].

وهذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف :

قال الإمام الطحاوي : (والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبدا ولا تبيدان ، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلا ، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه ، ومن شاء منهم إلى النار عدلا منه ، وكل يعمل لما قد فرغ له ، وصائر إلى ما خلق له ، والخير والشر مقدران على العبد).

وقال بفناء الجنة والنار والناس الجهم بن صفوان ، إمام المعطلة وليس له سلف قط.

قال شارح الطحاوية في شرحه للنص السابق :

أما قوله (إن الجنة والنار مخلوقتان) أتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، ولم يزد أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا ، ولا ينبغي له أن يفعل كذا وقاسوه على خلقه في أفعالهم ، فهم مشبهة في الأفعال ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة ، وقالوا خلق الجنة قبل الجزاء عبث، لأنها تصير معطلة مددا متطاولة، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة، التي وضعوها للرب

---

(١) البخاري في الرقاق باب صفة الجنة والنار ج٥ / ص ٢٣٩٧ – ٢٣٩٨ / ح ٦١٨٢ ومسلم في ا لجنة ونعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون ص ١١٤٤ ح ٢٨٥٠.

(٢) البخاري في الرقاق يدخل الجنة سبعون الفا بغير حساب ج٥ / ص ٢٣٩٧ / ح ٦١٧٩ .

تعالى ، وحرفوا النصوص عن مواضعها ، وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم) (١).

وقال أيضاً وأما شبهة من قال إنها لم تخلق بعد، وهي أنها لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطرارا أن تفنى يوم القيامة، وأن يهلك كل من فيها ويموت(٢).

كقوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص:٨٨].

وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وقد روى الترمذي في جامعه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) (٣).

قال هذا حديث حسن .

وفيه أيضاً من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال (من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة) (٤). قال : هذا حديث صحيح.

قالوا : فلو كانت مخلوقة مفرغا منها لم تكن قيعان و لم يكن لها هذا الغراس .

وقالوا : وكذا قوله تعالى عن إمرأة فرعون أنها قالت : ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ [التحريم:١١].

فالرد عليهم :

أنكم إن أردتم بقولكم أنها الآن معدومة بمنزلة النفخ في الصور وقيام الناس من القبور فهذا باطل يرده ما تقدم من الأدلة ، وأمثالها مما لم يذكر.

وإن أردتم أنها لم يكمل خلق جميع ما أعد الله فيها لأهلها ، وأنها لا يزال الله يحدث فيها شيئا بعد شيء، وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها أمورا أخرى فهذا حق لا يمكن رده وأدلتكم هذه إنما

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص ٦١٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٦١٨ – ٦١٩ .

(٣) الترمذي في الدعاء باب ما جاء في فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ج١٣ / ص ١٤-١٥ مع الشرح وقال حديث حسن وعلق الألباني بقوله حسن أنظر صحيح سنن الترمذي ج٣ ص ١٦٠.

(٤) الترمذي في الدعاء باب فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ج١٣ / ص ١٥-١٦ مع الشرح وقال حديث حسن وعلق عليه الألباني بقوله صحيح أنظر المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

تدل على هذا القدر.

وأما احتجاجاتكم بقوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨].

فأتيتم من سوء فهمكم معنى الآية، واحتجاجكم بها على عدم وجود النار الآن ، نظير احتجاج إخوانكم بها على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما.

فلم توفقوا أنتم ولا إخوانكم لفهم معنى الآية، وإنما وفق لذلك أئمة الإسلام فمن كلامهم أن المراد كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك.

والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء وكذلك العرش فإنه سقف الجنة وقيل المراد به إلا ملكه وقيل إلا ما أريد به وجهه .

وقيل إن الله تعالى أنزل : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝﴾ [الرحمن:٢٦].

فقالت الملائكة : هلك أهل الأرض وطمعوا في البقاء ، فأخبر الله تعالى عن أهل السماء والأرض أنهم يموتون فقال ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] لأنه حي لا يموت ، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت وإنما قالوا ذلك توفيقا بينهما وبين النصوص المحكمة الدالة على بقاء النار أيضا[1].

النص :

وحوض أحمد قد أعطاه خالقه ... غوثا لأمته في الحشر إذ ترد

المفردات : غوثا : الغياث ، ما أغاثك الله به ، ويقول الواقع في بليه : أغثني أي فرج عني، والمراد تفريجا عنهم[2].

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أمر من الأمور التي أختص بها سيدنا محمد ﷺ على سائر الرسل وهو الحوض الذي يصب ماؤه من نهر الكوثر الذي أعطاه الله تعالى لرسوله ﷺ يوم القيامة لترد عليه أمته حين يشتد بهم العطش في موقف الحشر فيكون غوثا من الله تعالى لهم يشربون منه شربة هنيئة لا يظمأون بعدها أبدا. فيقول بأن هذا الحوض حق لا شك فيه.

قال تعالى:﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝﴾ [الكوثر:١-٣].

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص ٦١٨-٦٢٠ .

(٢) لسان العرب ج٢ / ص ١٧٤ .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (إن قدر حوضي كما بين أيلة[1] إلى صنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء)[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال : أنزلت علي آنفا سورة فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر) قال : أتدرون ما الكوثر فقلنا الله ورسوله أعلم ، قال فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك)[3].

والحوض حق لا شك فيه ولكن هل هو خاص بالرسول ﷺ أم أن لكل نبي حوضا كما جاء ذلك عند الترمذي من حديث سمرة (إن لكل نبي حوضا)[4] اختلف العلماء في ذلك استنادا إلى هذا الحديث وما ورد في معناه من الأحاديث ، فمنهم من قال إن لكل نبي حوضا ومنهم من قال إنه خاص بالرسول ﷺ . وإن ثبتت صحة هذا الحديث وما في معناه من أن لكل نبي حوضا فإن ما اختص به الرسول ﷺ هو الكوثر الذي يصب ماؤه في حوض الرسول ﷺ و لم يعط لأحد غيره كما قال تعالى : (إنا أعطيناك الكوثر)[5].

صفة الحوض :

قال شارح الطحاوية : (والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض. أنه حوض عظيم، ومورد كريم يمد من شراب الجنة ، من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر)[6].

---

[1] مدينة معروفة في الشام على ساحل البحر الأبيض المتوسط، مسلم شرح النووي ج١٥ ص٦٣.

[2] البخاري في الرقاق باب ذكر الحوض ج٥ / ص ٢٤٠٥ – ٢٤٠٦ / ومسلم في الفضائل بـاب إثبـات حـوض نبينـا ص٩٤٣ ح ٢٣٠٣.

[3] مسلم في الصلاة باب حجة من قال البسملة آية من كل سورة سوى براءة ص١٧٢ ح ٤٠٠.

[4] الترمذي في صفة القيامة . باب ما جاء في صفة الحوض ج٩ ص ٢٧٠–٢٧١ مع الشرح صححه الألباني أنظـر صحيـح سنن الترمذي ج٢ ص٢٩٦.

[5] انظر فتح الباري ج١١ / ص ٤٦٧.

[6] شرح الطحاوية ص ٢٨٠–٢٨١.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (إن حوضي أبعد من أيلة من عدن ، لهو أشد بياضا من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه، قالوا يا رسول الله أتعرفنا يومئذ قال نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم ، تردون علي غرا محجلين من أثر الوضوء) (١).

قال القرطبي رحمه الله (واختلف في الميزان والحوض أيهما يكون قبل الآخر؟ فقيل الميزان قبل، وقيل الحوض، قال أبو الحسن القابسي : والصحيح أن الحوض قبل قال القرطبي (والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم كما تقدم فيقدم قبل الميزان والصراط). والله أعلم(٢).

مما سبق يتضح لنا أن الحوض من الأمور التي اختص الله بها رسوله ﷺ يوم القيامة، وأنه يستمد ماؤه من نهر الكوثر الذي في الجنة ، وهذا الحوض لا يرد عليه إلا أتباع سيدنا محمد ﷺ الذين آمنوا به وصدقوه أما المنافقون والمبتدعون فإنهم من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه ، قال القرطبي رحمه الله : قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين : فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله و لم يأذن به فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم ، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على بيان ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وتطميس الحق ، وقتل أهله ، وإذلالهم ، والمعلنون بالكبائر ، والمستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع(٣).

النص :

والرسل تحت لواء الحمد تحشر إذ ... ذاك اللوا لختام الرسل ينعقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن النبي ﷺ يحمل يوم القيامة لواء الحمد ذلك اللواء الذي يحشر تحته جميع الرسل عليهم السلام، وقد أشار الرسول ﷺ إلى هذا المعنى بقوله (أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا يئسوا لواء

---

(١) مسلم في الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ج٣ / ص ١٣٨/ ح ٢٤٧ مع الشرح.

(٢) انظر التذكرة ج١ ص ٣٤٣ .

(٣) التذكرة ج١ / ٣٤٨ .

الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم على ربي ولا فخر)[١].

وقال ﷺ (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، ما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي)[٢].

النـــــص :

كذا المقام له المحمـــود حيث بـــه   في شأنه كل أهل الجمع قد حمـــدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أمر آخر من الأمور التي فضل الله بهـا سـيدنا محمدا ﷺ على سائر الرسل وهو المقام المحمود "الشفاعة العظمى لفصل القضاء" حيث يكون يـوم القيامة أول من يشفع ، وأول من تقبل شفاعته يوم القيامة ، وذلك عندما يبعثه الله المقام المحمـــود الذي يحمده أهل ذلك الموقف كلهم.

الشفاعة لغة : اسم من شفع يشفع ضد الوتر[٣] .

قال تعالى : ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝﴾ [الفجر:٣].

الشفاعة شرعا : التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة .

جلب المنفعة مثل : شفاعة النبي ﷺ لأهل الجنة بدخولها .

ودفع المضرة مثل : شفاعة النبي ﷺ لمن استحق النار ألا يدخلها[٤]

قال تعالى : (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا).

وذلك المقام المحمود هو الشفاعة الخاصة بالرسول ﷺ كما سيأتي بيانه في البيت التالي .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلـي نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأيما رجل من أمتـي

---

(١) الترمذي في المناقب باب فضل النبي ﷺ ، ح ٣٦١٠ وقال حديث حسن وعلق عليه الألباني بقوله حسن أنظر صحيـــح ســـنن الترمذي ج٣ ص١٩٠ .

(٢) الترمذي نفس الكتاب والباب ح ٣٦١٥ ، وقال هذا حديث حسن صحيح.وصححه الألباني أنظر صحيح سنن الـترمذي نفـس الجزء والصفحة.

(٣) أنظر لسان العرب ج٨ص١٨٣.

(٤) راجع في تعريف الشفاعة القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين ج١ / ص ٣٣٠-٣٣١، لوامع الأنوار البهية ج٢ / ص ٢٠٤.

أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي ، وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة وأعطيت الشفاعة)(١).

فالشافع هو صاحب الشفاعة التي يطلبها لغيره -وهو المشفوع له- ويسمى شفيعا، وإن قبلت شفاعته فهو مشفوع. والمشفوع له هو من تطلب له الشفاعة . والمشفوع إليه هو من تطلب منه الشفاعة ، فإن قبلها فهو مشفع (٢).

النص :

وهو الشفاعة في فصل القضاء وفي فتح الجنان لأهليها إذا وفدوا

الشرح :

في هذا البيت شرع الناظم -رحمه الله- في تفصيل ذلك المقام المحمود الذي يعطاه الرسول ﷺ يوم القيامة ، ويحمده عليه كل أهل الجمع فذكر أن من ذلك المقام المحمود الشفاعة في فصل القضاء وهي الشفاعة العظمى التي خص بها رسول الله ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

وذلك حين يتوسط الناس يوم القيامة إلى سيدنا آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم السلام من أجل الشفاعة عند الله تعالى ليقضي بين الخلق ليريحهم من مقامهم ذلك وما هم فيه من الشدة والكرب ، فيعتذر الجميع عن قبولها حتى يصل الأمر إلى رسول الله ﷺ فيقول أنا لها أنا لها ويشفع عند ربه لأهل الموقف.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ فيشفع ليقضي بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده كل أهل الجمع)(٣).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (إن الناس يصيرون يوم

---

(١) مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ص ٢١١ ح ٥٢١ .

(٢) انظر الشفاعة عند أهل السنة والجماعة ص ١٤ و ١٥.

(٣) البخاري في الزكاة باب من سأل الناس تكثراً ج٢ / ص ٥٣٦-٥٣٧ ح ١٤٠٥ .

القيامة جثا[1] كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود) [2].

وفي قول الناظم -رحمه الله- (وفي فتح الجنان لأهلها إذا وفدوا) يشير إلى نوع آخر من أنواع الشفاعة والتي هي من المقام المحمود الذي يعطاه الرسول ﷺ يوم القيامة هو الشفاعة في استفتاح باب الجنة لأهلها .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ **(أنا أول شفيع في الجنة لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت ، وأن من الأنبياء نبيا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد)** [3].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد فيقول بك أمرت لا افتح لأحد قبلك)** [4].

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن الرسول ﷺ أول الشفعاء لأهل الجنة في دخولها.

النص :

وفي عصاة أولي التوحيد يخرجهم … من الجحيم ويدريهم بما سجدوا

المفردات :

يدريهم : دري الشي إذا علمه، وأدراهم أي أعلمهم [5].

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى صورة أخرى من صور المقام المحمود الذي يعطاه الرسول ﷺ يوم القيامة

وهو الشفاعة في عصاة الموحدين وأهل الكبائر منهم ليخرجهم الله تعالى من النار ويدخلهم الجنة بسبب توحيدهم ويشاركه في هذه الشفاعة غيره كما سيأتي في البيت التالي .

---

(١) جثا : أي جماعات ، والجثا جمع جثوة وهو الشيء المجموع .لسان العرب ج١٤ ص ١٣٢.

(٢) البخاري في التفسير سورة بني إسرائيل باب عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ج٤ ص ١٧٤٨ .

(٣) مسلم الإيمان باب أنا أول الناس يشفع في الجنة ص ١١١ ح ١٩٦ .

(٤) مسلم في الإيمان باب أول الناس يشفع يوم القيامة ص ١١١ ح ١٩٧ .

(٥) لسان العرب ج١٤ ص ٢٥٤ .

فهذه الشفاعة حق يؤمن بها أهل السنة والجماعة كما آمن بها الصحابة رضوان الله عليهم ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأنكرها في آخر عصر الصحابة الخوارج، وأنكرها في عصر التابعين المعتزلة ، وقالوا بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين ممن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ويشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويصومون رمضان ويحجون البيت ويسألون الله الجنة ويستعيذون به من النار في كل صلاة ودعاء ، غير أنهم ماتوا مصرين على معصية عالمين بتحريمها، معتقدين ، مؤمنين بما جاء فيه من الوعيد الشديد ، فقضوا بتخليدهم في جهنم مع فرعون وهامان وقارون[١].

من الأدلة على هذا النوع من الشفاعة ما يأتي :

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ **قال يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين)** [٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : **قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال (لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث . أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه)** [٣]. فهذه الشفاعة من المقام المحمود ، وبهذا يكون المقام المحمود عاماً لجميع الشفاعات التي أوتيها نبينا محمد ﷺ.

ولكن جمهور المفسرين فسروا المقام المحمود بالشفاعتين السابقتين لاختصاصه ﷺ بها دون غيره من عباد الله المكرمين ، وأما هذه الشفاعة الثالثة فهي وإن كانت من المقام المحمود الذي وعده ﷺ فليست خاصة به ﷺ بل يؤتاها كثير من عباد الله المخلصين وهو ﷺ المقدم فيها . ولم يشفع أحد من خلق الله تعالى في مثل ما شفع فيه رسول الله ﷺ ولا يدانيه في ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل [٤].

---

(١) انظر معارج القبول ج٢ / ص ٨٩٦ .

(٢) البخاري في الرقاق باب صفة الجنة والنار ج٥ / ص ٢٣٩٩ – ٢٤٠٠ / ح ٦١٩١ .

(٣) البخاري في العلم باب الحرص على الحديث ج ١ ص ٤٩ ح ٩٩.

(٤) (١) معارج القبول ج ٢ / ص ٩٠٢ .

النـــــــص :

وبعده يشفع الأمـــلاك والشهداء والأنبيـــــاء وأتبـــاع لهم سعدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى الشفعاء غير الرسول ﷺ يوم القيامة ، فذكـــر أن هؤلاء هم :

١- الملائكة :

قـــال تعـــالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٦] .

والدليل من السنة ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري الطويل مرفوعا وفيـــه (فيقــول الله عــز وجل: شفعت الملائكة ، وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين) [١].

٢- الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين

والدليل على شفاعتهم الحديث السابق في شفاعة الملائكة، قال شارح الطحاوية بعـــد أن ذكـــر شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر من أمته (وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنـــون أيضا)[٢].

٣- الشهداء : ومن الأدلة على هذه الشفاعة ما جاء في بعض السنن عن المقداد بن معد يكـــرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (للشهداء عند الله ست خصال ، وذكر منها ويشـــفع في سبعين إنسانا من أقاربه)[٣].

وجاء في سنن أبي داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ (يشـــفع الشـــهيد في سبعين من أهل بيته)[٤].

---

(١) البخاري في تفسير سورة بني إسرائيل باب عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ج٤ ص ١٧٤٨ ح ٤٤٤١.

(٢) أنظر شرح الطحاوية ص٢٩٠.

(٣) الإمام أحمد ج٤ / ص ١٣١ ، والترمذي في فضائل الجهاد باب ثواب الشهيد ج٤ ص١٨٨، وقال هذا حديـــث حســـن صحيح.

(٤) أبو داود في الجهاد باب الشهيد يشفع ج ٣ / ص ٣٤. صححه الألباني أنظر صحيح سنن أبي داود ج٢ ص ١٠٣

النـــــــص :

فيخرجون فحمـــا قـــد امتحشـــوا — من الجحيم قد سودوا وقد خمـــدوا

فيطرحون بنهر ينبتـــــون بـــه — نبت الحبوب بسيل جـــاء يطـــرد

المفردات :

امتحشوا : المحش احتراق الجلد وظهور العظم والمراد أحرقتهم النار [١].

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم الشفعاء بعد الرسول ﷺ ذكر في هذين البيتين أنهم يشفعون في أهـــل التوحيد الذين دخلوا النار بسبب ذنوبهم ومعاصيهم ، فيخرجون من النار فحمـــا قـــد احـــترقوا واسودوا وخمدوا لحرارة النار ولهيبها أعاذنا الله منها ، فيلقون في نهر الحياة فيعودون كما كـــانوا وينبتون كما تنبت الحبوب في السيل المنهمر المتتابع ، ثم يدخلهم الله تعالى الجنة .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (يدخل أهل الجنة الجنـــة وأهل النار النار فيقول الله تعالى ، أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل مـــن إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحياة ، أو الحيا ، فينبتون كما تنبـــت الحبة إلى جانب السيل ، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية) [٢].

ولمسلم عنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم – أو قال بخطاياهم – فأماتهم إماتة حـــتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة فجيئ بهم ضبائر ضبائر[٣] ، فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل يا أهل الجنـــة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل ، فقال رجل من القوم : كأن رســول الله محمد كان بالبادية)[٤].

---

(١) لسان العرب ج٦ / ص ٣٤٤ – ٣٤٥ .

(٢) البخاري في الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان ج١ / ص ١٦ / ح ٢٢ ، ومسلم في الإيمان باب إثبات الشـفاعة واخـــراج الموحدين من النار ص ١٠٢ ح ١٤٨ .

(٣) ضبائر : جماعات متفرقة، أنظر لسان العرب ج٤ص٤٨٠.

(٤) مسلم في الإيمان باب إثبات الشفاعة واخراج الموحدين من النار ص ١٠٣ ح ١٨٥.

النـــــص :

ثم الشـفاعة ملـك للإلـــه ولا شريك جـل لـه في ملكـه أحـد

فليس يشفع إلا من يشـــاء وفي من شاء حين يشـاء الواحد الصمد

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الشفاعة ملك لله تعالى دون شريك لـه في ذلك فهو وحده الذي يملك الشفاعة يوم القيامة عز وجل سبحانه وتعالى وتعظم أن يكـون لـه شريك في هذه الشفاعة .

أما أولئك الأشخاص الذين سبق وأن قلنا إنهم يشفعون يوم القيامة فليس معنى ذلك أنهـم يشاركون الله في أمر الشفاعة، بل إنهم لا يشفعون إلا بإرادة لله وحده وبعد إذنه تعالى فالشـفاعة ملك لله تعالى يهبها لمن ارتضى من عباده .

أما تلك الآلهة والأصنام التي يعبدها المشركون ويعتقدون أنها تقربهم إلى الله ، وتنفعـهم أو تضرهم ، ومن ذلك أنها تملك لهم الشفاعة من دون الله فقد رد الله تعالى عليهم بقوله : ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ:٢٢]. وقـال تعـالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨].

فهذه الآلهة لا تملك لهم ضرا ولا نفعا من دون الله ، ولا تملك لهم شفاعة عند الله تعالى، بـل إن عبادتهم لهذه الآلهة تحرم عليهم الشفاعة ، لأن الشفاعة إنما تكون لأهل التوحيد خاصة.

قال شيخ الإسلام (فالذي تنال به الشفاعة هي شهادة الحق، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، لا تنال بتولي غير الله لا الملائكة ولا الأنبياء ولا الصالحين ، فمن ولى أحد من هؤلاء ودعاه وحج إلى قبره أو موضعه ونذر له وحلف به وقرب له القرابين ليشفع له لم يغن عنه من الله شيئا وكان من أبعـد الناس عن شفاعته وشفاعة غيره فإن الشفاعة إنما تكون لأهل توحيد الله وإخلاص القلب والديـن له، ومن تولى أحدا من دون الله فهو مشرك، فهذا القول والعبادة التي يقصد به المشركون الشفاعة يحرم عليهم الشفاعة فالذين عبدوا الملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين – ليشفعوا لهم- كـانت عبادتهم إياهم وإشراكهم بربهم الذي به طلبوا شفاعتهم : به حرموا شفاعتهم ، وعوقبوا بنقيـض

قصدهم لأنهم أشركوا بالله ما لم ينـــزل به سلطانا) [١].

فالشفاعة ملك لله تعالى ، لا شريك له في ذلك هو يهبها لمن يشاء من عباده .

شروط الشفاعة :

فليس يشفع إلا من يشـــــاء وفي من شاء حين يشـــاء الواحد الصمد

في هذا البيت يشير الناظم –رحمه الله– إلى شروط الشفاعة المقبولة يوم القيامة.وهي :

١- رضا الله سبحانه وتعالى عن الشافع .

٢- رضا الله سبحانه وتعالى عن المشفوع فيه.

٣- إذن الله تعالى بالشفاعة .

ومن المعلوم أن الله تعالى لا يرضى إلا عن أهل التوحيد، ولا يأذن في الشـــفاعة إلا لهـــم ، قـــال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه:١٠٩].

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء:٢٨] .

وقد جمع الله تعالى هذه الشروط في قولـه : ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٦] .

فلابد من رضى الله تعالى عن الشافع والمشفوع فيه ، وإذنه بالشفاعة.

والإذن بالشفاعة يتعلق بالشافع والمشفوع فيه ووقت الشفاعة، فليس يشفع إلا مـــن أذن الله لـــه بالشفاعة ، وليس له أن يشفع إلا بعد أن يأذن الله له ، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعـــالى له أن يشفع فيه[٢].

---

(١) الفتاوي ج١٤ / ص ٤١٢ –٤١٣ .

(٢) انظر فيما سبق : الشفاعة عند أهل السنة والجماعة ص ١٧ ، وتوضيح المقاصد وتصحيـــح القواعـــد ج٢ / ص ٢٧٠، ومعارج القبول ج٢/ص ٨٨٨ – ٨٨٩ ، البدور السافرة في أمور الآخرة للسيوطي ص ١١٩-١٣٠.

النـــــــص :

ويخـــرج الله أقوامـــــا برحمتـــه ... بلا شفاعة لا يحصـــى لهـم عــدد
وليس يخلد في نار الجحيـــم ســوى ... من كان بالكفر عن مـــولاه يبتعــد
يا عظم ما ركبوا يا سوء ما نكبـــوا ... عن ربهم حجبوا من فضله بعــــدوا

المفردات :

نكبوا : نكب فلان عن الصواب إذا عدل عنه، والمراد يا سوء ما عدلوا ومالوا إليه مـــن الكفـــر والضلال[1].

حجبوا : الحجاب الستر [2]. والمراد أنهم جعلوا بينهم وبين رحمة الله تعالى بهم وفضلـــه عليـــهم حجابا وسترا بسبب ما وقعوا فيه من الكفر والضلال.

الشرح :

يشير الناظم -رحمه الله- في هذه الأبيات أن رحمة الله وسعت كل شيء وأن الله تبـــارك وتعالى بعد أن يأذن للشافعين أن يشفعوا وتنتهي الشفاعة فإن الله ينظر إلى أهـــل التوحيـــد ممـــن دخلوا النار فيأمر بإخراج من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان من أهل التوحيد فاللهم حرم لحومنا على النار برحمتك وفضلك وإحسانك لأن الخلود في النار إنما هو لأهل الشرك، أما أهـــل التوحيد فيخرجون من النار مهما عظمت ذنوبهم ، وذلك بالشفاعة المثبتة يوم القيامة، ثم برحمـــة أرحم الراحمين وفضله وكرمه ، أما أهل الشرك فليس لهم شفاعة ذلك أن الشـــفاعة في حقـــهم منفية، لأن الشفاعة إنما تكون لأهل التوحيد، أما أهل الشرك فلا تنفعهم الشفاعة ، وإنمـــا هـــم خالدون في نار جهنم ، قال تعالى : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝﴾ [المدثر:٤٨].

وقال تعالى : ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝﴾ [غافر:١٨].

وقال تعالى : ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝﴾ [الشعراء:١٠٠-١٠١].

وقد وضح رسول الله ﷺ أن من مات على الكفر فهو في النار لا تناله شفاعة الشافعين ولا قرابة

---

(١) انظر لسان العرب ج١ ص ٧٧٠.

(٢) المرجع السابق ج١ ص ٢٩٨ .

المقربين حيث قال ﷺ: (استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي ، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي)[1].

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله أين أبي ؟ قال في النار ، فلما قفى دعاه فقال إن أبي وأباك في النار[2].

وقول الناظم -رحمه الله- (يا عظم ما ركبوا . . .) يشير فيه على عظم ما فعله هؤلاء الكفار بكفرهم بالله تعالى وانحرافهم عن طريق الحق إلى طريق الضلال، وأن هذا هو السبب في حرمانهم من فضل الله ورحمته ، حيث جعلوا بينهم وبين فضل الله ورحمته سترا وحجابا بسبب كفرهم ، وهو بذلك يشير إلى حرمانهم من الشفاعة بسبب كفرهم لأن الشفاعة إنما تكون لأهل التوحيد خاصة.

---

(١) مسلم كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه ص ٣٧٧ ح ٩٧٦ .

(٢) مسلم في الإيمان باب بيان من مات على الكفر فهو في النار ص ١١٢ ح ٢٠٣ .

المبحث الثامن

باب الإيمان بالنظر إلى الله عز وجل

هذا الباب متعلق بما قبله حيث أن النظر إلى الله سبحانه وتعالى ، من الأمور المتعلقة باليوم الآخر فبعد أن ذكر الناظم -رحمه الله- جملة من الأمور المتعلقة بذلك اليوم ذكر هنا النظر إلى الله عز وحل حيث أنه أفضل وأعظم ما ينعم به الله تعالى على عباده يوم القيامة.

النص :

والمؤمنون يرون الله خالقهم يوم اللقا وعده الصدق الذي وعدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى مذهب أهل السنة والجماعة في رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة وهو أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة عيانا كما يرون الشمس والقمر ليس دونهما سحاب قال تعالى : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦].

وقال تعالى : ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ق:٣٥].

وقال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المطففين:٢٢-٢٣].

فقد استدل أهل السنة والجماعة بهذه الآيات على رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة حيث أنها واضحة الدلالة على ذلك لا تقبل تحريفا ولا تبديلا ولا ينكرها إلا مكابر معاند. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قلنا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟ قلنا: لا قال : (فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤيتهما) (١).

وعن صهيب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا أدخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم

---

(١) البخاري في التوحيد باب (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ج٦ / ص ٢٧٠٦ / ح ٧٠٠١ ومسلم في الإيمان باب معرفة طريق الرؤية ص ١٠٠ ح ١٨٣ .

عز وجل) ثم تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (١).

قال الإمام الطحاوي :

(والرؤية لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق بها كتاب ربنا، ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣] وتفسيره على ما أراد الله وعلمه وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد ، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا ، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه) (٢).

وقد أكد شيخ الإسلام ابن تيمية رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة كما صرحت بذلك الأدلة من القرآن والسنة فقال: (وإنما المهم الذي يجب على كل مسلم اعتقاده أن المؤمنين يرون ربهم في الدار الآخرة ، في عرصة القيامة وبعد ما يدخلون الجنة على ما تواترت به الأحاديث عن النبي ﷺ عند العلماء بالحديث، فإنه أخبر ﷺ أنا نرى ربنا كما نرى القمر ليلة البدر والشمس عند الظهيرة لا يضام في رؤيته، ورؤيته سبحانه هي أعلى مراتب الجنة وغاية مطلوب الذين عبدوا الله مخلصين له الدين وإن كانوا في الرؤية على درجات حسب قربهم من الله ومعرفتهم به، والذي عليه جمهور السلف أن من جحد رؤية الله في الآخرة فهو كافر، فإن كان ممن لم يبلغه العلم في ذلك عرف ذلك كما يعرف من لم تبلغه شرائع الإسلام فمن أصر على الجحود بعد بلوغ العلم له فهو كافر(٣).

وقول الناظم -رحمه الله- (يوم اللقا وعده الصدق الذي وعدوا) يشير به إلى أن رؤية المؤمنين لربهم إنما تكون في الدار الآخرة في يوم القيامة وذلك إنفاذا لوعده الصادق لهم برؤيتهم له يوم اللقاء هو يوم القيامة ، قال تعالى : (تحيتهم يوم يلقونه سلام)

وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ﴾ [البقرة:٢٢٣].

وقال تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ ۝ ﴾ [البقرة:٢٤٩] .

---

(١) مسلم في الإيمان باب إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة ص ٩٩ ح ١٨٠ .

(٢) انظر شرح الطحاوية ص / ٢٠٧ .

(٣) انظر الفتاوي ج٦ / ص ٤٨٥ — ٤٨٦ .

قال شيخ الإسلام : (أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة بعد السلوك والمسير ،وقالوا إن لقاء الله يتضمن رؤيته تعالى واحتجوا بآيات اللقاء على من أنكر رؤية الله في الآخرة من الجهمية كالمعتزلة وغيرهم) (١).

وقال ابن القيم : (وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية) (٢).

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة ، أما المخالفون من الخوارج والمعتزلة كالجهمية فقد أنكروا الرؤية واستدلوا على ذلك بالكثير من الأدلة العقلية والنقلية نكتفي بذكر دليل واحد من كل نوع ونرد عليه.

أما دليلهم العقلي فهو :

قولهم بأن القول بجواز الرؤية يلزم أن يكون المرئي جسما والأجسام متماثلة، وهذا تكذيب لقوله تعالى : ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

الرد عليهم : نقول لهم (إن كان يلزم من جواز رؤية ا لله تعالى أن يكون جسما فليكن ، لأن لازم قول الله ورسوله حق ولكن لا يلزم أن يكون هذا الجسم كالأجسام المخلوقة كما أنكم أنتم تقولون إن لله ذاتا لا تشبه الذوات فنحن نقول : إذا كان يلزم أن يكون جسما فله جسم لا يشبه الأجسام لأن أجسام المخلوقين حادثة بعد أن لم تكن ، ومكونة من أجزاء لا يقوم بعضها إلا ببعض لكن الخالق عز و جل لا يكون جسما بهذا المعنى أبدا وعند ذلك نقول لهم : هذا الذي ذكرتموه إن كان لازما من النصوص فهو حق وإن لم يكن لازما فلا تلزموننا به ، ويكفي أن نمنع كما مر.

وأما دليلهم النقلي فهو قوله تعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣].

حيث جعلوا هذه الآية دليلا على نفي الرؤية .

الرد عليهم :

إن الله سبحانه وتعالى ذكر هذه الآية في سياق التمدح ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات

---

(١) الفتاوي ج٦ ص ٤٦٢ .

(٢) انظر حادي الأرواح ص ٢٦٩ .

الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمرا وجوديا، كمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة.. الخ ولهذا لم يمدح بعدم محض لا يتضمن أمرا ثبوتيا، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به.

فقوله تعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]. يدل على كمال عظمته وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث لا يحاط به ، فإن الإدراك وهو الإحاطة بالشيء قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى : ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝﴾ [الشعراء:٦١-٦٢].

فلم ينف موسى عليه السلام الرؤية وإنما نفى الإدراك ، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك ، كما يعلم ولا يحاط به علماً[1].

النص :

يرونه في مقام الحشر حين ينا	ديهم ليتبع الأقوام ما عبدوا
فيتبع المجرم الأنداد تقذفهم	إلى جهنم وردا ساء ما وردوا
والمؤمنون لمولاهم قد انتظروا	إذا تجلى لهم سبحانه سجدوا
إلا المنافق يبقى ظهره طبقا	إذ في الحياة إذا قيل اسجدوا مردوا

المفردات :

الأنداد : جمع ند بالكسر ، وهو مثل الشيء الذي يضاده في أمور ويناده أي يخالفه، ويريد بها ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله تعالى [2].

مردوا : المارد العاتي ، ومرد على الشيء وتمرد أي عتا[3] وطغا[4] .

(١) راجع فيما سبق : حادي الأرواح ص ٢٦٧ ، ٢٧٧ ، نقض تأسيس الجهمية لابن تيمية ج١ ص ٥٤٥-٥٥٥، وج / ٢ / ص ٣٤٨-٣٥٠ مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ج١ / ص ٢٨٠-٢٨١ ، شرح الطحاوية ص ٢٠٧-٢١٨ ، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ج١ / ص ٤١٢-٤٢٢ ، الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٤٠١ -٤١٣.

(٢) انظر لسان العرب ج٣ / ص ٤٢٠ .

(٣) عتا : أي تكبر وتجبر، المرجع السابق ج١٥/ص ٢٨ .

(٤) المرجع السابق ج٣ / ص ٤٠٠ بتصرف ، وترتيب القاموس المحيط ج٤ / ص ٢٢٤ .

الشرح :

بعد أن قرر الناظم -رحمه الله- مذهب أهل السنة والجماعة في رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة، شرع هنا في ذكر المواطن التي يرى فيها المؤمنون ربهم يوم القيامة ، فذكر أن المؤمنين يرون الله تعالى في مقام الحشر حين ينادي الناس ويأمرهم بأن يتبعوا ما كانوا يعبدون فيتبع الكفار ما كانوا يعبدون من دون الله من الأصنام والأشجار والشمس والقمر فيتساقطون جميعاً في النار كما قال تعالى : ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم:٨٦].

وقال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء:٩٩].

وقال تعالى : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ [هود:٩٨].

أما المؤمنون فإنهم ينتظرون إلههم الحق الذي كانوا يعبدون في الدنيا ، وهو الله سبحانه وتعالى في ذلك الموقف فإذا تجلى لهم خروا له سجدا إجلالا وتعظيما، إلا المنافق فإنه لا يستطيع السجود في ذلك الموقف إذ يبقى ظهره طبقاً أي مستويا، فلا يتمكن من السجود ، لأنه كان في الحياة الدنيا إذا أمر بالسجود لله تعالى سجدوا نفاقاً ورياءاً تكبراً وتجبراً.

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴾ [القلم:٤٢-٤٣].

هذا وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هذا المعنى في أكثر من حديث ومن ذلك :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة .. الحديث وفيه (حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر فيقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم وإنا سمعنا مناديا ينادي : ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه فيقولون : الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحداً. . . الحديث)[1].

(١) لمعرفة المزيد من الأحاديث في هذا الباب انظر كتاب الرؤية للدار قطني وحادي الأرواح ص ٢٧٧ / ٣١٨ .

النـــــــص :

كذا الزيــــادة في يــوم المزيــد إذا   على النجائب للرحمن قـــد وفـدوا
فالأنبياء كذا الصديـــق والشـهداء   على منابر نـــور في العــلا قعـدوا
وغيرهم من أولي التقوى مجالســـهم   كثبان مسك ألا يـــا نعمــة المــهد
من فوقهم أشرف الرحمن جل ونـــا   داهم سلام عليكم كلهم شهـــدوا

المفردات : النجائب : جمع نجيبة وهو الفاضل من كل حيوان(١).
كثبان: جمع كثيب وهي تلال الرمل (٢)

الشرح :

في هذه الأبيات يشير الناظم -رحمه الله- إلى موطن آخر من المواطن الـتي يـرى فيـها المؤمنون ربهم يوم القيامة هو يوم المزيد مشيرا بذلك إلى قوله تعـــالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦].

وقوله تعالى (لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد) [ق – ٣٥] وقد جاء في تفسير قوله تعالى للذيـــن أحسنوا الحسنى وزيادة أن الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى الله تعالى(٣).

وتفسير قوله تعالى (لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد) أي لهم ما تشتهي أنفسهم وتلذ أعينهم مـــن فنون النعم وأنواع الخير . ولدينا مزيد من النعم التي لا تخطر لهم على بـــال ولا مـــرت لهـــم في خيال(٤).

فالمؤمنون يرون الله تعالى في ذلك اليوم وهو يوم المزيد عندما يفدون عليه ويتقدمون إليه تحملـــهم النجائب فيجلس الأنبياء والصديقون والشهداء على منابر من نور، ويجلس باقي المؤمنين من أهـــل التقوى والصلاح على تلال من المسك تكريما من الله تعالى لهم ، ثم يشرف عليهم الرحمـــن جـــل وعلا من فوقهم ، ويناديهم قائلا لهم سلام عليكم، ويكشف عنه الحجاب فيراه جميع المؤمنـــين في ذلك الموقف.

قال تعالى : ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٤] .

---

(١) انظر لسان العرب ج١ / ص ٧٤٨ بتصرف وترتيب القاموس المحيط ج٤ / ص ٣٢٤ .
(٢) انظر لسان العرب ج١ / ص ٧٠٢ .
(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ج٢ / ص ٤٢٩-٤٣٠ .
(٤) انظر فتح القدير للشوكاني ج٥ / ص ٧٨ .

وقال تعالى :﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴾ [يس:٥٨].

قال ابن القيم : (قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهـــل الحديـــث عصابة الإسلام ، ونزل الإيمان وخاصة رسول الله ﷺ أن الله سبحانه وتعالى يرى يـــوم القيامـــة بالأبصار عيانا كما يرى القمر ليلة البدر صحوا وكما ترى الشمس في الظهيرة فإن كان لما أخـــبر الله رسوله عنه من ذلك حقيقة وأن له والله حق الحقيقة، فلا يمكـــن أن يـــروه إلا مـــن فوقـــهم لاستحالة أن يروه من أسفل منهم أو خلفهم أو أمامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم. . . الخ [١].

النـــــــــص :

يرونـــه جـــهرة لا يمـــترون كمــــا   للشمس صحوا يرى من ما به رمـــد

المفردات : لا يمترون : المرية والمرية : الشك والجدل[٢]

صحوا : الصحو : ذهاب الغيم [٣]

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى حديث رســـول الله ﷺ المتقـــدم في الرؤيـــة والذي يدل على أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة كما يرون الشمس في الظهيرة ليس دونهـــا سحاب وكما يرون القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب.

قال شارح الطحاوية :

(وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيها لله تعالى ، بل هو تشبيه الرؤيـــة بالرؤية، لا المرئي بالمرئي .. إلى أن قال (وإنما لم نره في الدنيا لعجز أبصارنا ، لا لإمتناع الرؤيـــة، فهذه الشمس إذا أحدق الرائي البصر في شعاعها ضعف عن رؤيتها لا لإمتناع في ذات المرئي بـــل لعجز الرائي فإذا كان في الآخرة أكمل الله قوى الآدميين حتى أطاقوا رؤيته[٤].

---

(١) انظر حادي الأرواح ص ٣١٩ .

(٢) انظر لسان العرب ج١٥/ص ٢٧٧ .

(٣) المرجع السابق ج١٤/ص ٤٥٢ .

(٤) انظر شرح الطحاوية ص ٢٢٠ .

النـــــــص :

هناك يذهل كــل عــن نعيمــهموا   بذا النعيم فيا نعمــى لهــم حمــدوا

المفردات : يذهل : الذهل تركك الشيء ، تنساه على عمد أو يشغلك عنه شغل [(١)].

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن أعظم نعيم لأهل الجنة هو رؤية الله لدرجة أنهم يذهلون بهذا النعيم ويشغلون به عن سائر نعم الجنة ، التي فيــها مــا لا عــين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ، فما أفضله من نعيم، وما أعظمها من كرامة ينالها أهل الجنة.

النـــــــص :

وذا لهــم أبــدا في كــل جمعتــهم   بشرى وطوبى لمن في وفدهــم يفــد

المفردات : طوبى : فعلي من الطيب، والمعنى أن العيش الطيب لهم، وطوبى شجرة في الجنة قــال تعالى : ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد:٢٩] [(٢)].

الشرح :

يشير الناظم -رحمه الله- في هذا البيت إلى أن المؤمنين يرون الله تعالى في الدار الآخــرة في كل يوم جمعة، وهي بشارة عظيمة تدل على طيب عيشهم ومقامهم في الدار الآخرة فيا للبشــارة العظيمة ويا للعيش الطيب الكريم لمن يفد من المؤمنين على الله تعالى في ذلك اليوم.

عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (إن أهل الجنة يرون ربهم تعالى فــي كل يوم جمعة في رمال الكافور وأقربهم منه مجلساً أسرعهم إليه يوم الجمعة وأبكرهــم غدوا) [(٣)].

مما سبق نستطيع أن نقول: (أن الإيمان برؤية الله تعالى في الدار الآخرة هو : الإعتقاد الجازم بــأن المؤمنين يرون ربهم عيانا في عرصة القيامة وفي الجنة ويكلمهم ويكلمونه).

---

(١) انظر لسان العرب ج ١١ / ص ٢٥٩ .

(٢) المرجع السابق ج١ / ص ٥٦٤ - ٥٦٥ .

(٣) رواه الآجري في الشريعة ص ٦٥٣، وذكره ابن القيم في حادي الأرواح ص ٢٠٦، وذكره ابــن بطــة في الإبانــة ج٣ ص٤١ ، وقال عنه حسن لغيره وإسناده ضعيف وله شواهد.

ومسألة الرؤية من المسائل التي وقع فيها النـزاع بين أهل ا لسنة وغيرهم وقد اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون، والمخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة [١].

هذا وقد ذكر ابن القيم في كتابه حادي الأرواح كلاما طيبا عن يوم المزيد رأيت من المناسب ذكره في هذا الباب حيث قال (هذا .. وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنـزه عن التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه فاستمع يوم ينادي المنادي : يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحي على زيارته فيقولون سمعا وطاعة وينهضون إلى الزيارة مبادرين فإذا بنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين وحتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعدا وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي منه أحدا أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة وجلس أدناهم وحشاهم أن يكون فيهم دني على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم العطايا حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادي يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه وقد أشرف عليهم من فوقهم فقال يا أهل الجنة سلام عليكم فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ويضحك إليهم ويقول يا أهل الجنة فيكون أول ما يسمعونه منه تعالى أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحدة قد رضينا فارض عنا فيقول يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي هذا يوم المزيد فسألوني فيجتمعون على كلمة واحدة أرنا وجهك ننظر إليك فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه يقول يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول يا رب ألم تغفر لي ؟

---

(١) انظر الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٤٠١ .

فيقول بمغفرتي بلغت منـــزلتك هذه .

فيا لذة الاستمتاع بتلك المحاضرة ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الـــدار الآخـــرة ويا ذلة الراجعين في الصفقة الخاســـرة ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القيامة:٢٢-٢٥] . [١]

المبحث التاسع

باب الإيمان بالقدر خيره وشره

النـــــــص :

كذاك بالقدر المقدور نؤمـــن مـــن خـــير وشـــر وذا في ديننـــا عمـــد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى الركن السادس من أركان الإيمـــان ، وهـــو الإيمان بالقدر خيره وشره فيقول إنه يجب علينا الإيمان بالقدر الذي قدره الله سبحانه وتعالى لنـــا وكتبه علينا سواء كان هذا القدر خيرا أم شرا ، إن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان في الدين الإسلامي .

معنى القضاء والقدر :

القضاء في اللغة : الحكم[٢]

وفي الاصطلاح : إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال .

القدر في اللغة : التقدير[٣] .

---

(١) انظر حادي الأرواح ص ٢٦٥-٢٦٦ .

[٢] لسان العرب ج٥ص١٨٦.

[٣] المرجع السابق ج٥ ص٧٤.

وفي الاصطلاح : هو ما سبق به العلم وجرى به القلمُ مما هو كائن إلى الأبد[١].

فالقضاء والقدر متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ولهذا نقول أن القضاء والقدر متباينـــان إن اجتمعا ومترادفان إن افترقا على حد قول العلماء (هما كلمتان إن اجتمعتا افترقتـــا وإن افترقتـــا اجتمعتا) [٢].

الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الإيمان بالقدر :

أ / من الكتاب

قال تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب:٣٨]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩]

وقال تعالى : ﴿ لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [الأنفال:٤٢]

ب/ من السنة

قول الرسول ﷺ في حديث جبريل (وتؤمن بالقدر خيره وشره) [٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (المؤمن القوي خير وأحب إلـى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بـالله ولا تعجـز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان) [٤]. وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قول النبي ﷺ له (واعلـم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك) [٥].

إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر .

بيان معنى الخير والشر في القدر :

الشر في القدر ما لا يلائم طبيعة الإنسان بحيث يحدث له به أذية أو ضرر ، الخير ما يلائم طبيعتـه بحيث يحصل له به خير أو ارتياح وسرور كل ذلك من الله عز وجل .

---

(١) انظر لوامع الأنوار البهية ج١/ص ٣٤٥ ، ٣٤٨ بتصرف.

(٢) انظر شرح الواسطية لابن عثيمين ج٢ / ص ٥٩٧، والقضاء والقدر لمحمد بن إبراهيم الحمد تعليق الشيخ عبد العزيز بـن باز ص ٢٧-٤٨ .

(٣) مسلم كتاب الإيمان / ص ٨٦ ح ٨.

(٤) مسلم كتاب القدر ، باب الأمر بالقوة وترك العجز ص ١٠٦٩ ح ٢٦٦٤ .

(٥) الترمذي ج٤/ص ٦٦٧ ح ٢٥١٦/في القيامة، باب رقم ٥٩ وقال هذا حديث حسن صحيح .

ولكن كيف يقال أن في قدر الله شر وقد قال النبي ﷺ (الشر ليس إليه)؟
فالجواب على ذلك أن يقال :

الشر في قدر الله ليس باعتبار تقدير الله تعالى له ، ولكنه باعتبار المقدور ذلـــك أن لدينـــا قـــدرا ومقدروا كما أن هناك خلقا ومخلوقا وإرادة ومرادا فباعتبار تقدير الله له ليس بشر بل هو خير حق وإن كان لا يلائم طبيعة الإنسان ويؤذيه ويضره ولكن باعتبار المقدور، فنقول المقدور إما خير وإما شر فالقدر خيره وشره يراد به المقدور خيره وشره قال تعـــالى ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝﴾ [الروم:٤١].

ففي هذه الآية يبين الله تعالى ما حدث وسببه والغاية منه فالفساد شر وسببه الإنسان والغاية منـــه ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون.

فكون الفساد يظهر في البر والبحر فيه حكمة فهو نفسه شر لكن لحكمة عظيمة بها يكون تقديـــره خيرا كذلك المعاصي والكفر شر وهو من تقدير الله لكن لحكمة عظيمة لولا ذلك لبطلت الشـــرائع ولولا ذلك لكان خلق ذلك عبثا فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه بل كل ما نسب إليه فهو خـــير والشر إنما صار شرا لإنقطاع نسبته وإضافته إليه فلو أضيف إليه لم يكن شرا وهو سبحانه خالق الخير والشر فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله.

ولهذا تنـــزه سبحانه وتعالى عن الظلم الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعـــه ، فـــلا يضـــع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها وذلك خير كله والشر وضع الشيء في غير موضعه فإذا وضع في موضعه لم يكن شرا فعلم أن الشر ليس إليه .

والإيمان بالقدر خيره وشره لا يتضمن الإيمان بكل مقدور بل المقدور ينقسم إلى كوني وشـــرعي فالمقدور الكوني : إذا قدر الله عليك مكروها فلابد أن يقع رضيت أم أبيت.

والمقدور الشرعي : قد يفعله الإنسان وقد لا يفعله لكن باعتبار الرضاء به إن كان طاعة لله وحب الرضاء به وإن كان معصية وجب سخطه ومحاربته وكراهيته والقضـــاء عليـــه كمـــا قـــال الله تعـــالـــى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۝﴾

[آل عمران:١٠٤].

وعلى هذا يجب علينا الإيمان بالمقضي كله من حيث كونه قضاءا لله عز وجل أما من حيث نسبته إلى غير الله فقد نرضى به وقد لا نرضى فلو وقع الكفر من شخص فلا نرضى بالكفر منه لكن نرضى بأن الله أوقعه (١).

النص :

ولا منافاة بين الشرع والقدر الـ محتوم لكن أولوا الأهواء قد مردوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أمر من الأمور المتعلقة بالقضاء والقدر، وهو أن الإيمان بالقدر مرتبط بامتثال الشرع وامتثال الشرع مرتبط بالإيمان بالقدر وانفكاك أحدهما عن الآخر محال.

فإن الإقرار بالقدر مع الاحتجاج به على الشرع ومحاربته به مخاصمة لله تعالى في أمره وشرعه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه وطعن في حكمته وعدله وانتقادا عليه في إرسال الرسل وإنزال الكتب وخلق الجنة لأوليائه المصدقين بها وخلق النار لأعدائه المكذبين، ونسبة لأحكم الحاكمين وأعدل العادلين الحكيم في شرعه العدل في قوله وفعله وحكمه إلى العبث والظلم في ذلك كله.

وكذلك الإنقياد في الشرع مع نفي القدر وإخراج أفعال العباد من قدرة الباري وجعلهم مستقلين بها مستغنين عنه طعن في ربوبية المعبود وملكوته ونسبته إلى العجز ووصفه بما لا يستحق الألوهية ولا يتصف بها مما لا يبدي ولا يعيد ولا يغني عنك شيئا تعالى ربنا وتقدس وتنزه جل وعلا عما يقول الظالمون الجاحدون علوا كبيرا بل الإيمان بالقدر خيره وشره هو نظام التوحيد كما أن الإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجزه عن شره واستعانة الله عليها هو نظام الشرع ولا ينتظم أمر الدين ولا يستقيم إلا لمن آمن بالقدر وأمتثل الشرع كما قرر النبي ﷺ الإيمان بالقدر ثم قال لما قيل له: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال (لا ، ولكن اعملوا فكل ميسر لما خلق له) (٢).

(لكن أولو الأهواء قد مردوا) يقصد به القدرية والجبرية الذين حادوا عن طريق الحق ومالوا عنه إلى طريق الباطل.

---

(١) انظر شفاء العليل ج٢ / ص ٦٣-٢٧٠ شرح الطحاوية ص ٥١٧ – ٥١٨ شرح الواسطية لابن عثيمين ج٢ ص ٥٩٩-٦٠١.

(٢) انظر : معارج القبول ج٣ / ص ٩٥٢ – ٩٥٣ .

أما القدرية[1] :

وهم أتباع معبد الجهني[2] لأنه أول من تكلم بالقدر، فقد نفوا القدر وزعموا منافاته للشرع فعطلوا الله تعالى عن علمه وقدرته وجعلوا العبد مستقلا بأفعاله، خالقا لها، فهم يقولون إن أفعال العباد وطاعتهم ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله وقدره فاثبتوا قدرة الله على أعيان المخلوقين وأوصافهم ونفوا قدرة الله على أفعال المكلفين، وقالوا إنه لم يردها و لم يشأها منهم ، وهم الذين أرادوها وشاءوها وفعلوها استقلالا ، وأنكروا أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، فأثبتوا خالقا مع الله، بل جعلوا كل الخلق خالقين ، وهم الذين ورد فيهم الحديث إنهم (مجوس هذه الأمة) ، ويقال لهم القدرية النفاة ومذهبهم باطل لأنه إشراك في الربوبية .

أما الجبرية[3]:

فهم أتباع الجهم بن صفوان الترمذي زعيم المعطلة فقد أثبتوا القدر واحتجوا به على الشرع ونفوا عن العبد قدرته واختياره التي منحه الله إياها وكلفه بحسبها وزعموا أن الله كلف عباده ما لا يطاق فهم يقولون أن العبد مجبور على فعله وحركاته وأفعاله اضطرارية كحركة المرتعش والعروق النابضة وكحركات الأشجار في مهب الريح وإضافتها إلى الخلق مجاز وإنما الله هو فاعل تلك الأفعال فهي فعله حقيقة لا أفعالهم والعبد ليس له قدره ولا إرادة ولا فعل له البتة .

ولا شك في فساد هذا المذهب وبطلانه حيث أن أدلة الكتاب والسنة والعقل متواطئة على رده وبطلانه[4].

---

(١) سبق الحديث عنهم في المقدمة ص ٥٥ .

(٢) معبد الجهني: هو معبد بن خالد الجهني القدري تابعي مبتدع، وهو أول من أظهر القدر بالبصرة، قتله الحجاج بن يوسف سنة ٨٠هـ. أنظر تقريب التهذيب ج٢ ص٥٣٩. والمجروحين لابن حبان ج٣ ص٣٥. والتاريخ الكبير للبخاري ج٧ ص٣٣٩. والحقيقة أن معبد الجهني هو أول من قال بالقدر، والمعتزلة نسبة إلى واصل بن عطاء، الذي كان يميل الى رأي معبد الجهني في مسألة القدر، ولهذا يسمونه احيانا بالمعتزلة، وأحيانا بالقدرية.

(٣) سبق الحديث عنهم في المقدمة ص ٥٦.

(٤) انظر أعلام السنة المنشورة ص ١٤١ ، الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٤٥٦-٥٠٠.

النــــــص :

فـإن الإيمـان بـالاقدار مرتبــط بالشرع ذا دون هذا ليــس ينعقــد
إيــاه نعبـد إذعانـا لشــرعته بالنهي منـزجرين الأمــر نعتقــد
ونستعين على كــل الأمـور بــه إذ كلها قــدر مــن عنـده تــرد

المفردات :

إذعانا : الإذعان في اللغة الإسراع مع الطاعة (١)، والمراد مذعنين منقادين لما يأمر به الشرع

منـزجرين: الزجر المنع والنهي ، والانتهار (٢)، والمراد منتهين عن كل ما نُهي ومبتعدين عنه.

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم في البيت السابق حقيقة الإرتباط بين القدر والشرع، وأنــه لا منافـاة بينهما ، وذكر المذاهب الضالة في ذلك، شرع هنا في بيان المذهب الحق وهو مذهب أهل السـنة والجماعة ، وهو الإقرار بأن الإيمان بالقدر مرتبط بامتثال الشرع، وامتثال الشرع مرتبط بالإيمـان بالقدر وانفكاك أحدهما عن الآخر محال.

فالمؤمنون حقا يعبدون الله تعالى خاضعين لشرعته مؤتمرين بأمره ، ومنتهين بنهيه ، يفعلـون ما أمرهم به خالقهم، وينتهون عما نهاهم عنه ، وإذا أصابتهم سراء شكروا ، وإن أصابتهم ضـراء صبروا ، ومستعينين بالله تعالى في سائر أمورهم ، لإيقانهم التام أن كل ما يحدث في هذا الكـون فهو بقدر الله تعالى .

وهم يعلمون أن الثواب والعقاب مترتب على الشرع فعلا وتركا لا على القدر ، ويعزون أنفسـهم بالقدر عند المصائب ، ولا يحتجون به على المعاصي والمعائب ، فإذا وفقوا لحسنه عرفوا الحق لأهله فقـــالوا : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف:٤٣] ولم يقولوا كما قال الفاجر ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٨]. وإذا اقترفوا سيئة باءوا بذنبهم وأقروا به وقالوا كما قال الأبــوان ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف:٢٣].

(١) انظر لسان العرب ج١٣ ، ص ١٧٢ .

(٢) المرجع السابق ج٤ ص ٣١٨ .

لم يحملوا ذنبهم وظلمهم على القدر، ويحتجوا به عليه ، و لم يقولوا كما قال إبليس .رب بما أغويتني) إذا أصابتهم مصيبة رضوا بقضاء الله وقدره ، واستسلموا لتصرف ربهم ومالكهم تبارك وتعالى وقالوا كلمة الصابرين ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة:١٥٦] ، و لم يقولوا كما قال الذين كفروا : ﴿وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [آل عمران:١٥٦] .

وبعد .. فهذا هو المذهب الحق في قضاء الله وشرعه الذي عليه أهل السنة والجماعة والذي ينبغي أن يتبعه كل مسلم [١].

النص :

أحاط علما بها ربي وقدرها دقا وجلا ومن يشقى ومن سعدوا

الشرح :

قبل الشروع في شرح هذا البيت ، لابد من الإشارة إلى أن الإيمان بالقدر يقوم على أربع أركان أو دعائم تسمى مراتب القدر وأركانه ، وهي المدخل لفهم باب القدر ، ولا يتم الإيمان به إلا بتحقيقها كلها، فبعضها مرتبط ببعض ، فمن أقر بها جميعا أكمل إيمانه بالقدر ، ومن انتقص واحدة منها أو أكثر اختل إيمانه وهذه المراتب هي :

١. العلم .

٢. الكتابة .

٣. المشيئة .

٤. الخلق .

وفي هذا البيت يشير الناظم إلى المرتبة الأولى من مراتب القدر وهي مرتبة (العلم) وهو الإيمان بأن الله علم بكل شيء جملة وتفضيلا ، أزلا وأبدا ، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله ، أو بأفعال

---

(١) انظر الفتاوى ج٨ / ص ٢٤٢-٢٤٣ التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية للشيخ فالح بن مهدي ص ٣٣٥-٣٣٨ ، شرح الواسطية لابن عثيمين ج٢ ص ٦٢٠-٦٢٤ ، معارج القبول ج٣ / ص ٩٥٢ - ٩٥٣ ، أعلام السنة المنشورة ص١٤١ .

العباد، فعلمه محيط بما كان وبما سيكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون .

يعلم الموجود والمعدوم ، والممكن والمستحيل ، ولا يغيب عن علمه مثقال ذرة، في السماوات ولا في الأرض .

قد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم فعلم أرزاقهم وآجالهم ، وأقوالهم وجميع حركاتهم وسكناتهم ، وأهل الجنة والنار من قبل أن يخلقهم ومن قبل أن يخلق ا لجنة والنار علم دق ذلك وجليله ، وكثيره، وقليله وظاهره وباطنه ، سره وعلانيته ، مبدأه ومنتهاه ، علم كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ومقتضى اسمه العليم الخبير ، عالم الغيب والشهادة علام الغيوب.

كما قال تعالى :

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الحشر:٢٢]

﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝﴾ [سبأ:٣]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سئل رسول الله ﷺ عن أبناء المشركين فقال (الله أعلم بما كانوا عاملين) [١].

وعن علي رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسا وفي يده عود ينكت به ، فرفع رأسه وقال (ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار، قالوا يا رسول الله : لم نعمل أفلا نتكل؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له، ثم قرأ : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝﴾ [الليل:٥-٧] [٢].

---

(١) البخاري كتاب القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين ج٦ / ص ٢٣٤٢/ح ٦٢٢٤ ومسلم في القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطره، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ص ١٠٦٨ ح ٢٦٦٠ .

(٢) مسلم في القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ص ١٠٦٢ ح ٢٦٤٧ .

وهذه المرتبة قد اتفق عليها الرسل من أولهم إلى آخرهم واتفق عليها جميع الصحابة ومن تبعهم من هذه الأمة وخالفهم مجوس هذه الأمة القدرية الغلاة [(١)].

النص :

من قبل إيجادها حقا وسطرها	في اللوح جفت بها الأقلام والمدد
كيفية وزمان والمكن فلا	يعدو امرؤ ما قضاه الواحد الصمد

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم إلى المرتبة الثانية من مراتب القدر وهي مرتبة (الكتابة) فالله تعالى قد كتب كل ما سبق به علمه من مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ ، كتب كيفية تلك المقادير وزمانها ومكانها، وليس لأحد من الخلق أن يتجاوز شيئا مما قضاه الله تعالى وقدره، وكتبه في ذلك اللوح المحفوظ، فكل ما يقع للخلائق فقد سجله الله تعالى في ذلك الكتاب.

قال تعالى :﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج:٧٠] .

﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس:١٢]

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة:٥١]

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء) [(٢)].

وقد أجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث على أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب، والتي هي اللوح المحفوظ ، والذكر، والإمام المبين والكتاب المبين[(٣)].

وهذه المرتبة يدخل فيها خمسة تقادير كلها ترجع إلى العلم وهي :

---

(١) شفاء العليل ج١ / ص ٩٢٠-٩٢٤، القضاء والقدر ص ٦٢-٦٣ الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٦١٦ — ٦٢٠ شرح الواسطية ج٢ ص ٦٠٤-٦٠٢ .

(٢) مسلم في القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ص ١٠٦٥ ح ٢٦٥٣ .

(٣) انظر شفاء العليل ج١/ص ١١٥ — ١٢٣ ، معارج القبول ج٣ / ص ٩٢٤-٩٢٨ ، القضاء والقدر ص ٦٣-٦٤، شرح الواسطية ج٢/ص ٦٠٧-٦١٠ الكواشف الجلية المعاني الواسطية ص ٦٢٠-٦٢٤ .

١- التقدير العام

وهو تقدير الله لجميع الكائنات بمعنى علمه بها وكتابته لها ومشيئته وخلقه لها ، ويدل على هذا التقدير أدلة كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة - قال وكان عرشه على الماء) (١).

٢- التقدير البشري (٢)

وهو التقدير الذي أخذ الله فيه الميثاق على جميع البشر بأنه ربهم وأشهدهم على أنفسهم بذلك والذي قدر الله فيه أهل السعادة وأهل الشقاوة .

قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢]

وعن هشام بن حكيم أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال (أتبدأ الأعمال أم قد قضي القضاء؟ قال رسول الله ﷺ (إن الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم أشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم في كفيه فقال هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار) (٣).

---

(١) سبق تخريجه ٢٤٣ .

(٢) علق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز على هذا التقدير قائلا : التقدير البشري داخل في التقدير العام، ولهذا أعرض عنه أبو العباس ابن تيمية في العقيدة الواسطية ، وأكثر أهل العلم فيما أعلم) انظر الإيمان بالقضاء والقدر ، ص ٦٩.

(٣) أخرجه بن أبي عاصم في كتابه السنة بتحقيق الألباني ج١ / ص ٧٣-٧٤ وقال الألباني إسناد صحيح ورجاله كلهم ثقات ، والسيوطي في الدر المنثور ج٣ / ص ٦٠٤ وقال أخرجه ابن جرير والآجري والبزار والطبراني والبيهقي وابن مردويه في الأسماء والصفات .

٣- التقدير العمري

وهو تقدير كل ما يجري على العبد في حياته إلى نهاية أجله وكتابة شقاوته وسعادته والدليل على ذلك قول الرسول ﷺ **إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفه ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويأمر باربع كلمات رزقه وأجله وشقي أو سعيد)** (١).

التقدير السنوي

وذلك في ليلة القدر من كل سنة قال تعالى : ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٤].

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر:٤-٥]

والذي يكتب في هذه الليلة هو ما يحدث في هذه السنة من موت وحياة وعز وذل ورزق ومطر حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان (٢).

التقدير اليومي

ويدل عليه قوله تعالى : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩]. وقيل في تفسير هذه الآية شأنه أن يعز ويذل ويرفع ويخفض ويعطي ويمنع ويغني ويفقر ويضحك ويبكي ويميت ويحيي وإلى غير ذلك(٣). فالتقدير اليومي تفصيل من التقدير الحولي والحولي تفصيل من التقدير العمري، والعمري تفصيل من التقدير البشري ، والبشري تفصيل من التقدير العام الأزلي الذي خطه القلم في الإمام المبين والإمام المبين من علم الله وكذلك منتهى المقادير في أخرياهما إلى علم الله فانتهت الأوائل إلى أوليته وانتهت الأواخر إلى آخريته ، قال تعالى : ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٤٢].(٤)

---

(١) البخاري ، كتاب القدر ج٦ / ص ٢٤٣٣ / ح ٦٢٢١ مسلم كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي ص ١٠٦٠ ح ٢٦٤٣ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤/ص ١٤٠، وفتح القدير للشوكاني جم ٤ ص ٥٧٢ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ج٤ / ص ٢٧٥ وفتح القدير ج٥ / ص ١٣٦ .

(٤) انظر معارج القبول ج٣ ص ٩٢٨-٩٤٠ والإيمان بالقضاء ص ٦٩-٧١ أعلام السنة المنشورة ١٢٩-١٣٣ ، شرح الواسطية ج٢ / ٦٠٧-٦١١ ، الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٦٢٥ — ٦٢٧ .

النـــــــص :

بقول كن ما يشا أمضـــى بقدرتــه   بالخلق والأمر رب العــرش منفــرد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى المرتبتين الثالثة والرابعة من مراتب القدر وهما مرتبة المشيئة ومرتبة الخلق فمرتبة المشيئة تقتضي الإيمان بمشيئة الله وقدرته الشاملة فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه لا حركة ولا سكون ولا هداية ولا إضلال إلا بمشيئته .

قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص:٦٨].

﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير:٢٩]

وقال ﷺ (إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء) (١).

ومشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة يجتمعان فيما كان أو سيكون ويفترقان فيما لم يكن ولا هو كائن فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢].

وما لم يشأ الله لم يكن لعدم مشيئته تعالى إياه ، وليس لعدم قدرته عليه .

قال تعالى : . ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [الأنعام:٣٥]

فالسبب في عدم وجود الشيء هو عدم مشيئة الله تعالى إيجاده ، لا أنه عجز عنه ، تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر:٤٤].

---

(١) مسلم كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء ص ١٠٦٥ ح ٢٦٥٤ .

وإرادة الله تنقسم إلى قسمين :

١- إرادة كونية قدرية : وهي مرادفة للمشيئة ، وهذه الإرادة لا يخرج عن مرادها شيء ، فالمسلم والكافر تحت هذه الإرادة الكونية سواء ، فالطاعات والمعاصي كلها بمشيئة الرب وإرادته .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾ [الرعد:١١]

وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام:١٢٥].

٢- إرادة شرعية دينية : وتتضمن محبة الرب ورضاه

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة:١٨٥].

وقال تعالى : ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ [المائدة:٦] .

الفرق بين الإرادتين :

١- الإرادة الكونية قد يحبها الله ويرضاها ، وقد لا يحبها ولا يرضاها ، أما الشرعية فهي التي يحبها ويرضاها ، فالكونية مرادفة للمشيئة ، والشرعية مرادفة للمحبة.

٢- الإرادة الكونية مقصودة لغيرها : كخلق إبليس مثلا وسائر الشرور ، لتحصل بسببها محاب كثيرة كالتوبة والمجاهدة والاستغفار. أما الشرعية فمقصودة لذاتها ، فالله أراد الطاعة وأحبها وشرعها ورضيها لذاتها.

٣- الإرادة الكونية لابد من وقوعها ، فالله إذا أراد شيئا وقع لابد ، كإحياء أحد أو إماتته ، أو غير ذلك، أما الشرعية كالإسلام – مثلا- فلا يلزم وقوعها ، فقد تقع وقد لا تقع، ولو كان لابد من وقوعها لأصبح الناس كلهم مسلمين.

٤- الإرادة الكونية متعلقة بربوبية الله وخلقه ، أما الشرعية فمتعلقة بألوهيته وشرعه.

٥- الإرادتان تجتمعان في حق المطيع، فالذي أدى الصلاة –مثلا – جمع بينهما، وذلك أن الصلاة محبوبة لله ، وقد أمر بها ورضيها وأحبها، فهي شرعية من هذا الوجه ، فمن هنا اجتمعت الإرادتان في حق المطيع.

وتنفرد الكونية في مثل كفر الكافر، ومعصية العاصي، فكونهما وقعت فهذا يدل على أن الله شاءها، لأنه لا يقع شيء إلا بمشيئته ، وكونها غير محبوبة ولا مرضية لله دليل على أنها كونية لا شرعية.

وتنفرد الشرعية في مثل إيمان الكافر، وطاعة ا لعاصي ، فكونها محبوبة لله تعـــالى فـــهي شـــرعية وكونها لم تقع مع أمر الله ومحبته لها ورضاه ، هذا دليل على أنها أيضا شرعية فقط، إذا هي مـــراده محبوبة لم تقع.

٦- الإرادة الكونية أعم من جهة تعلقها بما لا يحبه الله ولا يرضاه، من الكفر والمعاصي وأخـص من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر وطاعة الفاسق ، والإرادة الشرعية أعم من جهة تعلقـها بكل مأمور به واقعا كان أو غير واقع ، وأخص من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكـون غير مأمور به (١).

وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم ، وجميع الكتب المنـــزلة من عنـد الله والفطرة التي فطر عليها خلقه وأدلة العقل والبيان(٢).

(بالخلق والأمر رب العرش منفرد) :

يشير الناظم هنا إلى المرتبة الرابعة من مراتب القدر وهي مرتبة الخلق :

وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بأن الله خالق كل شيء ، فهو خالق كل عامل وعمله، كل متحـــرك وحركته، كل ساكن وسكونه ، وما مـــن ذرة في الســـماوات ولا في الأرض إلا والله خالقـــها وخالق حركتها وسكونها ، سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه ، بل كل ما سواه فهو مخلـــوق موجد من العدم، كائن بعد أن لم يكن

قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد:١٦]

وقال تعالى : ﴿هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:٣].

وقال تعالى : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤].

وإلى هذه الآية الأخيرة أشار الناظم في هذا الموضع فوضح أن الله منفرد بالخلق والأمر لا شريك لـه في ذلك، فالخلق قضاؤه وقدره وفعله، والأمر شرعه الذي خلق وشرع وأمر، وأحكامه جارية على خلقه قدرا وشرعا ولا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري .

---

(١) انظر الفتاوي ج٨ / ص ٢٩٧-٣٠٣ ، الإيمان بالقضاء والقدر ص ٩٧-١٠١ ، وشرح الواسطية ج٢/ ص ٦١٣-٦١٤ شرح الطحاوية ص ٦٥٦-٦٥٩، أعلام السنة المنشورة ص ١٣٧ شفاء العليل ج١ / ١٤١ وج٢م ص ٢٨٧-٢٨٩.

(٢) انظر شفاء العليل ج١ / ص ١٢٥ بتصرف يسير .

أما حكمه الديني الشرعي، فيعصيه الفجار والفساق (١).

قال رسول الله ﷺ (إن الله يصنع كل صانع وصنعته) (٢).

وهذه المرتبة دلت عليها الكتب السماوية، وأجمع عليها الرسل عليهم الصلاة والسلام واتفقت عليها الفطر القويمة والعقول السليمة (٣).

النص :

وقدرة العبد حقاً مع مشيئته	لكن لما شاء منه الله نعتقد
إذ كان ذاتاً وفعلاً كله عدم	إلا إذا جاءه من ربه المدد
من يهده الله فهو المهتدى وكذا	من شاء إضلاله أنى له الرشد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن للعباد قدرة ومشيئة خاصة بهم ، ولكن علينا أن نعتقد أن هذه القدرة والمشيئة خاضعة لإرادة الله الكونية القدرية ، وأنه لن يحدث في هذا الكون شيء إلا بمشيئة الله تعالى .

قال تعالى :﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [التكوير:٢٩] .

فإن هذا الإنسان الذي يملك القدرة والمشيئة الخاصة به ، كان في الأصل عدماً في ذاته وفعله لولا أن الله تعالى خلقه وأوجده من العدم ، فهو ذاته وفعله عدم إلى أن جاءه المدد من الله تعالى ، بأن من عليه بنعمة الخلق والإيجاد، وكذلك قدرته ومشيئته معدومة لولا أن الله تعالى أوجدهما فيه بإرادته الكونية القدرية ، فالهداية والضلال كلها بيد الله تعالى ، فمن أراد الله له الهداية فهو المهتدي ، ومن أراد الله له الضلال فليس له من هاد ، سوى الله يهديه إلى سبيل الرشاد، فالعباد لهم قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة ، والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وأقوالهم وأعمالهم ، وهو الذي منحهم إياها ، وأقدرهم عليها وجعلها قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة وبحسبها كلفوا ، وعليها يثابون ، ويعاقبون ، ولم يكلفهم الله تعالى إلا وسعهم ، ولم يحملهم إلا طاقتهم ، وقد أثبت الله تعالى ذلك لهم في الكتاب والسنة ووصفهم به ، ثم أخبر تعالى

---

(١) انظر شفاء العليل ج٢ / ص ٢٨٧ .

(٢) البخاري في خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأهل التعطيل ص ٢٥، باب أفعال العباد .

(٣) انظر شفاء العليل ج١ / ص ١٤٥-١٥٠ الإيمان بالقضاء والقدر ص ٦٦ ومعارج القبول ج٣ / ص ٩٤٠.

أنهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه ولا يشاءون إلا أن يشاء الله عز وجل ولا يفعلون إلا بجعله إياهم فاعلين .

قال تعالى : ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٨].

وقال تعالى : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:٣٠].

وقال تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦].

فكما أن العباد لم يوجدوا أنفسهم ، فإنهم كذلك لم يوجدوا أفعالهم ، فقدرتهم ومشيئتهم وأفعالهم تبع لقدرة الله تعالى ومشيئته وأفعاله. وليس مشيئتهم إرادتهم وأفعالهم هي عين مشيئة الله بل أفعالهم مخلوقة لله قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة، وهي من آثار أفعال الله تعالى، القائمة به اللائقة به ، المضافة إليه حقيقة . فالله فاعل حقيقة والعبد فاعل حقيقة والله تعالى هاد حقيقة، والعبد مهتدي حقيقة، ولهذا أضاف الله كلا الفعلين لمن قام به حقيقة، قال تعالى : ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الكهف:١٧] . فإضافة الهداية إلى الله حقيقة، وإضافة الاهتداء إلى العبد حقيقة ، كما أن الهادي تعالى ليس هو عين المهتدي فكذلك الهداية هي ليست عين الاهتداء ، وكذلك يضل الله من يشاء حقيقة ، وكذلك العبد يكون ضالا حقيقة ، وهو سبحانه خالق المؤمن وإيمانه ، والكافر وكفره .

قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن:٢].

أي ، الله هو الخالق لكم على هذه الصفة، وأراد منكم ذلك كونا لا شرعا، فلابد من وجود مؤمن وكافر، وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال ، وهو شهيد على أعمال عباده وسيجزيهم بها أتم الجزاء، ولهذا قال تعالى : والله بما تعملون بصير . فأضاف الله تعالى الخلق الذي هو فعله القائم به إليه حقيقة ، وأضاف الإيمان والكفر الذي هو عملهم القائم بهم إليه حقيقة ، والله تعالى هو الذي جعلهم كذلك، وهم فعلوه باختيارهم وقدرتهم ومشيئتهم التي منحهم الله إياها وعلقها فيهم وأمرهم ونهاهم بحسبها.

فالله سبحانه وتعالى في جميع تصرفاته في عباده فاعل حقيقة ، والعبد فاعل منفعل حقيقة، فمن أضاف الفعل والانفعال إلى المخلوق كلاهما كفر[1] ومن أضافهما كلاهما إلى الله كفر[2] ومن

(١) هذا قول القدرية ، وقد سبق الحديث عنهم في المقدمة.ص٥٥.

(٢) هذا قول الجهمية وقد سبق الحديث عنهم في المقدمة .ص٥٢.

أضاف الفعل إلى الله حقيقة والانفعال إلى المخلوق حقيقة، كما أضافهما الله تعالى فهو المؤمن حقيقة[1].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

(اعلم أن الرب سبحانه وتعالى فاعل غير منفعل، والعبد فاعل منفعل، وهو في فاعليته منفعل للفاعل الذي لا ينفعل بوجه). فالجبرية شهدت بكونه منفعلا يجري عليه الحكم بمنزلة الآلة، والمحل، وجعلوا حركته بمنزلة حركات الأشجار، ولم يجعلوه فاعلا إلا على سبيل المجاز ، فقام وقعد وأكل وشرب وصلى وصام، عندهم بمنزلة مرض وألم ومات ونحو ذلك مما هو فيه منفعل محضا. والقدرية شهدت كونه فاعلا محضا غير منفعل في فعله.

وكل من الطائفتين نظر بعين عوراء ، وأهل العلم والاعتدال أعطوا كلا من المقامين حقه ولم يبطلوا أحد الأمرين بآخر ، فاستقام لهم نظرهم ومناظرتهم ، واستقر عندهم الشرع والقدر، في نصابه ، ومهدوا وقوع الثواب والعقاب على من هو أولى به ، فاثبتوا نطق العبد حقيقته ، وإنطاق الله له حقيقة .

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [فصلت:٢١].

فالإنطاق فعل الله الذي لا يجوز تعطيله، والنطق فعل العبد الذي لا يمكن إنكاره[2] ولابد هنا من الإشارة إلى بعض المسائل المتعلقة بالقضاء والقدر.

المسألة الأولى :

(إن سبق المقادير بالسعادة والشقاوة لا يقتضي ترك الأعمال بل الاجتهاد والحرص)

يسبق إلى إفهام كثير من الناس أن القضاء والقدر إذا كان قد سبق فلا فائدة من الأعمال وأن ما قضاه الله وقدره لابد من وقوعه فتوسط العمل لا فائدة فيه وهذا فهم غير صحيح .

وقد أجاب ابن القيم رحمه الله بما يدل على إن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه، بل يوجب الجد والاجتهاد ، ولهذا لما سمع أحد الصحابة ذلك قال: ما كنت أشد اجتهادا مني الآن.

---

(١) انظر أعلام السنة المنشورة : ص ١٣٩-١٤١ ، معارج القبول : ج٣/ص ٩٤٠-٩٤١ لمعة الاعتقاد: بشرح ابن عثيمين ص ٩٥-٩٦ .

(٢) انظر شفاء العليل: ج ١، ص ٣٣٩ — ٣٤٩ .

وهذا مما يدل على جلالة فقه الصحابة ، ودقة أفهامهم ، وصحة علومهم ، فإن النبي ﷺ أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الخليقة بالأسباب، فإن العبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه، ومكن منه ، وهيئ له ، فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب، وكلما زاد اجتهادا في تحصيل السبب كان حصول المقدور أدنى إليه .

وهذا كما إذا قدر له أن يكون من أعلم أهل زمانه ، فإنه لا ينال ذلك إلا بالإجتهاد والحرص على التعلم وأسبابه .

وقد فطر الله تعالى الناس على الحرص على الأسباب التي بها مرام معاشهم ومصالحهم الدنيوية ، بل فطر الله على ذلك سائر الحيوانات ، فهكذا الأسباب التي بها مصالحهم الأخروية في معادهم، فإنه سبحانه رب الدنيا والآخرة ، وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب في المعاش والمعاد ، وقد يسر كلا من خلقه لما خلق له في الدنيا والآخرة، فهو مهيأ له ميسر له .

فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها كان أشد اجتهادا في فعلها والقيام بها، منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه .

فالقدر السابق معين على الأعمال وما يحث عليها مقتضٍ لها، لا أنه منافٍ لها وصاد عنها ، وهذا موضع مزلة قدم ، من ثبتت قدمه فاز بالنعيم المقيم ، ومن زلت قدمه عنه هوى إلى قرار الجحيم، فالرسول ﷺ أرشد الأمة في القدر إلى أمرين هما سبب السعادة ، الإيمان بالقدر، فإنه نظام التوحيد والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره، وذلك نظام الشرع ، فأرشدهم إلى نظام التوحيد والأمر ، فأبى المنحرفون إلا القدح بإنكاره في أصل التوحيد والقدح بإثباته في أصل الشرع ، والخلق والأمر[1] .

قال تعالى : ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة:٢١٣] .

والرسول ﷺ شديد الحرص على جمع هذين الأمرين للأمة ومن لم يتسع للأمرين معا فهو عاجز[2].

---

[1] أنظر شفاء العليل ج١ ص ٧٦-٩٧.

[2] انظر : شفاء العليل: ص ٧٦-٩٧ ، معارج القبول : ج ٣/ص ٩٥٤.

المسألة الثانية :

أنه لا يجوز الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي وترك الواجبات.

ذلك أن الإيمان بالقدر لا يمنح العاصي حجة على ما ترك من الواجبات أو فعل المعاصي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

(وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر العقلاء، فإن هذا لو كان معقولا لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس وأخذ الأموال وسائر أنواع الفساد في الأرض ويحتج بالقدر).

ونفس المحتج بالقدر إذا اعتدى عليه ، واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه بل يتناقض وتناقض القول دليل على فساده ، فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول[1].

وإنما يسوغ الاحتجاج بالقدر عند المصائب التي تلح بالإنسان كالفقر والمرض ونحو ذلك فهذا من تمام الرضا بالله ربا، فالاحتجاج إنما يكون على المصائب لا المعائب فالسعيد يستغفر من المعائب ، ويصبر على المصائب.

كما قال تعالى :﴿ ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر:٥٥] . والشقي يجزع عند المصائب ، يحتج بالقدر على المعائب فما قدر من المصائب يجب الاستسلام له فإنه من تمام الرضا بالله ربا ، أما الذنوب فليس لأحد أن يذنب ويحتج بالقدر ، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب، فيتوب من المعائب ويصبر على المصائب .

وممن يسوغ له الاحتجاج بالقدر ، التائب من الذنب ، فلو لامه أحد على ذنب تاب منه لساغ له أن يحتج بالقدر ، فيقول: هذا بقضاء الله وقدره، وأنا قد تبت ورجعت إلى الله تعالى [2].

المبحث العاشر

مجمل أركان الإسلام

النـــص :

هذا وقد بني الإسلام فـادر علـى خمس دعائم فـاحفظ إنهـا العمـد

---

(١) الفتاوي: ج٣ ، ص ١٧٩ ، اقتضاء الصراط المستقيم: لابن تيمية، ج٢ ص ٨٤٨-٨٤٩ .

(٢) انظر الفتاوي : ج٨ ، ص ٤٥٤ — ٤٥٥ ، شرح الواسطية : ج٢ ، ص ٦٣٠-٦٣٥ .

المفردات :

دعائم : مفردها دعامة ، وهي عماد البيت الذي يقوم عليه (١).

العمد : عمود الأمر قوامه الذي لا يستقيم إلا به (٢).

الشرح :

بعد أن تحدث الناظم في الأبيات السابقة عن مرتبة الإيمان ، شرع هنا في الحديث عن مرتبة الإسلام .

الإسلام في اللغة: الإنقياد والإذعان والخضوع (٣).

وفي الشرع : الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك .

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

وقال رسول الله ﷺ : (إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان أزلفها ، وكان بعد ذلك القصاص الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها) (٤).

فالإسلام قائم على خمس دعائم لا يستقيم ولا يكمل إلا بها، والناظم هنا قد شبه الإسلام بالبناء، وشبه أركانه بدعائم البناء ، وهذا البناء لا يستقيم إلا بوجود هذه الدعائم وإن اختلت إحدى الدعائم أو بعضها اختل البناء ، أما إذا اختلت جميع الدعائم فإن البناء يسقط، وكذلك الأمر بالنسبة للإسلام ، إذا أقيمت دعائمه جميعا فإنه يصح ويكمل، وإن اختل بعضها اختل الإسلام باختلالها ، وإن اختلت جميعا انتفى الإسلام .

والناظم هنا يشير إلى قول الرسول ﷺ : (بني الإسلام على خمس . . . الحديث) (٥)

وقول الناظم (فاحفظ إنها العمد) .

---

(١) انظر : لسان العرب : ج٢ ، ص ٢٠٢ .

(٢) المرجع السابق : ج٣ ، ص ٣٠٤ .

(٣) انظر حاشية الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب ص ٤٦-٤٧ .

(٤) البخاري كتاب الإيمان باب حسن إسلام المرء ج١ ، ص ٢٤ / ح / ٤١ .

(٥) البخاري في الإيمان باب بني الإسلام على خمس ج١، ص ١٢ حديث رقم "٨" مسلم في الإيمان باب أركان الإسلام ص٣٩-٤٠ ح ١٦.

أي فحافظ على هذه الأركان وأدها كاملة كما أمرك الله بها ، فالإسلام قائم عليها ولا يكمل إلا بها جميعا لأنها قوامه الذي يقوم عليه .

النص :

هي الشهادة فاعلم والصلاة مع الـــزكاة والصوم ثم الحج فاعتمدوا

الشرح :

في هذا البيت شرع الناظم في ذكر الدعائم والأركان التي يقوم عليها دين الإسلام وقدم الأهم فالأهم ، وهذه الدعائم تنقسم إلى قسمين :

قولية وعملية .فالقولية الشهادتان ، والعملية الباقي .

والعملية تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

بدنية : وهي الصلاة والصوم . ومالية : وهي الزكاة . وبدنية مالية : وهي الحج.

قال رسول الله ﷺ : (بني الإسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت)[1].

وأول هذه الأركان الشهادتان :

وهما شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ، والشهادة هي : الاعتراف باللسان ، والاعتقاد بالقلب، والتصديق بالجوارح.

ولهذا لما قال المنافقون للرسول ﷺ (نشهد إنك لرسول الله) كذبهم الله بقوله : ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝﴾ [المنافقون:١]

فلم ينفعهم هذا الإقرار باللسان لأنه خال من الاعتقاد بالقلب، وخال من التصديق بالعمل، فلم ينفع، لأن الشهادة لا تتحقق إلا بعقيدة في القلب واعتراف باللسان وتصديق بالعمل.

وكلمة (لا إله إلا الله) فيها نفي وإثبات .

نفي الألوهية عن كل ما سوى الله .

وإثبات الألوهية لله وحده لا شريك له .

فإنه لا معبود يستحق أن يعبد إلا الله .

---

[1] سبق تخريجه ص ٢٥٤.

فنحن نحقق شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، والبعد عن كل ما يناقض ذلك قـــولا أو عملا ، أو اعتقادا .

ونحقق شهادة أن محمدا رسول الله ، بأن نعتقد بقلوبنا ، ونعترف بألسنتنا ، ونطبق ذلك في متابعته صلى الله عليه وسلم بجوارحنا ، والعمل بهديه صلى الله عليه وسلم.

فالدخول في الإسلام لا يكون إلا بهاتين الشهادتين ، والخروج منه لا يكون إلا بمناقضتـها، إما بجحود لما دلتا عليه ، وإما باستكبار عما استلزمتاه ، ولهذا لم يدع رسول الله ﷺ إلى شـــيء قبلهما ، ولم يقبل الله ولا رسوله ﷺ شيئا دونهما ، وبالشهادة الأولى يعرف المعبود وما يجب له، وبالشهادة الثانية يعرف كيف يعبد وبأي طريقة يصل إليه.

وهي أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده إذ هداهم إليها ، ولهذا ذكرها الله تعالى في ســورة النحل التي هي سورة النعم ، فقدمها أولا قبل كل نعمة قال تعـــالى : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ [النحل:٢].

وهي أصل الدين وأساسه ، وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها ، مكمــــلات لهـا ومقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها.

وبالجملة فإن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام ، وهي كلمة التقـــوى وهـــي العروة الوثقى، ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب .

قـــال تعـــالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٥]. [1]

الصـــــــــــــلاة :

وهي الركن الثاني من أركان الإسلام .

الصلاة لغة : الدعاء[2] .

---

(١) انظر الدين الخالص ج١، ص ١٢٤-١٣٠ ، معارج القبول ج٢ ، ص ٤٠-٤١، القول المفيد ج١ ، ص ٧٩-٨٣ .

(٢) أنظر لسان العرب ج١٤ ص ٤٦٤.

وشرعا : أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير ، ومختتمة بالتسليم [(١)].

قال تعالى : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٣٨].

وقال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت:٤٥].

وقال رسول الله ﷺ : (بني الإسلام على خمس . . .) [(٢)]. وذكر منها الصلاة وقال رسول الله ﷺ : (رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله) [(٣)] وهي أحد أركان الإسلام بعد الشهادتين ، وأفضل الأعمال بعدهما ، وهي أول ما يشترطه ﷺ بعد التوحيد، وهي ثانية أركان الإسلام ، في الفرضية، فرضها الله تعالى على رسوله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج في السماء، على خلاف سائر الشرائع، فدل ذلك على تأكد وجوبها وقد فرضها الله تعالى خمسين صلاة، ثم خففت إلى خمس صلوات في اليوم والليلة . وهي مشتملة على جل أنواع العبادة ، من الإعتقاد بالقلب، والإنقياد والإخلاص ، والمحبة والخشوع، والخضوع والمشاهدة، والمراقبة والإقبال على الله تعالى ، وإسلام الوجه له والصمود إليه ، والإطراح بين يديه، وعلى أقوال اللسان وأعماله من الشهادتين وتلاوة القرآن ، والتسبيح والتحميد ، والتهليل والتكبير ، والأدعية والتعوذ ، والإستغفار والإستغاثة ، والإفتقار إلى الله تعالى والثناء عليه ، والاعتذار من الذنب إليه ، والإقرار بالنعم له، وسائر أنواع الذكر .

وعلى عمل الجوارح من الركوع والسجود والقيام ، والاعتدال والخفض وغير ذلك هذا ما تضمنته من الشرائط والفضائل، منها الطهارة الحسية من الأحداث والأنجاس الحسية والمعنوية من الإشراك والفحشاء والمنكر وسائر الأرجاس، وإسباغ الوضوء على المكاره ونقل الخطى إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، وغير ذلك مما لم يجتمع في غيرها من العبادات ولهذا قال

---

(١) انظر : حاشية ا لروض المربع: شرح زاد المستقنع : ج١ ، ص ٤١٠-٤١١ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٥٤ .

(٣) رواه أحمد : ٥ ، ص ٢٣١-٢٣٧ ، والترمذي ج٥ ، ص ١١-١٢ ، حديث رقم ٢٦١٦ في الإيمان ، وقال هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة : ج٢ ، ص ١٣١٤، حديث رقم : ٣٩٧٣ في الفتن وصححه الألباني أنظر صحيح سنن الترمذي ج٢ ص٣٢٩ وصحيح سنن بن ماجه ج٢ ص ٣٥٩ ح٣٩٧٣

النبي ﷺ (وجعلت قرة عيني في الصلاة)[1].

ولاشتمالها على معاني الإيمان سماها الله تعالى إيمانا ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ [البقرة:١٤٣].

حكم ترك الصلاة :

ترك الصلاة جحوداً وإنكاراً لها ، كفر وخروج من ملة الإسلام، بإجماع المسلمين أما من تركها مع إيمانه بها واعتقاده فرضيتها، ولكنه تركها تكاسلاً أو تشاغلاً عنها فقد صرحت الأحاديث بكفره ووجوب قتله على اختلاف بين العلماء في ذلك[2].

الزكـــــاة :

هي الركن الثالث من أركان الإسلام .

الزكاة لغة : النماء والزيادة والتطهير[3].

وشرعاً : حق واجب في مال مخصوص لطائفة مخصوصة ، في وقت مخصوص[4].

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴾ [المؤمنون:٤]. وقال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة:١٠٣].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم[5]. ولما للزكاة من مكانة عظيمة في الإسلام فقد قرنها الله تعالى بالصلاة، في اثنين وثمانين آية ، وقد فرضها الله تعالى بكتابه وسنة رسوله وأجمعت الأمة على فرضيتها.

وكانت فريضة الزكاة بمكة في أول أيام الإسلام مطلقة لم يحدد فيها المال وإنما ترك ذلك

(١) حاشية الروض المربع ج١ ، ص ٤٩ ، انظر معارج القبول ج٣ / ٦٢١-٦٢٨ .

(٢) معارج القبول : ج٣ ص ٦٢٦ – ٦٢٨ ، انظر : فقه السنة : ج١ ص ٨٣ .

(٣) أنظر لسان العرب ج١٤ ص ٣٥٨.

(٤) انظر فقه السنة : ج١ ص ٨٣ ، معارج القبول: ج٣ ص ٦٢٩-٩٣١.

(٥) البخاري : كتاب الزكاة باب البيعة على إيتاء الزكاة ج٢ ص ٥٠٧ حديث رقم ١٣٣٦.

لشعور المسلمين وكرمهم، وفي السنة الثانية من الهجرة – على المشهور– فرض مقدارها في كل نوع من أنواع المال ، وبينت بياناً مفصلاً.

ولأهمية الزكاة في الإسلام فقد حذر الله سبحانه وتعالى من منعها، وأعد العقوبة الشديدة لمن منعها . قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة:٣٤]. وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم ، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ، فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار . . . الحديث) (١).

حكم مانعها :

الزكاة من الفرائض التي أجمعت عليها الأمة واشتهرت شهرة جعلتها من ضروريات الدين، بحيث لو أنكر وجوبها أحد خرج عن الإسلام، وقتل كفراً إلا إذا كان حديث عهد بالإسلام، فإنه يعذر لجهله بأحكامه .

أما من امتنع عن أدائها مع اعتقاده وجوبها ، فإنه يأثم بامتناعه دون أن يخرجه ذلك عن الإسلام، وعلى الحاكم أن يأخذها منه قهراً ويعزره ، ولو امتنع قوم عن أدائها مع اعتقادهم وجوبها وكانت لهم قوة ومنعة فإنهم يقاتلون عليها حتى يعطوها(٢) .

---

(١) مسلم في الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة ص ٣٨٢ ح ٩٨٧ .

(٢) انظر حاشية الروض المربع : ج٣ ص ١٦٢-١٦٣ ، وص ٣٩٣ – ٣٩٤ ، فقه السنة : ج٢ ، ص ٢٩٢-٢٩٣ ، معارج القبول : ج٣ ص ٦٣١ – ٦٣٧ .

الصيـــــــام :

هو الركن الرابع .

الصيام لغة : مجرد الإمساك[1] .

وشرعا إمساك بنية عن أشياء مخصوصة ، في زمن معين من شخص معين .

وهـــو ركـــن من أركان الإسلام وفرض من فروضه ، دل عليه الكتـــاب والسنة. قـــال تعـــالـــى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣]

وقال رسول الله ﷺ : (بني الإسلام على خمس . .) وذكر منها صيام رمضان . والصيام وسيلة إلى التقوى، لما فيه من قهر النفس وترك الشهوات ، والزهد في الدنيا ، والترغيب فيما عنـد الله ، ولما فيه من الرحمة والعطف على المساكين.

وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع كفر من جحد وجوبه ، أما من تركه عمدا مع الإقرار بوجوبه فإنه يقتل ما لم يتب[2].

الحـــــــــج :

هو الركن الخامس .

الحج لغة : القصد[3] .

وشرعا : قصد مكة لعمل مخصوص في زمن مخصوص[4] .

وهو أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام ، أجمع المسلمون على أنه ركن من أركان الإسلام وفرض من فروضه . قـــال تعـــالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:٩٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضـــل ؟ قـال: إيمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال: جهاد في سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال: حـــج

---

[1] لسان العرب ج٢ ص ٣٥٠.

[2] انظر حاشية الروض المربع : ج٣ ص ٣٤٤-٣٤٦ ، فقه السنة: ج١ ص ٣٨١ – ٣٨٣.

[3] لسان العرب ج٢ ص ٢٢٦.

[4] انظر حاشية الروض المربع ج٣ ص ٤٥٨.

مبرور) (١). ومن الحكم في فرضية الحج والله أعلم (ليشهدوا منافع لهم) سواء كانت منافع دنيوية أو أخروية ، كما ذكر الله تعالى ذلك في كتابه وليس لحاجته تعالى إلى الحجاج كما يحتاج المخلوق إلى من يقصده ويعظمه ، فإن الله تعالى غني عن العالمين .

وقد أخر الحج عن الصلاة والزكاة والصوم ، لأن الصلاة عماد الدين ، ولشدة الحاجة إليها ، ولتكررها كل يوم خمس مرات . ولكونها أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة ، ثم الزكاة لكونها قرينة لها في أكثر المواضع من الكتاب والسنة، ولشمولها المكلف وغيره ، ثم الصوم لتكرره كل سنة .

والحج يتكرر كل عام إلا أن الفرق بينه وبين الصيام أن الحج يجب في العمر مرة واحدة ، أما الصيام فإنه يتكرر كل عام ، ويجب في كل عام لذلك قدم على الحج.

ولا شك في ان من أنكر وجوب الحج فقد كفر(٢).

وقول الناظم "فاعتمدوا"

أي فالتزموا هذه الأركان ، وحافظوا عليها لأنها عماد الدين فإن ضيعتموها فلا إسلام لكم.

النص :

وذروة الدين أعلاها الجهاد حتى ... لحقه ولأهل الكفر مضطهد

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم أركان الإسلام الخمسة شرع هنا في ذكر الجهاد لما له من الأهمية العظيمة في دين الإسلام ، حيث عده بعض العلماء ركنا سادسا .

ولما كانت الصلاة والزكاة والصوم والحج ، تحتاج إلى طمأنينة وظهور يد لإقامتها والتصدي لمن نهى عنها ، كان الجهاد لازما ، لذلك ذكره الناظم عقب هذه الأركان.

الجهاد لغة : بذل الطاقة والوسع .

وشرعا : بذل الجهد في قتال الكفار، ويطلق أيضا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق . وهو

---

(١) البخاري كتاب الحج باب الحج المبرور ج٢ ص ٥٥٣ ح ١٤٧ .

(٢) انظر حاشية الروض المربع : ج٣ ص ٤٩٨-٥٠٠، فقه السنة: ج١ ص ٥٤٩-٥٥١ .

فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، وقد فرضه الله تعالى في السنة الأولى من الهجرة.
والأدلة على فرضيته كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:٣٩].

وقوله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠].

وقال رسول الله ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله... الحديث) (١).

وقال رسول الله ﷺ : (رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله) (٢). فالجهاد ذروة سنام الإسلام ، وأرفع خصاله ، لأن فيه بذل المهج والنفوس دفاعاً عن الدين، وإقامة لشرائعه ، وقتالاً لأهل الكفر ، وتصدياً لهم ليكون الأمر كله لله .

والجهاد هو الذي يفرق بين الإيمان الحقيقي والإيمان المدعي ، فمن صدق إيمانه بذل مهجته وماله لربه ، لعلمه أن في الجهاد خيري الدنيا والآخرة ، وفيه إحدى الحسنيين ، إما النصر وإما الشهادة .

قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة:١١١]. (٣)

المبحث الحادي عشر

جامع وصف الإحسان

النص :

هذا والإحسان في سر وفي علن ... أصل ومعناه عن خير الورى يرد

أن تعبد الله باستحضار رؤيته ... إياك ثم كمن إياه قد شهدوا

---

(١) البخاري : في الإيمان باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ج١ ص ١٧-٢٥ . مسلم: في الإيمان باب الأمر بقتال الكفار ص ٤٢ ح ٢٠ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٥٧ .

(٣) انظر حاشية الروض المربع: ج٤ ص ٢٥٣ – ٢٥٨ .

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم إلى المرتبة الثالثة من مراتب الدين وهي مرتبة الإحسان.

فيقول : إن الإحسان في السر والعلن أصل من أصول هذا الدين ومرتبة من مراتبه، بل هو أعلى مراتب دين الإسلام وأعظمها خطراً ، ذلك أن أهلها المؤدون لها على وجه الكمال هم السابقون بالخيرات ، المستحقون أعلى الدرجات عند الله تعالى .

والإحسان في اللغة هو : إجادة العمل وإتقانه وإخلاصه .

وفي الشرع : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك (١).

قال تعالى :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ۝﴾ [النحل:١٢٨].

وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ۝﴾ [الكهف:٣٠]. فالإحسان أصل من أصول الدين ، ومرتبة من مراتبه ، بل هو أعلى مراتب الدين، وقد ورد معناه عن خير الورى وهو سيدنا محمد ﷺ ، حيث فسر الإحسان تفسيرا جامعا ، لا يستطيعه أحد من المخلوقين ، وذلك لما أعطاه الله إياه من جوامع الكلم ، فقال ﷺ : (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)(٢).

وقول الناظم :

أن تعبد الله باستحضار رؤيته ... إياك ثم كمن إياه قد شهدوا

إشارة إلى هذا المعنى الذي ذكره الرسول ﷺ .

فالإحسان بهذا المعنى يكون على درجتين ، وللمحسنين في الإحسان مقامان متفاوتان :

المقام الأول :

وهو أعلاهما : وهو مقام المشاهدة ، بأن تعبد الله كأنك تراه ، وهو أن يعمل العبد على مقتضى

---

(١) انظر معارج القبول ج٢ ص ٦١١ .

(٢) سبق تخريجه ص ٨٩.

مشاهدته لله عز وجل بقلبه، فمن عبد الله عز وجل على استحضار قربه منه وإقباله عليه، وأنه بين يديه كأنه يراه ، أوجب له ذلك الخشية والخوف ، والهيبة ، والتعظيم فعبد الله حق عبادته.

المقام الثاني :

مقام الإخلاص : وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله له، واطلاعه عليه وقربه منه وذلك يمنعه من الإلتفات إلى غير الله تعالى، وإرادته بالعمل ، فيكون بذلك مخلصاً لله تعالى .

وهذا المقام هو الوسيلة الموصلة للمقام الأول ، ولهذا أتى به النبي ﷺ تعليلاً للأول ، فقال: (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) .

والناظم قد ذكر مقام الإخلاص أولاً ، ثم ذكر مقام المشاهدة ، ذلك أن مقام المشاهدة لا يتحقق إلا بعد تحقق مقام الإخلاص ، فإذا استحضر العبد في عبادته لله تعالى رؤية الله تعالى له وقربه منه ، واطلاعه على سره ، سهل عليه بعد ذلك الانتقال إلى مقام المشاهدة فعبد الله كأنه يراه بقلبه وهذا أعلى وأعظم مقام للإحسان (١).

(١) انظر أعلام السنة المنشورة : ص ١٤٦ ، معارج القبول: ج٣ ص ٩٩٨-١٠٠٣، حاشية الأصول الثلاثة ص ٦٤-٦٩.

المبحث الثاني عشر

"باب نواقض الإسلام أعاذنا الله منها "

بعد أن تحدث الناظم رحمه الله في الأبواب السابقة عن أصول الدين الإسلامي "الإسلام والإيمان والإحسان" شرع في هذا الباب في الحديث عن نواقض هذا الدين، التي تخرج الإنسان من التوحيد الى الكفر بالله تعالى، فاشار الى أن الإنسان لا يخرج من الإيمان إلا إذا أنكر وجحد ما دخل به فيه، ذلك أن الإنسان يدخل الإيمان بالإقرار والتصديق بالشهادتين، فإن صدر عنه ما ينافي هذا الإقرار فقد خرج من الإيمان إلى الكفر.

ثم أشار بعد ذلك إلى أن المعاصي التي يرتكبها الإنسان لا تخرجه من الإيمان، إلا إذا استحلها.

ثم أشار إلى أقسام الكفر الإعتقادي المخرج عن الله ثم أشار إلى الشرك الأصغر الغير مخرج عن الملة وذكر بيان أنواعه، وكفارته، ومتى يصبح هذا الشرك شركاً كما سيأتي بيان ذلك من خلال الشرح.

النص :

وليس يخرج من الإسلام داخله   إلا بإنكار ما فيه به يرد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الإنسان لا يخرج من دين الإسلام إلا إذا أنكر أمراً من الأمور التي جاء بها الإسلام ، ويقصد بذلك الأمور المعلومة من دين الإسلام بالضرورة لأنه عند ذلك يكون مكذباً للرسولﷺ ، وللقرآن الكريم ، وهذا في حد ذاته كفر بالكتاب والسنة والإجماع .

قال الإمام الطحاوي :

"ولا يخرج العبد من الإيمان ، إلا بجحود ما أدخله فيه" . فالله تعالى قد جعل للإيمان والإسلام مدخلاً وباباً يدخل منه وهو الإقرار والتصديق بالشهادتين ، فمن دخل في الإسلام من هذا الباب فإنه لا يخرج منه إلا إذا صدر عنه قول أو عمل أو اعتقاد ينافي هذا الإقرار وهذا التصديق.

والناظم بهذا البيت يشير إلى نواقض الإسلام ، وهي كثيرة متعددة ، قد أجملها شيخ

الإسلام محمد بن عبد الوهاب في عشرة نواقض هي :

١- الشرك في عبادة الله .

٢- من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ، ويسألهم الشفاعة ، ويتوكل عليهم كفر إجماعا.

٣- من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم ، أو صحح مذهبهم فقد كفر.

٤- من اعتقد أن غير هدى النبي أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه ﷺ فهو كافر[١].

٥- من أبغض بشيء مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر.

٦- من استهزأ من دين الرسول ﷺ ، أو ثواب الله أو عقابه كفر.

٧- السحر ، ومنه الصرف والعطف ، فحسن فعله أو رضي به كفر .

٨- مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين .

٩- من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج على شريعة محمد ﷺ ، كما وسع الخضر عليه السلام الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

١٠- الإعراض عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به[٢].

هذه نواقض الإسلام ، التي إذا فعل المرء واحدا منها خرج بذلك من دائرة الإسلام ودخل في دائرة الكفر والعياذ بالله .

النص :

أما المعاصي التي من دون ذاك فلا تكفير إلا لمن للحل يعتقد

الشرح :

بعد أن أشار الناظم إلى نواقض الإسلام ، ذكر هنا أن المعاصي الخارجة عن هذه النواقض مهما عظمت فإنها لا تخرج المرء من الإسلام، إلا في حالة واحدة وهي حالة استحلاله لهذه المعصية، وإن لم يفعلها فمن استحل شيئا مما حرمه الله أي اعتقد بقلبه حليته فقد كفر بما أنزل على

---

(١) انظر شرح الطحاوية: ص ٤٥٨ .

(٢) انظر كتاب مجموعة التوحيد : ص ٢٣٢-٢٣٣ ، الإيمان أركانه حقيقته ونواقضه لمحمد نعيم ياسين ، ص ١٦٨-٢١٢، شرح نواقض الإسلام لحسن بن علي العواجي .

محمد ﷺ .

ويقصد الناظم بالمعاصي كبائر الذنوب التي ليست بشرك ، وقد اختلف العلماء في تعريف الكبيرة، إلا أن أجمع تعريف لها هو (أنها كل معصية ترتب عليها حد في الدنيا ، أو وعيد في الآخرة أو ترتب عليها لعنة أو غضب أو نفي إيمان) (١).

قال الإمام الطحاوي :

(ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله) (٢).

وقال الإمام النووي :

(وأعلم أن مذهب أهل السنة، وما عليه أهل الحق، من السلف والخلف، أن من مات موحدا دخل الجنة قطعا على كل حال، . . . إلى أن قال : وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو تحت مشيئة الله تعالى ، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولا، وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده الله سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة، فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل في المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل) (٣).

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في عصاة الموحدين من أهل الكبائر ، فإنهم يفسقون مرتكب الكبيرة، وهو عندهم كسائر المؤمنين لا يخرج من الإيمان بمعصيته، وحكمه في الدنيا أنه لا يسلب ، اسم الإيمان بالكلية ، بل يقال عنه أنه مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن عاص ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، والحق أنه ليس بكافر عندهم كما هو مذهب الخوارج، ولا في منزلة بين المنزلتين كما هو مذهب المعتزلة . وأما حكمه في الآخرة فهو تحت مشيئة الله ، إن شاء عفا عنه وغفر له وأدخله الجنة برحمته وفضله ، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه، بعدله وحكمته ثم أدخله الجنة ، والحق أنه لا يخلد في النار خلافا لمذهب المعتزلة والخوارج الذين يحكمون عليه بالخلود في النار(٤).

---

(١) انظر شرح الطحاوية : ص ٥٢٥ ، لوامع الأنوار البهية : ج١ ، ص ٣٦٥ .

(٢) انظر شرح الطحاوية : ص ٤٣٢ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم : ج١ ، ص ٣٣١ .

(٤) انظر لوامع الأنوار البهية : ج١، ص ٣٦٤ ، شرح الطحاوية : ص ٤٣٢ ، معارج القبول : ج٣ / ١٠٣٩-١٠٤٠.

النــــــص :

والكفر إن كان عن جهل الكفور فتكـــ ذيب ككفر قريش حينما مـــردوا

الشرح :

بعد أن أشار الناظم إلى نواقض الإسلام وذكر أن أهل المعاصي لا يكفرون إلا باستحلالهم لها : شرع هنا في ذكر أنواع الكفر الإعتقادي المخرج من الملة، ذلك أن الكفر ينقسم إلى قسمين:

كفر اعتقادي منافي لقول القلب وعمله ، ولأحدهما وهو مخرج من الملة .

كفر عملي ، لا ينافي قول القلب ولا عمله ، ولا يستلزم ذلك وهو كفر أصغر ينـافي كمـال الإيمان، ولا ينافي مطلقه ، وسوف يأتي الحديث عنه .

وأما أنواع الكفر الإعتقادي فقد أشار الناظم في هذا البيت إلى النوع الأول منها وهـو : (كفـر الجهل والتكذيب) وهو ما كان ظاهرا وباطنا ، كغالب كفار قريش ، ومن قبلهم مـن الأمـم ، الذين تكبروا وتجبروا عن قبول الحق ، وذلك لجهلهم وسفاهة عقولهم .

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر:٧٠].

وقال تعالى : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩].

وقال تعـالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٨].

النــــــص :

أو كان عن علمه فهو الجحود ككفـــ ـار اليهود الأولى بالمصطفى جحدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى النوع الثاني من أنواع الكفر ، وهو كفر الجحود.

وهو ما كان بكتمان الحق وعدم الإنقياد له ظاهرا ، مع معرفته والعلم به باطنا ، ككفـر فرعون وملأه بموسى عليه السلام.

قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل:١٤].

وككفر اليهود بمحمد ﷺ قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ [البقرة:٨٩].

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٤٦].

النـــــص :

أو بالإباء مع الإقـــرار فـــهو عنـــا د كالرجيم إذ الأملاك قد ســـجدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى النوع الثالث من أنواع الكفر وهو كفر (العناد والاستكبار) وهو ما كان بعدم الإنقياد للحق مع الإقرار به، ككفر إبليس عندما رفض السجود لســـيدنا آدم عليه السلام .

قال تعـــالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة:٣٤].

النــــص :

أو أبطن الكفر بالإسلام مســـتتراً فهو النفـــاق فهذي أربـــع تـــرد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى النوع الرابع من أنواع الكفر وهو "كفر النفاق" وهـــو مـــا كان بعدم تصديق القلب وعمله ، مع الإنقياد ظاهراً رئاء الناس ، ككفر ابـــن ســـلول وحزبـــه والذين قال الله تعالى فيـــهم : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة:٨-٩] .

وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون:٣].

وقول الناظم : "فهذي أربع ترد" ؟ إشارة إلى أنوع الكفر الأربعة ، التي ذكرها ، فهي ترد وتقـــع

بين الناس مما يخرجهم عن دائرة التوحيد [١].

النـــــــص :

مقابلات لقول القلب مـــع عمـــل ... منه وقـــول لســان معـــه ينعقـــد
كذا لسائر أعمال الجوارح فاعــــلـــم أربع قابلتها فاستوى العـــدد

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم أنواع الكفر ، شرع هنا في ذكر الأمور الجامعة للإيمان وهي : قـــول القلب وقول اللسان ، وعمل القلب ، وعمل اللسان وسائر الجوارح ، كما سبق أن بينا ذلك.

فذكر أن أنواع الكفر الأربعة معاكسة ومضادة لهذه الأمور الأربعة الجامعة للإيمان ، أو لمستلزمات الإيمان الأربع .

وقول الناظم : "فاستوى العدد" يقصد به المماثلة في العدد، فكما أن للكفر أربـــع أنـــواع فإنـــه للإيمان أربعة لوازم، فتساوى عدد الأنواع، وعدد المستلزمات ، وإن كانت متضادة ومتعاكســـة في المعنى[٢].

المبحث الثالث عشر

(باب شرك دون شرك وكفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسوق دون فسوق ونفاق دون نفاق)

النـــــــص :

والشرك قد جاء منه أصغر وهـــو الـ ... رياء ممن سوى الرحمن مـــا عبـــدوا
كمـــن يصلـــي لـــربي ثم زينـــــها ... لمـــا يـــرى أن إليـــه نـــاظر أحـــد

(١) أشار الناظم إلى أن الكفر أربعة أنواع فقط وقد ذكر ابن القيم نوعاً خامساً وهو كفر الشك ، وهو كفر الظن أي الـتردد بين التصديق والتكذيب ، كما ذكره شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب . انظر: مدارج الســالكين: ج١ ، ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، وكتاب مجموعة التوحيد ص ١٠ .

(٢) انظر أعلام السنة المنشورة : ١٤٦-١٤٩ ، كتاب مجموعة التوحيد ، ص ١٠ عقيدة المسلمين والـــرد علـــى الملحديـــن والمبتدعين للبليهي، ج١ ، ص ٣٤٤-٣٤٦ .

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم إلى القسم الثاني من أقسام الشرك وهو الشرك الأصغر[١].

فيقول إن من أنواع الشرك الأصغر الرياء الذي يصدر عن بعض الموحدين الذين لا يعبدون إلا الله، إلا أن بعض أعمالهم قد يخالطه الرياء .

تعريف الرياء لغة : رائيت الرجل مراءاة ورياء، أي أريته أنني على خلاف ما أنا عليه .

وهو مصدر من راأي يرائي مراءة عمل عملاً ليراه الناس[٢].

الرياء شرعاً : ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه [٣].

قال الحافظ بن حجر : وهو مشتق من الرؤية ، والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها[٤] ويدخل في الرياء من عمل العمل ليسمعه الناس ، ويقال له مسمع .

قال رسول الله ﷺ : (من سمع سمع الله به ، ومن يرائي يرائي الله به) [٥].

والفرق بين الرياء والسمعة أن الرياء لما يرى من العمل كالصلاة، والسمعة لما يسمع كالقراءة والوعظ والذكر، ويدخل في ذلك الحديث بما عمله . قال تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠] .

والرياء خلق ذميم وهو من صفات المنافقين .

قال تعالى : ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء:١٤٢].

والرياء من الشرك الأصغر ، وهو وإن لم يكن مخرجاً من الملة، إلا أنه منقصاً لثواب العمل، وربما أحبط العمل بالكلية إن زاد وغلب.

---

(١) أما القسم الأول وهو الشرك الأكبر فقد سبق ذكره، والفرق بينهما أن الأكبر مخرج من الملة، والأصغر غير مخرج من الملة ولكنه ينقص ثواب العمل، وقد يحبطه إن غلب وزاد.

(٢) انظر لسان العرب: ج٤ ، ص ٢٩٦ ، والقول المفيد، ص ٢٧٦ .

(٣) انظر التعريفات للجرجاني : ص ١١٣ .

(٤) انظر فتح الباري : ج١١ ، ص ٣٣٦ .

(٥) البخاري في الرقاق باب الرياء والسمعة ج٥/ص ٢٣٨٣ – ٢٣٨٤ ، ح ٦١٣٤ ، مسلم في الزهد : باب تحريم الرياء ص ١١٩٦ ، ح ١٩٨٧ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال (**قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**) (١).

وقول الناظم : كمن يصلي لربي ثم زينها . . . الخ

إشارة إلى قول الرسول ﷺ (**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال قالوا: بلى ، قال: الشرك الخفي ، يقوم الرجل فيصلي ويزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه**)(٢)

فالشرك الأصغر قسمان :

– شرك جلي – شرك خفي :

فالجلي : ما كان بالقول مثل : الحلف بغير الله ، أو قول ما شاء الله وشئت، أو بالفعل مثل الانحناء لغير الله تعظيماً.

والخفي : ما كان في القلب مثل الرياء ، لأنه لا يبين ولا يعلمه إلا الله ، لأنه يعلم السر وأخفى.

والعلة ، في كون صلاة هذا المصلي شرك مع أنه يصلي لله تعالى ، أنه حسن هذه الصلاة وأتم ركوعها وسجودها واطمأن فيها ليراه هذا الرجل، فيمدحه بلسانه أو يعظمه بقلبه وهذا شرك.

(حكم العبادة إذا خالطها الرياء).

١) أن يكون الباعث على العبادة مراءاة الناس ولم يقصد وجه الله ، فهذا شرك والعبادة حابطة وذلك كحال المنافقين الذين قال الله فيهم ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:١٤٢].

فهذا هو الرياء المحض وهو لا يكاد يصدر من مؤمن بالله وباليوم الآخر، في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج، أو غيرهما من الأعمال الظاهرة ، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم في أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت والعقوبة من الله تعالى.

٢) أن يكون أصل العمل لله وشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله فعمله باطل مردود عليه كما

---

(١) مسلم في الزهد باب تحريم الرياء ص ١١٩٦ ح ٢٩٨٥ .

(٢) مسند أحمد ج٣ ، ص ٣٠ ، وابن ماجه في الزهد ، باب الرياء والسمعة ج٢ حديث رقم ١٤٠٦ قال في الزوائد إسناده حسن ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج٤ ص ٣٢٩ وصححه .

قال تعالى في الحديث القدسي (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه).

وإن شارك الرياء العبادة في أثنائها بمعنى أن أصلها كان لله ثم طرأ عليه الرياء ، فإن كانت العبادة لا يبنى أولها على آخرها فأولها صحيح بكل حال والباطل آخرها.

مثال ذلك : رجل عنده ألف ريال أعدها للصدقة ، فتصدق بنصفه مخلصاً لله وراءى في الباقي فالنصف الذي أخلص فيه لله يكون صحيحاً ، والنصف الذي طرأ على نيته فيه الرياء فهو باطل مردود عليه.

وأما إذا كانت العبادة يبنى آخرها على أولها فهي على حالين :

١/ أن يدافع الرياء ولا يسكن إليه بل يعرض عنه ويكرهه فإنه لا يؤثر عليه شيئاً، لقول النبي ﷺ (إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم) (١).

مثال ذلك رجل قام يصلي ركعتين مخلصاً لله، وفي الركعة الثانية طرأ عليه الرياء فصار يدافعه فإن ذلك لا يضره ولا يؤثر على صلاته شيئاً.

٢/ أن يطمئن إلى هذا الرياء ولا يدافعه فعند ذلك تبطل جميع العبادة لأن آخرها بني على أولها مرتبط به . مثال ذلك رجل قام يصلي ركعتين مخلصاً لله، وفي الركعة الثانية طرأ عليه الرياء لإحساسه بشخص ينظر إليه فإن اطمأن لذلك ونظر إليه فتبطل صلاته كلها لارتباط بعضها ببعض.

٣/ ما يطرأ بعد الانتهاء من العبادة فإنه لا يؤثر عليها شيئاً إلا إذا كان فيه عدوان كالمن والأذى بالصدقة ، فإن هذا العدوان يكون إثمه مقابلاً لأجر الصدقة فيبطلها.

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة:٢٦٤]. هذه صورة الرياء التي تقع في العبادة، ونسأل الله أن يجنبنا الوقوع فيها، وأن يجعل كل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم آمين.

النص :

كذلك الحلف بالمخلوق من وثن كذا الأمانة والأباء والولد

---

(١) البخاري في الأيمان والنذور : باب إذا حنث ناسيا ، ص ١٢٧٢ حديث رقم ٦٦٦٤ ، ومسلم في الإيمان : باب تجاوز الله عن حديث النفس ، ص ٧٦ / ح ١٢٧ .

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن من أنواع الشرك الأصغر الحلف بغير الله ، كالحلف بالأوثان والأصنام "اللات والعزى" وكالحلف بالأمانة، والآباء والأولاد، فإن هذا الحلف شرك أصغر ذلك أن الحلف لا يكون إلا بالله وحده.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب يسير في ركب يحلف بأبيه فقال (**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**) (١).

وعن بريرة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (ليس منا من حلف بالأمانة) (٢)

والسر في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده، فمن حلف بغير الله فقد عظم ذلك المحلوف به ، وصرف شيئاً من الأمور الخاصة بالله لغيره، مما يوقعه في الشرك بالله . والقسم بغير الله وإن كان شركاً أصغر إلا أنه يصبح أكبر إن اعتقد الحالف أن المقسم به بمنزلة الله في العظمة.

حكم ما ورد في القرآن من القسم بغير الله :

أما ما ورد في القرآن الكريم من القسم بغير الله كالشمس والقمر والليل والنهار . . . الخ ، فالجواب عن ذلك بما يأتي :

١/ إن فيه حذفاً ، والتقدير ورب الشمس والقمر ونحوه .

٢/ أن هذا من فعل الله تعالى ، والله لا يسأل عما يفعل بل له أن يقسم بما يشاء من مخلوقاته.

٣/ أن القسم بهذه المخلوقات دليل على تعظيمها ورفعة شأنها والمتضمنة للثناء على الله بما تقتضيه من الدلالة على عظمته .

أما نحن فلا نقسم إلا بالله أو صفاته لأننا منهيون عن الحلف بغير الله كما سبق وأن ذكرنا(٣) .

---

(١) البخاري في الأيمان والنذور ، باب لا تحلفوا بآبائكم ج٦ ص ٢٤٤٩ ح ٦٢٧٠ مسلم في الإيمان باب النهي عن الحلف بغير الله ص ٦٧٥ ح ١٦٤٦.

(٢) مسند أحمد ج٥ ص ٣٥٢ وهو حديث صحيح كما ذكر ذلك الإمام الألباني في السلسلة الصحيحة ج١،ح٣٢٥.

(٣) انظر فتح الباري ج١١ ص ٥٣١ – ٥٣٦ .

النـــــص :

وبالشهادة فالساهي يكفر كي | يقر في القلب معناها ويرتصد

المفردات :

يرتصد : الراصد بالشيء الراقب له [(١)].

والمراد أن يستقر ويثبت التوحيد في قلبه ويراقب فلا ينصرف عنه إلى غيره.

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم أن من حلف بغير الله ناسياً ، فإن كفارة ذلك الحلف ، وذلك اليمين غير المتعمد هو الإقرار بشهادة التوحيد المنافية للشرك ليستقر ويثبت معناها في القلب، ويرتصد أي يراقب ذلك المعنى فلا يحاد عنه إلى غيره، ذلك أن من حلف بغير الله فقد ضاهى الكفار في حلفهم باللات والعزى ، فعليه أن يتدارك ذلك الحلف الذي أوقعه في مشابهة الكفار بالإقرار بشهادة التوحيد ، حتى لا يقع في الشرك بالله .

والناظم بهذا البيت يشير إلى حديث رسول الله ﷺ (من حلف فقال : باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله) [(٢)].

ذلك أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به ، فإن كان معتقداً لتعظيمه فهو شرك أكبر، وإن كان مما يجري على اللسان سهواً دون قصد التعظيم فهو شرك أصغر عليه أن يتوب منه بالإقرار بشهادة التوحيد[(٣)].

النـــــص :

ونحو لولا فلان كان كيت وما | شاء الإله وشئت الكل منتقد

وهكذا كل لفظ فيه تسوية | بالله جل ولكن ليس يعتقد

---

(١) انظر القاموس المحيط : ج١ ص ٢٩٤ . لسان العرب : ج٣ ص ١٧٧ .

(٢) البخاري كتاب الأيمان والنذور باب لا يحلف باللات والعزى وبالطواغيت ج٦ / ص ٢٤٥٠ / حديث ٦٢٧٤.

(٣) *انظر فتح المجيد ص ٣٤٥-٣٥٠ ، القول المفيد ص ٣٨٤-٤٠٢، معارج القبول ج١ ٣٩٩-٤٠٠، الدين الخالص ج١ ص ٢٤ ج٢ ص ٢٨٥-٢٨٦.*

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم إلى بعض الألفاظ الشركية التي يقع فيها بعض الناس، وهي من الشرك الأصغر ، وقد تصل إلى الأكبر.

ومن هذه الألفاظ : لولا فلان ، وما شاء الله وشئت.

وأي لفظ من الألفاظ التي فيها تسوية بين الخالق والمخلوق، مثل مالي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك ، وأنا متوكل على الله وعليك .

فهذه الألفاظ إن جرت على اللسان من غير قصد ولا اعتقاد للتسوية بين الخالق والمخلوق فهي شرك أصغر كما أشار الناظم إلى ذلك ، أما إذا اعتقد قائلها التسوية بين الخالق والمخلوق فهي شرك أكبر .

والدليل على ذلك ما ثبت عن الرسول ﷺ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال له ما شاء الله وشئت فقال : أجعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده[١].

---

(١) مسند أحمد ج٥ ، ص ٧٢ ورواه النسائي وصححه أنظر فتح المجيد ص ٣٥٣ – ٣٥٤ .

والسبب في نهي الرسول ﷺ هذا الرجل عن مثل هذا الكلام ، أن هذا الكلام فيه تسوية بين مشيئة الله ومشيئة الرسول ﷺ وهذا شرك، ذلك أن مشيئة الله تعالى سابقة لمشيئة خلقه ومختلفة عنهم والتسوية بينهما من الشرك بالله تعالى ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

النص :

ولانتفاء التساوي جاز ثم مكا ... ن الواو نصاً وأهل العلم ما انتقدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير النظام إلى البديل عن تلك الألفاظ حتى لا يقع قائلها في الشرك.

وذلك البديل هو استبدال حرف الواو بـ (ثم) .

فبدل أن نقول ما شاء الله وشئت ، ونقع في الشرك بالله، نقول : (ما شاء الله ثم شئت) .

وهكذا سائر الألفاظ السابقة ، ذلك أن الواو تدل على التسوية بين المعطوف والمعطوف عليه، أما ثم فهي تدل على الترتيب والتعقيب ، فاستخدامها في مثل هذه العبارة (ما شاء الله ثم شئت) يدل على الترتيب بين مشيئة الخالق ومشيئة المخلوق .

فمشيئة الخالق متقدمة على مشيئة المخلوق.

والناظم بهذا البيت يشير إلى قول الرسول ﷺ (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان؛ ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان)(١).

فاستبدال الواو بـ "ثم" في مثل هذه الألفاظ ثابت بنص رسول الله ﷺ وبإجماع أهل العلم، ذلك أنهم لم ينتقدوا على أحد تلفظه بمثل هذه الألفاظ، لورود النص بها عن رسول الله ﷺ .

وهذا هو اللفظ الجائز ، وإن كان الأفضل منه أن نقول ما شاء الله وحده ، لأنه أكمل في الإخلاص وأبعد عن الشرك.

والبصير العاقل يختار لنفسه أعلى مراتب الكمال، في مقام التوحيد والإخلاص .

---

(١) مسند أحمد ج٥ ، ص ٣٨، وأبو داود ، حديث رقم ٤٩٨٠ ورواه النسائي وصححه أنظر فتح المجيد ص ٣٥٣.

وقد ورد النص بذلك عن رسول الله ﷺ كما في حديث ابن عباس السابق الذكر[١].

النص :

والكفر والظلم فاعلم والفسوق كذا الـ نفاق كل على نوعين قد يرد

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم بعض أنواع الشرك الأصغر ، شرع هنا في بيان أن كلا من : الكفر والظلم والفسوق والنفاق ، ترد في الشرع على نوعين متغايرين، وإن اتحد اللفظ فيهما والمعنى ، ذلك أن منهما ما يكون كفراً منافياً للإيمان بالكلية ، ومخرجاً من الملة ، ومنها ما يكون أصغر، دون ذلك ومنافياً لكمال الإيمان ، ولكنه لا يخرج عن الملة.

النص :

فالكفر بالله معلوم وسمي بالـ كفر القتال لذي الإسلام يعتمد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن الكفر منه ما هو أكبر مخرج عن الملة، وهو الكفر الإعتقادي الذي سبق وأن ذكرنا أنواعه، ومنه ما هو كفر دون ذلك، وهو الكفر العملي الغير مخرج عن الملة ، وهو كل معصية أطلق عليها الشارع إسم الكفر مع بقاء إسم الإيمان على من يفعلها.

ومن ذلك قتال المسلمين بعضهم لبعض، كقول الرسول ﷺ (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)[٢].

وقوله ﷺ (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)[٣].

---

(١) انظر : فتح المجيد ، ص ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، القول المفيد ج٢ ، ص ٤٠٨-٤٢١ ، معارج القبول ج١ ، ص ٤٠٠-٤٠١، فتح الباري ج١١ ، ص ٥٣٩-٥٤١، الدين الخالص ج١ ، ص ٢٢٤-٢٢٥ وج٢ ، ص ٢٨٦-٢٨٧ .

(٢) البخاري كتاب الفتن باب لا ترجعوا بعدي كفار يضرب بعضكم رقاب بعض ج٦ ، ص ٢٥٩٢-٢٥٩٣ / حديث رقم ٦٦٦٦ ومسلم في الإيمان باب لا ترجعوا بعدي كفار يضرب بعضكم رقاب بعض ج١، ص ٥٧-٥٨ ، حديث رقم ٦٥.

(٣) البخاري في الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله ج١ ، ص ٢٦-٢٧، حديث رقم ٤٨ وفي الفتن لا ترجعوا بعدي كفار يضرب بعضكم رقاب بعض ج٦ / ص ٢٥٩٢ ،ومسلم في الإيمان باب قول الرسول ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ص ٥٧ ، حديث ٦٤ .

فقد أطلق النبي ﷺ على قتال المسلمين بعضهم لبعض الكفر، وسمى من يفعل ذلك كافراً مع أن الله تعالى يقول : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾. إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات:٩-١٠].

فقد أثبت الله تعالى لهم الإيمان وأخوة الإيمان ولم ينفها عنهم ، فدل ذلك على أن هذا الكفر العملي دون ذلك الكفر الإعتقادي المخرج من الملة.

النص :

والظلم للشرك وصف ثم أطلق في　　　تظالم الخلق منه الغش والحسد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن من الظلم ما هو شرك مخرج من الملة، من ذلك ظلم الإنسان لنفسه بالشرك بالله تعالى :

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس:١٠٦].

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣] .

ومن النوع الثاني ما يقع في الطلاق من العدوان ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقرة:٢٣١].

ذلك أن الرجل كان يطلق زوجته فإذا قاربت انقضاء العدة راجعها ضرارا لكي لا تذهب إلى غيره ثم يطلقها مرة أخرى، فتعتد ، فإذا شارفت على انتهاء العدة طلقها مرة أخرى لتطول عليها العدة، فنهاهم الله تعالى عن ذلك وتوعدهم عليه فقال : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقرة:٢٣١].

فهو هنا قد ظلم نفسه بمخالفته لأمر الله، لا بوقوعه في الظلم الأكبر الذي هو الشرك بالله فدل ذلك على أن الظلم نوعان : ظلم دون ظلم [1].

ومن أنواع الظلم الأصغر أيضاً ما يقع بين الناس من الغش والحسد ، في تعاملهم مع بعضهم البعض ، فإن هذا أيضاً يعتبر ظلماً، ذلك أن الإنسان يظلم نفسه بوقوعه فيما حرمه الله عليه ،

---

(١) تفسير ابن كثير ج١ / ص ٢٨٨ .

ولا شك أن هذا الظلم دون الظلم الأكبر الذي هو الشرك بالله تعالى .

النـــــص :

والفسق في وصف إبليس اللعين أتى | وقاذف ما عن الإســـلام يبعد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن من الفسوق ما هو أكبر مخرج من الملة، ومنه ما هو أصغر دون ذلك.

فمثال الفسوق الأكبر حال المنافقين الذين وصفهم الله تعالى بأنهم فاسقون، قال تعـالى :﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة:٦٧].

ذلك أنهم فسقوا فسوقاً أكبر ، وهو الكفر المخرج من الملة، لأنهم لم يقبلوا الإيمان ، و لم يوحـدوا الله تعالى ، بل أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، وذلك فسوق أكبر استحقوا به الخروج مـن ملـة الإسلام. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف:٥٠] . ذلـك أن إبليس وقع بإبائه واستكباره عن الإيمان في الكفر الأكبر المخرج من الملة فاسـتحق أن يصفـه الله بالفسوق وهو الفسوق الأكبر المخرج من الملة .

أما الفسوق الأصغر فمثاله القذف الذي لا يخرج صاحبه عن دائـرة الإسـلام وإنمـا يوقعـه في الفسوق الأصغر. قال تعـالى في القذفـة : ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور:٤]. فوصفهم الله تعالى بالفسوق نتيجة لوقوعهم في القذف الذي حرمه الله ، فاستحقوا بذلك ما وصفهم الله به من الفسوق، ولكن هذا الفسوق دون ذلك الفسوق الأكبر السابق الذكر، فـدل ذلك على أن الفسوق نوعان فسوق دون فسوق .

النـــــص :

كذا النفاق أتـى في الكفـر أقبحـه | وجاء في وصف ذي خلف لما يعـد
أو خاصموا فجروا أو عاهدوا غـدروا | والخائنين ومن إن حدثـوا فنـدوا

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم إلى أن من النفاق ما هو أكبر مخرج عن الملة ، ومنه مـا هـو أصغر دون ذلك .

فمن النفاق الأكبر المخرج عن الملة حال المنافقين الذين وصفهم الله تعالى بأنهم في الدرك الأسفل من النار ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

وقال تعالى : ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ①﴾ [المنافقون:١].

فهؤلاء المنافقون أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، فاستحقوا بذلك الوقوع في الشرك الأكبر المخرج من الملة .

ومثال الفسوق الأصغر ما ذكره رسول الله ﷺ من صفات المنافقين ، ذلك أنهم إذا وعدوا أخلفوا ، وإذا حدثوا كذبوا، وإذا ائتمنوا خانوا الأمانة وأفشوا الأسرار ، وإذا خاصموا فجروا.

فهذه الصفات من أتصف بواحدة منها فقد اتصف بصفة من صفات النفاق، ومن اتصف بها جميعاً كان منافقاً خالصاً، إلا أن هذا النفاق نفاق أصغر دون ذلك النفاق الأكبر المخرج من الملة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان) (١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر) (٢).

هذه الصفات التي ذكرها رسول الله ﷺ هي التي ذكرها الناظم مثالاً للنفاق الأصغر الغير مخرج من الملة (٣).

---

(١) البخاري كتاب الإيمان باب علامة المنافقين ج١ ص ٢١ / ح ٣٣ ، ومسلم كتاب الإيمان باب خصال المنافق ص ٥٦ ح٥٩ .

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة عند البخاري ، ح٣٤ ، ومسلم ص ٥٥-٥٦ كتاب الإيمان باب خصال المنافق ح٥٨.

(٣) انظر فيما سبق أعلام السنة المنشورة ص ١٤٨-١٥٣ ، ومعارج القبول ج٣ / ص ١٠١٩ – ١٠٢٠ .

المبحث الرابع عشر

(باب معنى النصوص التي فيها نفي الإيمان عن مرتكب بعض المعاصي)

سبق وأن بينا حكم عصاة الموحدين من أهل الكبائر ، وبينا أنهم لا يسلبون الإيمان على الإطلاق، ولا يعطونه على الإطلاق ، وإنما هم مؤمنون عصاه أو مؤمنون ناقصوا الإيمان أو فساق بكبيرتهم ، مؤمنون بإيمانهم وأنهم لا يخلدون في النار مهما عظمت ذنوبهم خلافاً للخوارج والمعتزلة كما سبق وأن بينا .

وفي الأبيات التالية يبين الناظم معنى النصوص التي ورد فيها نفي الإيمان عن مرتكب بعض المعاصي.

النص :

وحيث ما نفي الإيمان في الأثر	عمن عصى من التوحيد قد عقدوا
فالمستحل أو المقصود فارقه	إيمانه حالة العصيان يصطعد
أو المراد به نفي الكمال وعن	تفسيرها بعض أهل العلم قد قصدوا
تكون أرهب أما أن نكفره	فقد رددنا على القرآن إذ نجد
أن أثبت الله للجاني الأخوة والإ	يمان ما قال فيه كافر وعدو

الشرح :

في هذه الأبيات يشير الناظم إلى معنى النصوص التي ورد فيها نفي الإيمان عن مرتكبي بعض المعاصي من أهل التوحيد ، ومن هذه النصوص قال الرسول ﷺ **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)** (١).

فما معنى نفي الإيمان عن كل من الزاني والسارق وشارب الخمر الوارد في هذا الحديث هل هو من باب نفي الإيمان بالكلية ؟ أم ماذا ؟ ذلك ما يوضحه لنا الناظم حيث يقول إن نفي الإيمان عن هؤلاء العصاة في مثل هذا الحديث يكون بحسب ما يعتقده هذا العاصي.

فإن كان هذا الزاني أو الشارب أو السارق، مستحلاً لهذه المعاصي، فهو كافر كفراً أكبر مخرجاً من الملة، وفي هذه الحالة ينفي عنه مطلق الإيمان بالكلية بل إنه يكفر وإن لم يفعلها مادام قد

(١) البخاري كتاب الأشربة ج٥، ص ٢١٢٠، حديث ٥٢٥٦ .

استحلها.

أما إذا كان غير مستحل لها فإنه عند ذلك لا يخرج عن ا لتوحيد وبذلك لا ينفي عنه الإيمان بالكلية وإنما يكون نفي الإيمان الوارد بالنص وما شابهه له معنيان :

١) أن يكون معني ذلك أن الإيمان فارقه حال ارتكابه تلك المعاصي ثم يعود إليه بعد ذلك .

٢) أو أن يكون المراد بذلك نفي كمال الإيمان لا نفي مطلقه، ثم يقول الناظم إن أهل العلم قد ذهبوا إلى هذين المعنيين.

وإن تفسير هذه النصوص بهذا المعنى أفضل وأعظم من أن تكفر هؤلاء العصاة كما فعل الخوارج لأننا إن كفرناهم فإننا عند ذلك نرد على القرآن الكريم ونغالطه، والعياذ بالله.

ذلك إننا نجد في القرآن الكريم أن الله تعالى قد أثبت للجناة من أهل التوحيد والإيمان أخوة الإيمان و لم يقل عنهم ألهم كفار أو أعداء لنا.

كما قال تعالى : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾. إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝﴾ [الحجرات:٩-١٠].

وقال تعالى في آية القصاص :

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة:١٧٨]

ففي هاتين الآيتين أثبت الله تعالى للقاتل الإيمان وأخوة الإيمان و لم ينفها عنه مع أن الرسول ﷺ يقول (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) [١] ويقول أيضاً (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) [٢]

فقد عد الرسول ﷺ القاتل كافراً ، إلا أن هذا الكفر كفر أصغر دون ذلك الكفر الإعتقادي المخرج من الملة ، لذلك أثبت الله تعالى للقاتل الإيمان وأخوة الإيمان ، و لم ينفها عنه أو يعتبره عدواً للمسلمين فدل ذلك على أنه كفر أصغر لا يخرجه من الإيمان إذ لو كان أكبر لما أثبت الله له الإيمان وأخوة الإيمان.

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٧٨ .

(٢) سبق تخريجه ٢٧٨ .

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ. (ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ، قلت وإن زنى ، وإن سرق قال: وإن زنى وإن سرق ، ثلاثاً ، ثم قال في الرابعة رغم أنف أبي ذر) [(١)].

فهذا الحديث يدل على أن حديث (لا يزني الزاني . . . الخ) لا ينفي عن السارق والزاني والشارب مطلق الإيمان بالكلية مع التوحيد، لأنه لو أراد ذلك لم يخبر بأن من مات على التوحيد دخل الجنة وإن فعل تلك المعاصي .

وإنما أراد بذلك نقص إيمانه ونفي كماله، أو مفارقته له حال اقترافه لتلك المعاصي ، و لم يرد تكفيره ونفي مطلق الإيمان عنه .

قال الإمام النووي رحمه الله بعد أن ذكر حديث "لا يزني الزاني" هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه ، فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان.

ثم ذكر بعض الأقوال في معنى نفي الإيمان الوارد في هذا الحديث ومنها :

١)أن معناه ينزع منه اسم المدح الذي يسمى به الله أولياء الله المؤمنين ويستحق اسم الذم فيقال: زان، وسارق ، وفاجر ، وفاسق .

٢) أن معناه ينزع منه نور الإيمان .

٣) أن معناه ينزع منه بصيرته في طاعة الله تعالى .

٤) ثم ذكر أن من العلماء من قال أن هذا الحديث وما أشبهه يؤمن بها ويمر على ما جاءت ولا يخاض في معناها[(٢)].

---

(١) البخاري في اللباس باب الثياب البيض ج٥ ص ٢١٩٣ حديث ٥٤٨٩ ، ومسلم في الإيمان من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ص ٦٤ ، حديث ٩٤ .

(٢) انظر مسلم بشرح النووي ج١ ص ٤٠١ بتصرف

انظر فيما سبق أعلام السنة المنشورة ص ١٤٩-١٥١ فتح الباري ج١٢ ص ٥٩-٦٠ الكواشف الجلية لمعاني الواسطية ص ٦٧٢ – ٦٧٤ .

المبحث الخامس عشر

(باب التوبة وشروطها)

النـــــص :

وتقبل التوبة اعلم قبل حشرجة الـ ... صـدور من كل ذنب نالـه أحـد
شروطها يا أخي الإقلاع مـع نـدم ... ولا يعـود لـه بـل عنـه يبتعـد
وإن يكن فيه حق لآدمي فتحلـ ... ـل حيث أمكن وليعرض له القـود

المفردات :

القود : القصاص[١].

الشرح :

في هذه الأبيات يشير الناظم إلى ما يكفر جميع الذنوب سواء كـانت شـركاً أكـبر أو أصغر، وسواء كانت كبائر أو صغائر، ألا هو التوبة النصوح.

تعريف التوبة :

لغة : أصل التوبة لغة الرجوع[٢] .

وشرعاً : الرجوع عن الذنب[٣].

قال الإمام السفاريني :

فهي الرجوع عن الذنب بأن يقلع عنه ويندم عليه ، ويعزم على أن لا يعود إليه ، ويرضى الآدمـي عن ظلامته إن تعلقت[٤].

وقد أمر الله تعالى بالتوبة النصوح من سائر الذنوب ، ودعا إليها جميع عباده.

قـال تعـالى : ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ

---

(١) لسان العرب ج٣ ، ص ٣٧٢ .

(٢) المرجع السابق ج١ ص ٢٣٣.

(٣) انظر شرح النووي لمسلم ج١٧، ص ٦٥-٦٦.

(٤) لوامع الأنوار البهية ج١ ص ٣٧١.

ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الزمر:٥٣-٥٤]

وقـال تعـالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [التحريم:٨] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح، اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح) (١).

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها) (٢).

وقد أشار الناظم بقوله (قبل حشرجة الصدور) إلى شرط زمان قبول التوبة، في حق كل فرد من العباد، وهو أن تكون هذه التوبة قبل حشرجة الروح في الصدر ساعة الاحتضار وهو ما يعرف بالغرغرة.

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ [النساء:١٧-١٨]

أما بالنسبة لشرط زمان قبول التوبة في حق عمر الدنيا فقد سبق وأن ذكرنا أنها تنقطع بطلوع الشمس من مغربها.

ثم أشار الناظم بعد ذلك إلى شروط كيفية التوبة وهي كالتالي :

---

(١) البخاري باب التوبة ج٥ ص ٢٣٢٤ – ٢٣٢٥ حديث رقم ٤٩٤٩ ، ومسلم في التوبة بـاب الحض على التوبة ص١٠٩٩ ح ٢٧٤٧ .

(٢) مسلم في التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة ص ١١٠٤ حديث ٢٧٥٩ .

١) الإقلاع عن الذنب.

٢) الندم على ما فات .

٣) العزم على أن لا يعود فيه .

هذا إذا لم يكن في الذنب الذي يريد الإنسان التوبة منه حق لآدمي ، فإن كان فيه حق لآدمي فهناك شرط رابع وأشار إليه الناظم أيضاً وهو :

٤) التحلل من صاحب ذلك الحق إن أمكنه ذلك ، لقول رسول الله ﷺ (من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم) [١].

وقول الناظم (وليعرض له القود)

أي وليعرض عليه أخذ القصاص منه في الدنيا قبل الآخرة [٢].

---

(١) البخاري في المظالم : باب من كانت له مظلمة عند الرجل ج٢ / ص ٨٦٥ / ح ٢٣١٧ وفي الرقاق : باب القصاص يوم القيامة ج٥ / ٢٣٩٤ / ح ٦١٦٨ .

(٢) انظر : لوامع الأنوار البهية: ج١، ص ٣٧١-٣٧٤ : ج٣ ، ص ١٠٤٠ – ١٠٤٧ ، أعلام السنة ، ص ١٦٥-١٦٧ القول المفيد : ج٢ ، ص ٣٦٣ – ٣٦٤ .

المبحث السادس عشر

(حكم السحر والكهانة والتنجيم والتطير والاستسقاء بالأنواء والعين)

النـــــص :

والسحر حق وقوعاً بـــاطل عمـــلاً	فمنه حرز ومنـــه النفـــث والعقـــد
وحكمه الكفر في نص الكتاب أتـــى	وحـــد فاعلـــه بالسـيف يحتصـــد

المفردات :

الحرز: الموضع الحصين ، ويقال أحرزت الشيء أحرزه إحرازاً إذا حفظته وضممته إليـــك، وصنته عن الأخذ[1].

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم رحمه الله إلى عمل من الأعمال التي يفعلها بعض الناس وهـــي من الكفر بالله تعالى ، ومن هذه الأعمال السحر.

تعريف السحر في اللغة :

هو عمل تقرب فيه إلى الشيطان ، وبمعونة منه، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو ســـحر[2]. أو هو كل ما خفي ولطف سببه.

السحر في الشرع :

ينقسم السحر في الشرع إلى قسمين :

القسم الأول : عقد ورقي أي قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيمـــا يريد به ضرر المسحور.

القسم الثاني : أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله وهو ما يسمى عندهـــم

---

(١) لسان العرب ج٥ / ص ٣٣٣ .

(٢) المرجع السابق ج٤ / ص ٣٤٨ .

بالصرف والعطف[1].

أدلة وقوع السحر :

أولاً : من القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف:١١٦].

وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩].

ثانياً : من السنة :

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (**سحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، قالت حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله**) [2].

وقول الناظم رحمه الله (والسحر حق وقوعا)

يريد به الإشارة إلى أن السحر موجود متحقق الوقوع، وأنه حقيقة لا خيال كما يزعم من أنكر حديث عائشة وزعم أنه يطعن في نبوة سيدنا محمد ﷺ .

قال الإمام النووي : (قال الإمام المازري رحمه الله مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة، كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة، لا حقائق لها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه، وذكر أنه مما يتعلم وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به ، وأنه يفرق بين المرء وزوجه ،وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له . . . الخ) [3].

١- قال الإمام ابن حجر رحمه الله لكن محل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب عين أم لا ؟ ممن قال إنه تخيل فقط منع ذلك ومن قال إن له حقيقة اختلفا هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج ويكون نوعاً من الأعراض أو ينتهي إلى الإحالة بحيث يصير الجماد حيواناً مثلاً وعكسه فالذي عليه الجمهور هو الأول وذهبت طائفة قليلة إلى الثاني فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية فمسلم

---

(١) انظر القول المفيد ج٢ / ص ٥، والدين الخالص للسيد محمد صديق البخاري ج٢ / ص ٢٣٠ .

(٢) مسلم في السلام باب السحر / ص ٩٠٠ ح ٢١٨٩ .

(٣) انظر شرح النووي لمسلم ج١٤ / ص ٤٢٤ ، ومعارج القبول ج١ / ص ٤٤٤.

وإن كان بالنظر إلى الواقع فهو محل خلاف . . إلخ [١].

وقول الناظم رحمه الله : (باطل عملا) فيه إشارة إلى بطلان السحر ، وأنه من كبائر الذنوب، وأنه كفر بالله تعالى ، قال تعالى : ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢].

وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة:١٠٢].

قال الإمام النووي: (عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفرا ومنه ما لا يكون كفرا بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر وإلا فلا ، وأما تعلمه وتعليمه فحرام ، فإن كان فيه ما يقتضي الكفر كفر واستتيب منه ولا يقتل وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر) [٢].

مما سبق يتضح لنا أن السحر حقيقة واقعة وله تأثير فمنه من يمرض ومنه ما يأخذ بالعقول ومنه ما يأخذ بالأبصار ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه ولكن تأثيره إنما بقضاء الله وقدره والمقصود أن السحر ليس بمؤثر لذاته نفعا ولا ضرا وإنما يؤثر بقضاء الله وقدره وخلقه وتكوينه لأنه تعالى خالق الخير والشر والسحر من الشرور ولهذا قال تعالى : ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة:١٠٢]. وهو القضاء الكوني القدري فإن الله تعالى لم يأذن بذلك شرعا.

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله (قد ثبت وتقرر من هذا وغيره تحقق السحر وتأثيره بإذن الله بظواهر الآيات والأحاديث وأقوال عامة الصحابة وجماهير العلماء بعدهم رواية ودراية فأما القتل به والأمراض والتفرقة بين المرء وزوجه وأخذه للأبصار فحقيقة لا مكابرة فيها وأما قلب الأعيان كقلب الجماد حيوانا وقلب الحيوان من شكل إلى آخر فليس بمحال في قدرة الله عز وجل ولا غير ممكن فإنه هو الفاعل في الحقيقة وهو الفعال لما يريد فلا مانع من أن يحول الله ذلك عندما يلقي الساحر ما ألقى امتحانا وابتلاء وفتنة لعباده، ولكن الذي أخبرنا الله تعالى به في الواقع من سحرة فرعون في قصتهم مع موسى إنما هو التخييل والأخذ بالأبصار حتى رأوا الحبال والعصي حيات ، فنؤمن بالخبر ونصدقه ولا نتعداه ولا نبدل قولا غير الذي قيل لنا ولا نقول على الله ما لا نعلم[٣].

---

(١) انظر فتح الباري ج١٠ ص ٢٢٢ .

(٢) معارج القبول ج١ ص ٤٢٢ .

(٣) معارج القبول ج١ ص ٤٤٢ .

أنواعه الواردة في النص :

أشار الناظم بقوله (فمنه حرز ومنه النفث والعقد) إلى بعض أنواع السحر وهي :

١.الحرز : وهو عبارة عن كتابات وطلاسم غير مفهومة يعلقها الناس في صدورهم أو يحفظونها معهم أينما ذهبوا معتقدين أنها تذهب عنهم الشر وهو نوع من أنواع السحر وفيه تعلق بغير الله تعالى .

٢.النفث في العقد :

والنفث أقل من التفل لأن التفل لا يكون إلا معه شيء من الريق والنفث شبيه بالنفخ وقيل هو التفل بعينه[1].

والسحرة إذا أرادوا عمل السحر عقدوا الخيوط أي ربطوها ونفثوا على كل عقدة حتى ينعقد كل ما يريدون من السحر.

قال تعالى : ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝﴾ [الفلق:٤].

وقول الناظم (وحكمه الكفر في نص الكتاب أتى) فيه إشارة إلى أن السحر كفر بالله تعالى .

قال تعالى : ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ [البقرة:١٠٢].

وقول الناظم (وحد فاعله بالسيف يحتصد) فيه إشارة إلى حد الساحر وهو القتل بالسيف وذلك جزاءاً لما ارتكبه من الكفر بالله تعالى .

حد الساحر:

قال الشيخ ابن عثيمين : (وأما قتل الساحر فإن كان سحره كفراً قُتل قتل ردة إلا أن يتوب على القول بقبول توبته وهو الصحيح وإن كان سحره دون الكفر قُتل قتل الصائل أي قتل لدفع أذاه وفساده في الأرض)[2] فحد الساحر إذن القتل سواء كان سحره كفراً أو ردة .

النص :

ثم الكهانة كفر والتطير والتنجيم والنوء ممن فيه يعتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم –رحمه الله– إلى أن كلاً من الكهانة وهي : إدعاء علم ا لغيب

---

(١) انظر القول المفيد ج٢ ص ٥٦–٦٥ ، ٩٣–٩٦ ، ١٠٤ ، ١٢٥–١٣٩ والدين الخالص ج٢ ص ٢٤١–١١٦.

(٢) القول المفيد ج٢ ص ١٦ وانظر معارج القبول ج٢ ص ٤٤٩ والدين الخالص ج٢ ص ٢٣٥–٢٣٧ .

عن طريق الاتصال بالشياطين ، والتطير وهو : التشاؤم بمسموع أو مرئي أو معلـــوم، والتنجيــم وهو: تعلم علم النجوم ، واعتقاد تأثيرها ، وادعاء علم الغيب عن طريقها، والنوء وهـــو واحــد الأنواء ، وهي منازل القمر ، وهي ثمان وعشرون منـــزلة، كل منـــزلة لها نجم تدور بمدار السنة ، وقد كان العرب يتفاءلون ببعض هذه النجوم ويتشاءمون ببعضها الآخر.

فكل هذه الأمور كفر بالله تعالى ، إذا ادعى الإنسان علم الغيب بها، أو اعتقد أن تأثيرهـــا بدون إرادة الله تعالى[1] .

والتمائم عبارة عن شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين ، فهذه التمائم فيها نوع مـــن الشرك والتعلق بغير الله شرك.

والتوله شيء يضعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته وهي أيضـــا شرك. قال رسول الله ﷺ (إن الرقى والتمائم والتولة شرك)[2].

فدل هذا الحديث على تحريم سائر التعاليق من غير الكتاب والسنة، أما ما كان من الكتاب والسنة فقد اختلف فيه العلماء كما سبق وأن ذكرنا.

قال الشيخ ابن عثيمين: (إذا كان المعلق من القرآن والأدعية المباحة، والأذكار الـــواردة، فهذه المسألة اختلف فيها السلف رحمهم الله، فمنهم من رخص في ذلك لعموم قوله تعالى :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢].

ولم يذكر الوسيلة التي يتوصل بها إلى الاستشفاء ، بهذا القرآن، فدل على أن كل وســيلة يتوصل بها إلى ذلك فهي جائزة ، كما لو كان القرآن دواءا حسيا . ومنهم من منع ذلك وقـــال : لا يجوز تعليق القرآن للاستشفاء به ، لأن الإستشفاء بالقرآن ورد على صفة معينة وهي القراءة به، بمعنى أنك تقرأ على المريض به ، فلا نتجاوزها ، فلو جعلنا الإستشفاء بالقرآن على صفة لم تـــرد فمعنى ذلك أننا فعلنا سببا غير مشروع.

ولولا الشعور النفسي بأن تعليق القرآن سبب للشفاء لكان انتفاء السبب على هذه الصورة أمرا ظاهرا ، فإن التعليق ليس له علاقة بالمرض ، بخلاف النفث على مكان الألم فإنه يتأثر بذلك.

---

(١) انظر القول المفيد ج٢ ص ٥٦-٦٥ ، ٩٣-٩٦ ، ١٠٤ ، ١٢٥-١٣٩ والدين الخالص ج٢ ص ٢٤١ ، ٩٤-١١٦.

(٢) أحمد ج١ ص ٣٨١ وأبو داود في الطب باب تعليق التمائم ج٥ ص ٢١٢ وابن ماجه في الطب باب تعليق التمـــائم ج٢ ص ١١٦٦ والحاكم في الرقي والتمائم ج٤ ص ٤١٨ وقال صحيح الاسناد على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

ولهذا نقول الأقرب أن يقال : (أنه لا ينبغي أن تعلق الآيات للإستشفاء بها ، لاسيما وأن هذا المعلق قد يفعل أشياء تنافي قدسية القرآن، كالغيبة مثلاً ودخول بيت الخلاء، وأيضاً إذا علق وشعر أن به شفاء استغنى به عن القراءة المشروعة) [١].

النص :

والعين حق وبالمقدور تورثها ... وليغتسل عائن منها لمن يجد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن العين حق، ولها تأثير على الإنسان ولكن تأثيرها لا يكون بذاتها ، وإنما بتقدير الله تعالى ، ثم يوضح الناظم العلاج من العين وهو اغتسال العائن وغسل الإنسان الذي وقعت عليه العين بذلك الماء فإنه يبرأ بإذن الله . قال رسول الله ﷺ : (العين حق) [٢].

وقد ذكر النبي ﷺ علاج العين بغسل العائن واغتسال المريض بذلك الماء ومن ذلك:

عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف (أن أباه حدثه أن النبي ﷺ خرج وساروا معه نحو ماء حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف -وكان أبيض حسن الجسم والجلد- فنظر إليه عامر بن ربيعة فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة ، فلبط -أي صرع وزنا ومعنى- سهل فأتى رسول الله ﷺ فقال: هل تتهمون به من أحد ؟ قالوا عامر بن ربيعة، فدعا عامراً فتغيظ عليه ، فقال : علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت ، ثم قال اغتسل له [٣]. . الحديث) فدل هذا الحديث على أن اغتسال العائن لمن وقعت عليه العين أمر مشروع.

---

(١) انظر القول المفيد ٢٣٢-٢٣٣ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الطب ج٥ ص ٢١٦٧ ح ٥٤٠٨ .

(٣) مالك في الموطأ ج٢ ص ٩٣٩ ، مسند أحمد جـ٣ ص ٤٨٦ ورواه بن ماجه وصححه الألباني أنظر صحيح سنن بن ماجة ج ٢ ص ٢٦٥ .

المبحث السابع عشر

(باب حكم الرقى والتعاليق)

النـــــص :

ثم الرقى إن تكن بالوحي دون تصـــ ـــرف ولا صرف قلب ليس ينتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الرقى وهي القراءة على المريض جـائزة ولا شيء فيها، ولكن بشروط ثلاثة وهي :

١- أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته .

٢- أن تكون بالكلام العربي أو بما يعرف معناه .

٣- أن يعتقد الإنسان أن الرقية لا تؤثر بذاتها وإنما بتقدير الله لها[١].

النـــــص :

وللصحابـة خلـف في تعلـق آ يات الكتـاب وورد للنـبي يـرد

والمنع أولى فأمـا مـا عـداه فـلا خلاف في منعـه إذ فيـه مسـتند

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الصحابة اختلفوا في تعليق شـــيء مـن آيات القرآن الكريم ، أو ورد النبي ﷺ فمنهم من أجاز ذلك ومنهم من منعه ، ويقول بأن المنـع هو الأولى.

أما ما عدا ذلك من الرقى الغير مفهومة والطلاسم والسحر فلا خلاف بينهم في منعـه ، لورود الدليل على ذلك .

قال رسول الله ﷺ : (إن الرقى والتمائم والتولة شرك)[٢].

والمراد بالرقي : الرقي غير المشروعة من الكلام الغير مفهوم والطلاسم، فهي التي توقع في الشرك.

---

(١) القول المفيد ج٢ ص ٦ ، انظر معارج القبول ج٢ / ٤٤٩ والدين الخالص ج٢ ص ٢٣٥-٢٣٧ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٩٢ .

المبحث الثامن عشر

(باب الخلافة ومحبة الصحابة وأهل البيت رضي الله عنهم)

النـــــــص :

ثم الخليفة من بعـــد النبي هـــو الـ صديق أسعد من بالمصطفى ســـعدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن خليفة المسلمين بعد رسول الله ﷺ هـــو أبو بكر الصديق رضي الله عنه[1] وقد ثبتت خلافة أبي بكر الصديق بالنص حيث أن الرســول ﷺ أمره أن يصلي بالناس في مرضه الذي مات منه وتولى أمر الصلاة بالناس مـــن شـــئون الخليفـــة. ويقول أسعد من سعد بصحبة النبي ﷺ وذلك أنه أول من أسلم من الرجال، وناصر الرســول ﷺ وآزره في دعوته ، وكان رفيق دربه في الهجرة وأحب الناس إليه من الرجال. وفضـــائل أبي بكـــر رضي الله عنه كثيرة لا تحصى ، وقد قال الله تعالى عنه : ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ [التوبة:٤٠].

وقال تعالى : ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر:٣٣].

وقال تعـــالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل:١٧-٢١].

وعن أنس رضي الله عنه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : قلت للنبي ﷺ وأنـــا فـــي الغار، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال ما ظنك يـــا أبـــا بكـــر بـــاثنين الله

---

(١) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن مرة التيمي أبو بكر بن أبي قحافة ، ولد بعد الفيل بسنتين وأربعـــة أشهر ، وكان من رؤساء قريش في الجاهلية ، وله أمر الديات ، فلما جاء الإسلام كان أول من أسلم من الرجال وهـــاجر مع رسول الله ﷺ وشهد معه بدراً والمشاهد كلها وكان من أعلم الناس وأزهد الناس وأتقاهم لله جاهد في ســـبيل الله بنفسه وماله، وتولى الخلافة بعد رسول الله ﷺ إجماعاً ، وتوفي رضي الله عنه بعد الرسول ﷺ بسنتين في المدينـــة ، سنة ثلاث عشر لسبع أو ثمان ليال بقين من جماد الآخرة ، وعمره ثلاث وستون سنة ، ودفن مع رســـول الله الله ﷺ . انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ج٣ ص ٢٠٥-٢٣١ والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجـــر العســـقلاني ج٢ ص ٣٤١-٣٤٤ .

ثالثهما) (١) وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : (كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً ، ثم عمر، ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم) (٢).

وقول الرسول ﷺ (لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً) (٣) ..الحديث والأدلة على فضله رضي الله عنه وأرضاه أكثر من أن تحصى في هذا المقام ، وقد ثبتت خلافته رضي الله عنه بالإجماع، ومن الأدلة على ذلك أن الرسول ﷺ عند مرضه أمر أبا بكر أن يصلي بالناس، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : مرض النبي ﷺ فاشتد مرضه، فقال ، (مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت عائشة إنه رجل رقيق ، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس ، قال (مروا أبا بكر فليصل بالناس) فعادت ، فقال، (مروا أبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صواحب يوسف) (٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (بينما أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه ثم استحالت غرباً فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن) (٥).

وقد كانت مدة خلافته رضي الله عنه وأرضاه قصيرة لم تتجاوز العامين ولكنه استطاع خلالها أن يوطد أركان الدولة الإسلامية ويقضي على المرتدين . وقد أوصى بالخلافة من بعده لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه. وطلب من الصحابة إمضاءها حيث اختار لهم من يعلم فيه الصلاح والكفاءة للخلافة فأمضوا وصيته رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب المهاجرين والأنصار ج٣ ص ١٣٣٧ ح ٣٤٥٣ .

(٢) البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب عثمان رضي الله عنه ج٣ ص ١٣٥٢ ح ٣٤٩٤ .

(٣) البخاري في فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً ج٣ ص ١٣٤٠ ح ٣٤٦٤ ومسلم في الفضائل باب فضائل أبو بكر الصديق ص ٩٧١ ح ٢٣٨٢ .

(٤) البخاري في الجماعة والإمامة باب أهل العلم والفضل أحق الإمامة ج١ ص ٢٤٠ ح ٦٤٦ ومسلم في الصلاة باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس ص ١٧٩ ح ٤١٨ .

(٥) البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب المهاجرين والأنصار، ج٣ ص ٣٤٥٣ ومسلم في الفضائل باب فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ص ٩٧٤ ح ٢٣٩٢.

النـــــــص :

وبعده عمــــر الفــاروق ذاك أبـــو حفص له الضد والأعوان قد شـهدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن خليفة المسلمين بعد أبي بكر هو عمر بـــن الخطاب رضي الله عنه [١].

وقد ذكر الناظم في هذا البيت لقبه الفاروق ، وكنيته أبو حفص، وواضح أن الكـــل قــد شهدوا له بالفضل سواء كانوا من أعدائه أو من أنصاره ، وذلك لما له من عظيم الفضل والمكانـــة عند الله وعند الناس.

فضــــــله :

إن فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أكثر من أن تحصى حيث أعز الله به الإســـلام ونصر به الأمة ، وقد ذكر رسول الله ﷺ له كثيراً من الفضائل ومن ذلك :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ قال : (**بينما أنا نـــائم شـــربت – يعني- اللبن حتى أنظر إلى الري يجري في ظفري أو في أظافري ثـــم نـــاولت عمـــر فقالوا يا رسول الله فما أولته ؟ قال : (العلم)** [٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: **سمعت رسول الله ﷺ** يقول : (**بينمـــا أنـــا نـــائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلـــك،**

---

(١) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بـــن لـــؤي بـــن غالب القرشي العدوي، أبو حفص أمير المؤمنين ، ولد بعد الفجار الأعظم بأربع سنين، وكانت إليه السفارة في الجاهليـــة، وكان عند بعثة الرسول ﷺ شديداً على المسلمين، ثم أسلم فكان إسلامه فتحاً على المسلمين وفرجاً لهـــم مـــن بعـــد الضيق، شهد مع رسول الله ﷺ بدراً وغيرها من المشاهد ، وتولى الخلافة بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولقـــب بأمير المؤمنين، توفي شهيداً في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، قتله أبو لؤلؤة المجوسي وعمره آنذاك ثلاث وستون ســـنة، ودفن مع صاحبيه رضي الله عنه وأرضاه ، انظر أسد الغابة ج٣ / ص ٦٤٢ – ٦٧٨ ، والإصابة ج٢ ص ٥١٨.

(٢) البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ج٣ ص ١٣٤٦ ح ٣٤٧٨ ومسلم في الفضـــائل باب فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ص٩٧٤ ح ٢٣٩١ .

وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص اجتره . قالوا فما أولته يا رسـول الله قـال : الدين) (١).

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تدل على فضله رضي الله عنه وأرضاه.

خلافتـــــــه :

تولى الخلافة رضي الله عنه بعد وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ذلك أن أبا بكر كان قد أوصى بالخلافة من بعده له ، لما يعلمه من فضله وقوته في الحق ، وقدرته على تولي هذا الأمر.

ففتح الله على يده البلاد ، وانتشر الإسلام في كثير من البلدان ، كالشام ومصر والعـراق وبـلاد فارس وغيرها . وقد كانت خلافته عزاً للإسلام والمسلمين . واستمرت خلافته عشر سنين وسـتة أشهر، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الراجح، وقد أوصى بأمر الاسـتخلاف إلى سـتة ليختاروا واحداً منهم وهم : عثمان، وعلي ، والزبير ، وطلحة ، وسعد وعبد الرحمن بن عـوف رضي الله عنهم جميعاً . وقد تمت البيعة من بعده لعثمان بن عفان رضي الله عنه.

النــــص :

كذاك عثمان(٢) ذو النورين ثالثـهم بظلمه باء أهل البغـي إذ قصـدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن خليفة المؤمنين الثالث هو عثمان بن عفـان

---

(١) البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ج٣ ص ١٣٤٩ ح ١٣٥٠ .

(٢) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي ، أمير المؤمنين ولد بعد الفيل بأربع سنين علـى الصحيح ، كان من السابقين للإسلام وزوجه النبي ﷺ ابنته رقية ولما ماتت زوجه أختها أم كلثـوم، فلقـب بـذي النورين روى كثيراً من الأحاديث عن رسول الله ﷺ وكان شديد الحياء والحلم بايع عنـه الرسـول ﷺ في بيعـة الرضوان ، شهد له بالجنة على بلوى تصيبه ، وقد جمع القرآن ، مات شهيداً سنة خمس وثلاثين على الصحيح المشـهور ، وكانت خلافته أثنتي عشر سنة إلا أثنتي عشر يوماً . انظر أسد الغابة ج٣ ص ٤٧٩-٤٩٢ ، والإصابـة ج٢ ص ٤٦٢ - ٤٦٣ .

رضي الله عنه . الذي مات شهيداً عندما قتله أهل البغي والضلال فقتلوه ظلماً وعدواناً . وقد ثبتت خلافته بالإجماع.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي، كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له، وهو كذلك ثم أستأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوى ثيابه، فدخل عثمان فتحدث فلما خرج قالت عائشة دخل أبو بكر فلم تهش و لم تباله، ثم دخل عمر فلم تهش و لم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة؟) (١).

ومن ذلك أيضاً أن الرسول ﷺ بشره بالجنة على بلوى تصيبه ، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ في حائط من حوائط المدينة . . . الحديث ، وفيه ثم استفتح رجل آخر فجلس النبي ﷺ فقال : افتح وبشره بالجنة على بلوى تكون ، قال فذهبت فإذا هو عثمان بن عفان ففتحت وبشرته بالجنة وقلت الذي قال، فقال اللهم صبرا أو الله المستعان(٢).

النص :

كذا علي أبو السبطين رابعهم   بالحق معتضد للكفر مضطهد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن خليفة المسلمين الرابع هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٣) وكنيته أبو السبطين، وهما إبناه الحسن والحسين رضي الله عنهما ويصفه رضي

---

(١) رواه مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل عثمان رضي الله عنه ص ٩٧٧ ح ٢٤٠١ .

(٢) رواه مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل عثمان رضي الله عنه ص ٩٧٧ ح ٢٤٠٣ .

(٣) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الهاشمي ولد قبل الهجرة بعشر سنين ، ابن عم الرسول ﷺ وزوج ابنته فاطمة ، هو أول الصبيان إسلاما في قول كثير من العلماء ، هاجر إلى المدينة وشهد مع الرسول ﷺ بدرا وأحدا والمشاهد كلها ، إلا تبوك فإن الرسول ﷺ خلفه في أهله ، أعطاه الرسول ﷺ اللواء في مواطن كثيرة ، وآخاه الرسول ﷺ مرتين ، كان من الصحابة المكثرين من رواية الحديث ، وهو رابع الخلفاء الراشدين ، مات شهيداً ، قتله عبد الرحمن بن ملجم سنة أربعين للهجرة وعمره سبع وخمسون أو ثمان وخمسون وقد استمرت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ، وقيل أربع سنين وتسعة أشهر ، رضي الله عنه وأرضاه . انظر أسد الغابة ج٣ ص ٥٨٨ — ٦٢٢ والإصابة ج٢ ص ٧٠٥ — ٧١٠ .

الله عنه بأنه متمسك بالحق مضطهد للكفر مبتعد عنه.

ولعلي من الفضائل ما لا يحصى وهي موجودة في كتب السير والتاريخ ، ومن تلك الفضائل أن الرسول ﷺ جعله منه بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعده ، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك ، فقال : يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان ؟ فقال (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي) (١).

وقد شهد له الرسول ﷺ بأنه يحب الله ورسوله حيث قال : (لأعطين الراية غدا رجل يحبه الله ورسوله، أو قال يحب الله ورسوله ، يفتح الله عليه ، فإذا نحن بعلي وما نرجوه فقالوا هذا علي، فأعطاه الرسول ﷺ الراية ففتح الله عليه) (٢).

النص :

فهؤلاء بلا شك خلافتهم بمقتضى النص والإجماع منعقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن هؤلاء الخلفاء الأربعة قد ثبتت خلافتهم بمقتضى النص والإجماع، والنص الذي يشير إليه الناظم -رحمه الله- هو النص العام ، كقول النبي ﷺ : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي) . أما النص من الرسول ﷺ على خلافة أحد بعينه بعده مباشرة فلم تثبت، والنصوص في خلافة أبي بكر رضي الله عنه إشارة إلى أنه هو الأولى، وأما عمر فكانت الوصية من أبي بكر له، وأمضاها الصحابة، وعثمان كان من ضمن من أوصى لهم عمر بالخلافة واختاره الصحابة ، وعلي أيضا كانت خلافته في الفترة ، وهي داخلة في

---

(١) البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ج٣ ح٣٥٠٣ ومسلم في الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب ص ٩٧٩ ح ٢٤٠٢ .

(٢) البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ج ٣ ص ١٣٥٧ – ١٣٥٨ ح ٣٤٩٩ ومسلم في الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ص ٩٨٠ ح ٢٤٠٧ .

عموم قول الرسول ﷺ : (الخلافة بعدي ثلاثون عاما)[1] فخلافة هؤلاء الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم ثابتة بمقتضى نص الرسول ﷺ العام ، وباتفاق الصحابة رضي الله عنهم وإجماعهم .

والناظم بهذا البيت يرد على كل من تسول له نفسه بالتشكيك في أمر الخلافة ، أو أن أحد الخلفاء الراشدين أخذها دون استحقاق ، وفيه أيضا رد على الشيعة الذين يزعمون أن علي بن أبي طالب هو أولى الناس بالخلافة وأن الرسول ﷺ أوصى بها له ، كما اخترع ذلك عبد الله بن سبأ، وما إلى ذلك من افتراءاتهم التي سبق وأن ذكرت .

النص :

وأهل بيت النبي والصحب قاطبة   عنهم نذب وحب القوم نعتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم إلى مذهب أهل السنة والجماعة في أهل بيت النبي وفي الصحابة جميعا، وهو محبتهم والتقرب إلى الله بهذه المحبة ، والدفاع عنهم ضد كل من يتعدى عليهم أو يذكرهم بسوء وقد ذكر الله تعالى فضل أهل بيت النبي ﷺ في كتابه الكريم قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝﴾ [الأحزاب:٣٣]. وقال تعالى : ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦] .

وقد أوصى الرسول ﷺ بأهل بيته خيرا فقال في حديث طويل (وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي . . . الحديث)[2].

---

[1] تخريج حديث الخلافة والحكم عليه: عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (الخلافة ثلاثون عاما ثم يكون بعد ذلك الملك قال سفينة أمسك خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتين وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين وخلافة عثمان رضي الله عنه أثني عشر سنة وخلافة علي رضي الله عنه ست سنين رضي الله عنهم). أخرجه الترمذي وحسنه ج٤ص٥٠٣ ح٢٢٢٦ وأحمد في المسند ج٥ ص٢٢٠ وابن حبان في الصحيح ج١٥ ص٣٥ ح٦٦٥٧ والطبراني في الكبير ج١ص٥٥ ح١٣ وابن أبي عاصم في السنة ج٢ص٥٦٣ ح١١٨١ وعلق الألباني عليه بقوله (حديث صحيح)

[2] البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب علي رضي الله عنه ج٣ ص ١٣٥٧ – ١٣٥٨ ح ٣٤٩٩ ومسلم في الفضائل باب فضائل علي رضي الله عنه ص ٩٨٠ ح ٢٤٠٨.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : خرج رسول الله ﷺ وعليه مرط مرحل[1] من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)[2].

[1] مرط مرحل: الثوب المنقوش لسان العرب ج١١ص٢٧٨.

[2] مسلم في الفضائل باب فضائل أهل البيت ص ٩٨٦ ح ٢٤٢٥.

قال القاضي عياض :

(ومن توقيره ﷺ وبره ، بر آله وذريته ، وأمهات المؤمنين أزواجه ، كما حض عليه ﷺ وسلكه السلف الصالح)(١).

وقال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى : ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى:٢٣].

(ولا ننكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان ، واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض، فخرا وحسبا ونسبا ولاسيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه ، وعلي وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين)(٢).

وكما ذكر الله سبحانه وتعالى فضل أهل البيت بصفة خاصة فقد ذكر فضل الصحابة بصفة عامة، فقال تعالى : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ [التوبة:١٠٠] .

وقال تعالى : ﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨].

وقد ذكر الرسول ﷺ فضل صحابته حيث قال : (خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم .... الحديث)(٣).

وقال أيضا (لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه)(٤).

وقال القاضي عياض : (ومن توقيره وبره ﷺ توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم، وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم . . الخ) . مما سبق يتضح لنا فضل آل البيت والصحابة جميعا ، ووجوب محبتهم وبرهم وتوقيرهم ، ومعاداة كل من يعاديهم أو يمسهم بسوء ، رضي الله عنهم وأرضاهم جميعا.

النص :

والحق في فتنة بين الصحاب جرت هو السكوت وأن الكل مجتهد

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج٢ / ٤٧ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج٣ ص ١٢٢ .

(٣) مسلم كتاب فضائل الصحابة ص ١٠٢٤ ح ٢٥٣٤ .

(٤) مسلم في فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة ص ١٠٢٦ ح ٢٥٤٠ .

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى مذهب أهل السنة والجماعة فيما وقع بين الصحابة رضي الله عنهم من الفتنة بسبب مقتل عثمان رضي الله عنه واختلافهم في أخذ الثأر من قاتليه، فيقول إن المذهب الحق في هذه الفتنة هو التوقف والسكوت حيث أن كلا الفريقين مجتهد ، سواء كان علي وأنصاره، أو معاوية وأنصاره رضي الله عنهم أجمعين والمجتهد كما نعلم أنه إن أصاب فله أجران أجر إصابته وأجر اجتهاده وإن أخطأ فله أجر اجتهاده. وكلا الفريقين كان مجتهداً فله أجر سواء أصاب في اجتهاده أم أخطأ .

قال الإمام النووي : (وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها ، وكلهم عدول رضي الله عنهم ومتأولون في حروبهم وغيرها ، ولم يخرج شيء من ذلك أحد منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم) . . . إلى أن قال : (وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم)(١).

النص :

والنصر أن أبا السبطين كان هو الحـــق من رد هذا قوله فند

الشرح :

لا يزال الناظم -رحمه الله- في هذا البيت يتحدث عن الفتنة التي وقعت بين المسلمين بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وقد بينا مذهب أهل السنة والجماعة في تلك الفتنة وهو السكوت عنها وأن الجميع مجتهدون، والناظم هنا مع تقريره لهذا المذهب فهو يبين أن الحق والنصر كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومن رد هذا القول فكلامه كذب مفترى ، وكأنه بذلك يشير إلى حديث الرسول ﷺ (ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، عمار يدعوهم إلى الله وهم يدعونه إلى النار)(٢).

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي جـ١٥ ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٢) البخاري في الجهاد باب مسح الغبار عن الناس في سبيل الله ج٣ ص ١٠٣٥ ح ٢٦٥٧ .

وذلك أن عماراً رضي الله عنه قتل أثناء قتاله مع علي رضي الله عنه وذلك في معركة صفين(١).

قال الإمام بن حجر :

(وذهب جمهور أهل السنة إلى تصويب من قاتل مع علي لامتثال قوله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ...الآية) ففيها الأمر بقتال الفئة الباغية ، وقد ثبت أن من قاتل علياً كانوا بغاة ، وهؤلاء مع هذا التصويب متفقون على أنه لا يذم واحد من هؤلاء، بل يقولون اجتهدوا فأخطئوا) (٢).

النص :

تبا لرافضة سحقاً لناصبة قبحاً لمارقة ضلوا وما رشدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى بعض الفرق التي ضلت في شأن الخلافة ومحبة آل البيت والصحابة رضي الله عنهم.

فيذكر من هذه الفرق الرافضة وهي إحدى فرق الشيعة ، وقد ضلوا في شأن الخلافة حيث زعموا أن الخلافة من حق علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ورفضوا خلافة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وزعموا أن الرسول ﷺ أوصى بالخلافة لعلي رضي الله عنه ولكن الصحابة حرفوا وصيته ﷺ - وحاشاهم أن يفعلوا ذلك - فهؤلاء الرافضة غالوا في علي رضي الله عنه لدرجة أن بعضهم ألهوه ، كما غالوا في آل البيت وزعموا أنهم يتدينون بحبهم لهم ، وفي المقابل ناصبوا الصحابة العداء وخاصة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وتعرضوا لهم بالسب والإيذاء رغم نهي النبي ﷺ عن سب أحد من أصحابه(٣).

---

(١) انظر الإصابة ج٢ ص ٥١٢ .

(٢) انظر فتح الباري ج ١٣ ص ٦٦ .

(٣) لمعرفة المزيد من افتراءات الروافض انظر : منهاج السنة النبوية وصب العذاب على من سب الأصحاب لمحمود شكري الألوسي، والصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لابن حجر الهيثمي.

ثم ذكر الناظم -رحمه الله- فرقة النواصب والمارقة وهما من فرق الخوارج[1]. الذين خرجوا على علي رضي الله عنه عند قبوله التحكيم ، وناصبوه العداء حتى قتلوه.

وهم يعترفون بخلافة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولكنهم لا يعترفون بخلافة عثمان وعلي رضي الله عنهما ويناصبونهما العداء . والناظم رحمه الله في هذا البيت بين ما هم عليه من الهلاك والخسران نتيجة لانحرافهم عن المنهج الحق ، منهج أهل السنة والجماعة.

المبحث التاسع عشر

(باب وجوب طاعة أولي الأمر)

النص :

ثم الأئمة في المعروف طاعتهم مفروضة وف بالعهد الذي عقدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى وجوب طاعة أولي الأمر كما أمرنا الله سبحانه وتعالى بذلك حيث قال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩].

وقال ﷺ : (اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة) [2].

وقد اختلف العلماء في تفسير أولي الأمر على أربعة أقوال :

١- أنهم الأمراء .

٢- أنهم العلماء .

٣- أنهم أصحاب النبي ﷺ .

٤- أنهم أبو بكر وعمر .

---

(١) انظر فرق معاصرة وموقف الإسلام منها لغالب بن علي عواجي ج١ ص ٦٨-٦٩ .

(٢) البخاري في الجماعة والإمامة باب إمامة العبد والولي ج١ ص ٢٤٦ ح ٦٦١ .

وأولى هذه الأقوال بالصواب كما قال الطبري في تفسيره: (قول من قال هم الأمراء والولاة لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان طاعة وللمسلمين مصلحة)[١].

النـــــص :

ولا يجوز خروج بالساح عليهـــــم ما أقاموا على السمحاء واقتصدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى وجوب طاعة أولي الأمر وعدم الخروج عليهم وإن جاروا وظلموا وذلك لما في الخروج عليهم من ضرر أعظم من جورهم وظلمهم ، والأدلة على ذلك كثيرة منها :

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : (**دعانا النبي ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان**)[٢].

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : (**ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن عرف برئ ومن أنكر سلم**[٣] **ولكن من رضي وتابع**[٤] **. قالوا أفلا نقاتلهم قال : لا ما صلوا**)[٥].

فهذه الأحاديث واضحة الدلالة في النهي عن الخروج على الأئمة لمجرد جورهم وظلمهم ، وإن كان في خروج الخارجين أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وذلك لأن ما يتولد من الشر بالخروج أكثر من الخير ، وهذا خلاف مقاصد الشريعة التي تهدف إلى تحقيق أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما، ودفع أعظم الضررين باحتمال أخفهما، وقد ثبت تاريخياً أن أكثر الحالات التي خرج فيها

---

(١) انظر جامع الطبري ج٤ ص ١٥٠ .

(٢) البخاري في الفتن باب قول النبي ﷺ وسترون بعدي أموراً تنكرونها ج٦ ص ٢٥٨٨ ح ٦٦٤٧ .

(٣) من عرف برئ: أي من عرف أنكر و لم يشتبه عليه فقد صارت له طريق إلى البراءة من إثمه وعقوبته بأن يغيره بيده أو لسانه فإن عجز فليكره بقلبه.

(٤) من رضي وتابع : معناه أن الإثم والعقوبة على من رضي بهذا المنكر وتابع فيه.

(٥) مسلم في الإمارة باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ص ٧٧٤ ، ح ١٨٥٤.

المسلمون على أئمة الجور أتت بنتائج عكسية، وقد عبر عن هذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : (ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من فساد إزالته) (١).

والنهي عن الخروج على أئمة الجور أمر متفق عليه عند أهل السنة والجماعة ، قال شيخ الإسلام:

والمشهور من مذهب أهل السنة ، أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم ، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة ، فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما) (٢).

النص :

أما إذا أظهروا الكفر البواح فقـــا تلوا أئمة كفـــر حيثمـــا وجـــدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أنه يجوز الخروج على الأئمة في حالة واحدة وهي حالة إظهارهم للكفر الصريح البين، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، والأدلة على ذلك كثيرة منها حديث عبادة بن الصامت السابق ذكره(٣).

والذي يأمرنا فيه الرسول ﷺ بعدم الخروج على الأئمة إلا إذا أظهروا الكفر الواضح البين.

ومن المعروف أن أول الشروط المعتبرة في الإمام كونه مسلماً ، إذ لا يمكن أن تحقق أهداف الدين إلا على يد من يؤمن به ، فإذا كان الإمام كافراً كان الدين في أعظم خطر، فيجب على الأمة عند ذلك تغيير الإمام بالقوة ، وعلى هذا إجماع الأمة وفي هذا المعنى يقول الحافظ بن حجر: (إنه ينعزل بالكفر إجماعاً، فيجب على كل مسلم القيام في ذلك ، فمن قوى على ذلك فله الثواب ومن داهن فعليه الإثم ، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض(٤).

---

(١) انظر منهاج السنة ج٢ ص ٣٩١ .

(٢) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٣) سبق تخريجه ص ٣٠٧ .

(٤) فتح الباري ج١٣ ص ١٢٣ .

وقال أيضا في شرحه لحديث عبادة بن الصامت (وإذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها كما في الحديث [١].

المبحث العشرون

(باب وجوب النصيحة في الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

النص :

ثم النصيحة قل فرض بكل معا · نبها هي الدين فاعلم إذ هي العمد

لله والرسول والقرآن ثم ولا · ة الأمر ثم عموم المسلمين هدوا

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم -رحمه الله- إلى وجوب النصيحة ويقرر أنها من أعمدة الدين الإسلامي، وهي إنما تكون لله وللرسول وللقرآن ولأئمة المسلمين وعامتهم، كما أخبر الرسول ﷺ بذلك، كما في حديث تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (الدين النصيحة) قلنا لمن ؟ قال (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) [٢].

ومن النصيحة لله الإيمان به ونفي الشريك عنه وترك الإلحاد في صفاته، ووصفه بصفاة الكمال والجلال كلها، وتنـزيهه عن جميع النقائض، والقيام بطاعته واجتناب معصيته والحب فيه والبغض فيه، ومن النصيحة لكتابه الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنـزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته والتصديق بما فيه، والوقوف عند أحكامه، والعمل بمحكمه والتسليم بمتاشبهه، ومن النصيحة لرسوله تصديقه، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حيا وميتا، ومعاداة من عاداه، وموالاة من ولاه، وإعظام حقه، وتوقيره، وإحياء سنته، ونشرها والدفاع عنها، وتعلمها وتعليمها، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك.

---

(١) فتح الباري ج١٣ ص ٧ .

(٢) مسلم في الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة ص ٥٤ ح ٥٥ .

ومن النصيحة لأئمه المسلمين، معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتذكيرهم وتنبيههم به حق، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم، ونحو ذلك.

ومن النصيحة لعامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر، فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، وستر عوراتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص ونحو ذلك.[1]

---

[1] انظر: مسلم بشرح النووي ج١ ص ٣٩٦ – ٣٩٨.

النــــــص :

والأمر بالمعروف مع علم به ولعفـــــــ ـــو خذ وأعرض عن الجهـــال يتئدوا

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى ضرورة الأمر بالمعروف ، مع اشتراط العلم بـــه وضرورة العفو والتسامح والإعراض عن الجهال والسفهاء ، وهو بذلك يشير إلى قوله تعالى :﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩].

النــــــص :

كذلك النهي عن نكر ومـــورده قـــول وسخطا إذا لم تستطعه يـــد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى ضرورة النهي عن المنكر ، فإذا رأى الإنســـان منكراً وجب عليه أن يغير ذلك المنكر بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلـــك أضعف الإيمان، وهو بذلك يشير إلى قول الرسول ﷺ : (من رأى منكـــم منكـــراً فليغـــيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) (١).

المبحث الحادي والعشرون

(باب الشرع وأصول الفقه)

النــــــص :

والشــــرع ما أذن الله العظيم بـــه من الكتـــاب وآثـــار التي تـــرد

الشرح :

بعد أن انتهى الناظم -رحمه الله- من سرد عقيدته مستدلاً عليها من الكتاب والســـنة أراد في هذا البيت وما بعده ختم كلامه بالحديث عن الشرع وبيان أحكامه ، والمناسبة بينهما -أي بين العقيدة والشرع- هي أن العقيدة الصحيحة هي الأصل الذي بدأ به الرسول ﷺ دعوته ، وهـــذا الأصل هو الذي تبنى عليه أحكام الشرع وذلك بعد صلاح القلوب ، فالأحكام لا يمكن أن تؤخـــذ

---

(١) مسلم في الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ص ٥١ ح ٤٩ .

إلا بطريق شرعي، فكأن الناظم رحمه الله يريد أن يقول هنا أن ما ذكرته آنفاً من عقائد هي التي تبنى عليها الأحكام الشرعية المأخوذة من الكتاب والسنة ، ثم يبدأ الناظم -رحمه الله- في سرد مقالته فيقول :

(والشرع ما أذن الله العظيم به . . . .) أي أن الشرع هو ما أنزل الله تعالى وحده وأذن به للناس ليعبدوه به ، فليس هناك من يأذن بالدين غير الله تعالى، كما ليس لأحد غيره أن يأذن بالأحكام قليلاً كان أو كثيراً إذ التشريع من حق الله وحده ، قال تعالى : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف:٤٠ ، ٦٧].

حتى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يبلغون إلا ما أذن الله لهم به ، والأدلة القرآنية على ذلك كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [غافر:٧٨].

وقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٦٤]. وهذا الشرع الذي أذن الله به للعباد — وهو أحكام الإسلام المختلفة- أتى لهم بطريقين، الأول طريق الإبلاغ لهم بكلام الله تعالى ، وهذا الكلام هو القرآن الكريم، أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ وأمره بتبليغه للناس والطريق الثاني هو السنة النبوية وذلك أن الله تعالى بعد أن أنزل كتابه على نبيه ﷺ أمره ببيان هذا الكتاب فقال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]. وبيان النبي ﷺ يكون في تقييد مطلقه وتفصيل مجمله وتخصيص عامه ونحو ذلك ولولا بيان النبي ﷺ للقرآن لما أدرك المكلفون بشرائع الإسلام كثيراً من أمور الدين كأداء الصلاة والحج والزكاة وسائر الأحكام التي وردت مجملة في التنزيل .

ومن هنا يتضح لنا مراد الناظم -رحمه الله- من هذا البيت ، فهو يقرر أن الشرع هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وعلى هذا الذي ذكره الناظم إجماع الأمة [١].

---

(١) انظر أصول الفقه للإمام محمد أبو زهرة ، ص ١٠١ .

النـــــص :

مما روى العدل محفوظـــاً ومتصـــلاً   عن مثله صح مرفوعاً بـــه الســند

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أنه ليس كل ما روي عن النبي ﷺ مقبولاً عند العلماء، إذ قد يكون الحديث مكذوباً على النبي صلى الله عليه وسلم بفعل الزنادقة والمبتدعة وأهل الأهواء ، الذين يضعون الأحاديث ليروجوا بها بدعهم وضلالاتهم ، أو قد يكون الحديث معلـــولاً لسوء حفظ الراوي أو لوهمه، أو لاختلاطه إلى غير هذه الآفات التي تعتري الرواة، فلمعرفة ســـنة النبي ﷺ وتمييز صحيحها من سقيمها لابد من الوثوق والتثبت من صحة نسبة الحديث للنـــبي ﷺ بالشروط والضوابط التي قررها العلماء والمحدثون، وأهم هذه الضوابط هي التي ذكرها النـــاظم في هذا البيت، من عدالة الرواة واتصال السند حتى يصل بالحديث إلى النبي ﷺ من غير علة قادحـــة كما هو مقرر في علم أصول الحديث(١).

النـــــص :

والقول والفعـــل والتقرير حيث أتـــى   عن الرســـــول فللتشريع يعتمد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أقسام السنة الثلاثة وهي قول النبي ﷺ وفعلـه وتقريره ، فالقول هو ما تكلم به النبي ﷺ من نهي أو بيان أو موعظـــة ، كقولـــه ﷺ ، (إنمـــا الأعمال بالنيات) (٢).

والفعل هو ما فعله النبي ﷺ وحفظه عنه أصحابه كصفة حجه وصلاته ومنامــــه وقيامـــه وغيره ، والتقرير هو ما رآه النبي ﷺ وسكت عنه ولم يغيره فكل واحد من هذه الأقسام الثلاثـــة (القول، والفعل، والتقرير) حجة في التشريع إذا صحت نسبته للنبي ﷺ .

---

(١) انظر أنظر أصول الفقه للإمام محمد أبو زهرة ص ٩٩ ، وتيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان ص ٣٤-٣٥ .

(٢) البخاري في بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي ج١ ص ٣ ح ١ . ومسلم في الإمارة بـــاب قولـــه ﷺ (إنمـــا الأعمال بالنية) ص ٧٩٢ ح ١٩٠٧.

النــــــــــص :

إلا إذا جـاء برهـان يخصصـــه بالمصطفى أو بشخص فيـه ينفـرد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أنه إذا ثبتت السنة في أي قسم من هذه الأقسام الثلاثة فهي تشريع عام لجميع أفراد الأمة إلا أن يرد نص يخصص هذه السنة للنبي ﷺ دون أمته أو لأحد بعينه من الصحابة دون بقية المسلمين، ومثال اختصاصه ﷺ بشيء دون أمته أنه جاز له أن ينكح أكثر من أربع وهو العدد الذي لا يجوز أن يزيد عليه المسلمون، ومثال اختصاص أحد من الصحابة بشيء دون بقية المسلمين ، ما رواه البراء بن عازب رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ في يوم نحر ، فقال : (لا يذبحن أحدكم حتى يصلي . قال : فقام خالي فقال: يا رسول الله هذا يوم النحر فيه مكروه، وإني عجلت نسكي لأطعم أهل داري أو جيراني. قال فأعد ذبحاً آخر قال يا رسول الله عندي عناق لبن وهي خير من شاتي لحم أفأذبحها ؟ قال نعم وهي خير نسيكتك ولا تجزي جذعة بعدك) (1).

النــــــــص :

والأصل في الأمر فاعلم للوجوب فلا يصار للندب إذ لا صـارف يـرد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أنه إذا جاء أمر من الشارع سبحانه وتعالى فهو للوجوب ، لأن الأمر وضع أصلاً له، ومثال ذلك :

قوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣]. فهذه الآيـة وأشـباهها تقتضـي الوجوب ، فإذا جاء في الأمر قرينة واضحة تصرفه عن الوجوب إلى الندب صرفناه إليـه كقولـه تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ [النور:٣٣].

(١) الترمذي في الأضاحي باب ما جاء في الذبح بعد الصلاة ح ١٥٠٨ ، وقال (هذا حديث حسن صحيح والعمل على هـذا عند أكثر أهل العلم وأن لا يضحى بالمصر حتى يصلي الإمام).

وإن لم تكن هناك قرينة تصرف الأمر عن الوجوب بقي على الوجه الذي وضع له وليس قول الناظم -رحمه الله- -فلا يصار للندب- حصر للوجوه التي ينصرف الأمر إليها ، إذ أن الوجوه التي تصرف إليها صيغة الأمر غير الوجوب والندب كثيرة منها (١):

الإرشاد للأوفق كقوله تعالى : ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ [البقرة:٢٨٢].

والإباحة كقوله تعالى : ﴿ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة:٤].

والإكرام كقوله تعالى : ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر:٤٦].

والامتنان كقوله تعالى : ﴿ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام:١٤٢] .

والإهانة كقوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان:٤٩] .

والتسوية كقوله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ ﴾ [الطور:١٦] .

والتعجب كقوله تعالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ [مريم:٣٨] .

والتكوين وكمال القدرة كقوله تعالى : ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة:١١٧] .

والاحتقار كقوله تعالى : ﴿ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ [يونس:٨٠] .

والإخبار كقوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾ [التوبة:٨٢] .

والتهديد كقوله تعالى : ﴿ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ﴾ [فصلت:٤٠] .

والتعجيز كقوله تعالى : ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٣] .

والتسخير كقوله تعالى : ﴿ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة:٦٥] .

النـــص :

والنهي للحظر إذ لا نص يصرفـــه   إلى الكراهـــة هذا الحق يعتقـــد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الحال مع النهي كالحال مع الأمر، فإذا جاء نهي فهو للحظر والتحريم كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ [الإسراء:٣٢] . فهذه الآية وأمثالها تقتضي التحريم، فإن جاء في النهي قرينة واضحة تصرفه عن التحريم إلى الكراهة صرفناه كقوله تعالى : ﴿ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ [الجمعة:٩]. وإن لم تكن هناك قرينة تصرف النهي عن الحظر بقي على الوجه الـــذي

---

(١) انظر الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ج٢ ص ١٥٩ — ١٦١ .

وضع له، وليس قول الناظم -رحمه الله- (يصرفه إلى الكراهة) حصرا للوجوه التي ينصرف النهي إليها إذ أن الوجوه التي تصرف إليها صيغة النهي - غير الحظر والكراهة متعددة منها [(١)]:

التحقير كقوله تعالى :﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ [طه:١٣١] .

وبيان العاقبة كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا ﴾ [إبراهيم:٤٢] .

واليأس كقوله تعالى : ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ﴾ [التحريم:٧].

والإرشاد كقوله تعالى : ﴿ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ ﴾ [المائدة:١٠١].

النص :

ومستوي الطرفين ادع المباح فلا يلام في فعله أو تركه أحد

الشرح :

يتحدث الناظم -رحمه الله- عن المباح فيقول : (ومستوى الطرفين أدع المباح) والمباح هو: (ما خير الشارع المكلف بين فعله وتركه ، ولا مدح ولا ذم على الفعل والترك) ويقال له الحلال[(٢)].

وتعرف الإباحة بأمور منها :

١- النص من الشارع بحل الشيء ، كقوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ [المائدة:٥].

٢- النص من الشارع على نفي الإثم أو الجناح أو الحرج، فمن الأول قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة:١٧٣].

ومن الثاني قوله تعالى : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ [البقرة:٢٣٥].

ومن الثالث قوله تعالى:﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ ﴾ [النور:٦١].

---

(١) انظر الإحكام ج٢ ص ٢٠٨-٢١٦ والوجيز في أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان ص ٣٠١-٣٠٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٧ .

٣- التعبير بصيغة الأمر مع وجود قرينة صارفة عن الوجوب إلى الإباحة كقوله تعالى :﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ [المائدة:٢]. أي إذا حللتم من إحرام الحج فالصيد مباح لكم.

٤- استصحاب الإباحة الأصلية للأشياء ، بناء على أن الأصل فيها الإباحة[١].

النص :

وما به ينتفي حكم فمانعه وعكسه سبب يدريه مجتهد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى المانع والسبب فيقول أن المانع هو ما رتب الشارع على وجوده عدم وجود الحكم أو عدم السبب أي بطلانه (وهو نوعان) ١- مانع للحكم ٢- مانع للسبب .

وأما السبب فهو عكس المانع هو : (كل أمر جعل الشارع وجوده علامة على وجود الحكم، وعدمه علامة على عدمه) كالزنا لوجوب الحد، والجنون لوجوب الحجر، فإذا انتفى الزنا والجنون انتفى الحد، والحجر[٢].

النص :

والشرط ما رتب الأجزا وصحته عليه أو نفي حكم حين يفتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى الشرط ، فيقول إن الشرط هو (الأمر الذي يتوقف عليه وجود الحكم ، ويلزم من عدمه عدم الحكم ، ولا يلزم من وجوده وجود الحكم[٣].

والفرق بين الشرط والسبب هو أن الشرط إذا وجد لا يستلزم وجوده وجود الحكم ، فلا يلزم من وجود الوضوء الذي هو شرط الصلاة وجوبها ، ولا يلزم من وجود الشاهدين وجود عقد النكاح ووجودهما شرط لصحته ، ولكن لا تصح الصلاة من غير وضوء ولا يصح النكاح من

---

(١) الوجيز في أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان ص ٤٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٣ وأصول الفقه ٥٧ .

(٣) الوجيز في أصول الفقه ص ٥٥ وأصول الفقه ص ٥١-٥٤ .

غير شاهدين ، وأما السبب فإنه يلزم من وجوده وجود الحكم إلا إذا كان لمانع ، فإذا كان وقت الصلاة فقد وجبت الصلاة، وإذا كان رمضان فقد وجب الصوم[١].

النص :

ونافذ وبه اعتد الصحيح كما   نقيضه باطل ليست له عمد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى الصحة والبطلان ، فأفعال المكلفين إذا وقعت مستوفية أركانها وشروطها حكم الشارع بصحتها ، وإذا لم تقع على هذا الوجه حكم الشارع بعدم صحتها أي ببطلانها.

ومعنى صحتها : أنها تترتب عليها آثارها الشرعية فإذا كانت من العبادات برئت ذمة المكلف منها كالصلاة المستوفية لأركانها وشروطها. وإذا كانت من المعاملات كعقود البيع والإجارة والنكاح ترتب على كل عقد الآثار المقررة له شرعا .

ومعنى بطلانها : عدم ترتب الآثار الشرعية عليها ، لأن الآثار الشرعية تترتب على ما استوفى الأركان التي طلبها الشارع، فإن كانت هذه الأفعال من العبادات لم تبرأ ذمة المكلف منها وإن كانت من العقود والتصرفات لم يترتب عليها ما يترتب على الصحة من آثار شرعية[٢].

وقصد الناظم من هذا البيت أن الصحيح ما كان نافذا ويعتد به شرعا، والباطل عكسه ونقيضه وهو ما لا يكون نافذا ولا يعتد به شرعا.

النص :

ثم الوسيلة تعطى حكم غايتها   فرضا وندبا وحظرا عنه يبتعد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الوسائل حكمها حكم الغايات ، فما يتوصل به إلى الفرض فهو فرض وما يتوصل به إلى المندوب فهو مندوب، وما يتوصل به إلى المحظور فهو محظور، فالغاية في الشريعة لا تبرر الوسيلة، بل تدور الوسيلة مع الغاية فرضا وندبا وحظرا ومثال الأول: إقامة العدل وهو فرض ووسيلته تعين القضاة فهو فرض مثله، ومثال

---

(١) أصول الفقه ص ٥٥ والوجيز في أصول الفقه ص ٥٩-٦٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٥ وأصول الفقه ص ٥٩-٦٢ .

الثاني : التصدق على الفقراء فهو مندوب ووسيلته السعي لذلك فهو مندوب مثله، ومثال الثالث : أكل أموال الناس بالباطل فهو حرام ووسيلته الغش مثلاً فهو حرام مثله.

النــــــص :

والرخصة الإذن فــي أصل لمعــذرة وضدهــا عزمة بالأصـــل تنعقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى كل من الرخصة والعزيمة ، فيقول إن الرخصة هي (الإذن في أصل لمعذرة) وهو ما يتفق مع تعريف الأصوليين لها وهو : (إن الرخصة اسم لما أباحه الشارع عند الضرورة تخفيفاً عن المكلفين، ودفعاً للحرج عنهم) ومثال ذلك رخصة الإفطار في شهر رمضان للمسافر والمريض.

والعزيمة ضد ذلك وهي : (اسم لما طلبه الشارع أو أباحه على وجه العموم) فالعزيمة اسم لما هو أصل من الأحكام دون تعلق بالعوارض[1].

النــــــص :

والأصل أن نصوص الشرع محكمة إلا إذا جاء بنقـــل الأصل مستند

الشرح :

في الحديث يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الأصل في النصوص أنها محكمة فلا يجوز العدول عن هذا الكلام إلى النسخ إلا إذا ثبت النسخ بنص آخر ثابت من الكتاب أو السنة.

والمحكم هو : (اللفظ الذي ظهرت دلالته بنفسه على معناه، ظهوراً قوياً، ولا يقبل التأويل ولا النسخ) .

فهو لا يحتمل التأويل لأن وضوح دلالته بلغت حداً ينتفي معها أي احتمال للتأويل، وهو لا يقبل النسخ لأنه يدل على حكم أصلي لا يقبل بطبيعة التبديل والتغيير، أو يقبله بطبيعته ولكن اقترن به ما ينفي احتمال نسخة[2].

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ج١ ص ١٧٦-١٩٧ والوجيز ص ٤٠٥٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٤٦ .

النـــــــص :

وأي نص أتـــى مثـــل يعارضـه   وأمكن الجمع فهو الحـــق معتمـد

الشرح :

في هذا الحديث يشير الناظم -رحمه الله- إلى أنه إذا كان هناك نصان متعارضان من حيث الظاهر فينبغي الجمع بينهما ما أمكن ذلك حتى لا نرد واحداً منها ذلك أن نصوص الشـــريعة لا تتعارض في ذاتها، ومادامت سليمة في أصلها وفهمها ، وذلك لوحدة الشارع الذي قررها وهو الله سبحانه وتعالى .

ومثال ذلك : الحديث الصحيح : (لا عدوى) (١) وقد عارضه من حديث الظاهر أحاديث أخرى كقوله ﷺ (لا يورد ممرض على مصح) (٢) وله أيضاً (فر من المجـــذوم كمـــا تفـــر مـــن الأسد)(٣) والجمع بينهما ممكن إذ أن المراد بنفي العدوى أن شيئاً لا يعدي بطبيعته نفياً لما كـــانت الجاهلية تعتقده من أن الأمراض تعدي بطبيعتها ، من غير إضافـــة إلى الله ، فـــأبطل النـــبي ﷺ اعتقادهم ذلك وأكل مع المجذوم ليبين لهم أن الله هو الذي يمرض ويشفي، ونهاهم عن الدنو منـــه ليبين لهم أن هذا من الأسباب التي أجرى الله العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها ، ففي نهيـــه إثبـــات للأسباب ، وفي فعله إشارة إلى أنها لا تستقل ، بل الله هو الذي إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئاً ، وإن شاء أبقاها فأثرت .

وقد جمع العلماء بين هذه الأحاديث بأقوال أخرى كثيرة (٤).

---

(١) البخاري في الطب باب لا صفر ج ٥ ص ٢١٦١ ح ٥٣٨٧ ، ومسلم في السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامـــة ولا صفر ، ص ٩١٢-٩١٣ ح ٢٢٢٠ .

(٢) البخاري في الطب باب لا هامة ج٥ ص ١١٧٧ ح ٥٤٣٧ .

(٣) البخاري في الطب باب الجذام ج ٥ ص ٢١٥٨ – ٢١٥٩ ح ٥٣٨٠ .

(٤) انظر فتح الباري ج ١٠ ص ١٥٨-١٦٣ .

النـــــص :

وحيث لا ودريت الآخر أقض بـــه   نسخاً لحكم الذي مـــن قبله يرد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أنه إذا لم يمكن الجمع بين النصين المتعارضين من حيث الظاهر ، وعلم النص المتأخر منهما ، كان النص المتقدم منهما منسوخاً بالنص المتأخر.

والنسخ هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه، ويسمى هذا الدليـــل بالناســـخ ويسمى الحكم الأول بالمنسوخ.

وقد وقع النسخ في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ومن هذه المواضع نســـخ التوجـــه إلى بيـــت المقدس في الصلاة إلى التوجـــه إلى البيت الحـــرام وذلك بقولـــه تعـــالـــــى : ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة:١٤٤].

النـــــص :

أولا فرجـــح متى تبـــدو قرائن تـــر   جيح عليهـــا احتوى متن أو السند

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إذا لم يتبين لنا النص المتقدم من النص المتأخر، فعند ذلك لا مناص من ترجيح نص على آخر والترجيح إنما يكون بقرائن في المتن والسند يعرفها أهـــل العلم ، ومثال ذلك ما رواه الإمام البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النـــبي ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم(١) وخالفه ما رواه مسلم حديث ميمونة رضـــي الله عنـــها أن الرســـول تزوجها وهو حلال(٢) فقد رأى العلماء تقديم حديث ميمونة وقالوا بأن المرء أدرى بحاله من غيره.

النـــــص :

والمطلق أحمل على فحـــوى مقيـــده   وخص ما عم بالتخصيص إذا تجـــد

---

(١) البخاري في الاحصار وجزاء الصيد باب تزويج المحرم ج٢ ص ٦٥٨ ح ١٧٤٠ .

(٢) مسلم في النكاح باب تحريم نكاح المحرم وكراهية خطبته ص ٥٥٦ ح ١٤١١ .

الشرح :

وفي هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن المطلق يجب حمله على المقيد. والمطلق هو اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه(١).

والمقيد : هو اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه مع تقييده بوصف من الأوصاف(٢).

وقد اتفق الفقهاء على أنه إذا اتحد الحكم والموضوع فإن المطلق يحمل على المقيد كما في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة:٣].

فإن الدم هنا ذكر مطلقا فيحمل هذا المطلق على المقيد في قوله تعالى : ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام:١٤٥].

فإن الموضوع هنا هو الدم والحكم هو التحريم فيحمل المطلق هنا على المقيد هنا ويكون المحرم هو الدم المسفوح أما الكبد والطحال وهما غير مسفوح فإن التحريم لا يشملها(٣).

(وخص ما عم بالتخصيص إذ تجدوا)

يشير الناظم -رحمه الله- في هذا الشطر إلى أن العام يخصص إذ وجد له مخصص .

والعام :

هو اللفظ الواحد الدال على مسميين فصاعدا مطلقا معا (٤).

والخاص :

هو اللفظ الذي وضع لمعنى واحد على سبيل الإنفراد أي اللفظ الذي يدل على معنى واحد، سواء كان ذلك المعنى جنسا كحيوان ، أم نوعا كإنسان ، وكرجل ، أم كان شخصا كزيد وإبراهيم، فمادام المسمى واحدا فهو الخاص(٥).

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام الآمدي ج٣ ص ٥ .

(٢) الوجيز في أصول الفقه ص ٢٨٤ .

(٣) أصول الفقه ص ١٥١-١٥٢ ، الإحكام ج/٣ ص ٥-١٠ ، والوجيز ص ٢٨٨-٢٩١ .

(٤) الإحكام في أصول الأحكام الآمدي ج٢ / ص ٢١٨ ، وأصول الفقه ص ١٤٠ .

(٥) الإحكام ج/٢ ص ٢١٩ ، وأصول الفقه ص ١٤٠-١٤١ .

ومثال تخصيص العام قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ [البقرة:٢٢١]

فهو عام في النهي عن نكاح جميع المشركات خصصه قوله تعالى :

﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [المائدة:٥]

ولا شك أن الكتابيات من جملة المشركات لقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٠].

النص :

واحظر قدم على داعي إباحته كذا على النفي فالإثبات معتضد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أنه إذا تعارض أمر محظور وأمر مباح فإننا نقدم المحظور على المباح .

فإذا جاء حديثان متعارضان أحدهما يحظر والثاني يبيح، فأننا نقدم الحظر على الإباحة من باب الإحتياط، وكذلك الأمر عند تعارض النفي مع الإثبات، فإذا جاء نص ينفي وآخر يثبت قدمنا المثبت على النافي احتياطا.

النص :

كذا الصريح على المفهوم فاقض به وهكذا فاعتبر إن أنت منتقد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن الحكم الذي دل عليه صريح النص أولى

بالتقديم من الحكم الذي دل عليه مفهوم النص .

النـــــص :

وأي فرع أتت في الأصل علتـــه   أو كان أولى بها فالحكم يطــــرد

الشرح :

في هذا البيت يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن كل حكم جاء معللاً بعلة فـــهذا الحكـــم يطرد في كل ما وجد فيه تلك العلة ، مثل : الخمر، فهي محرمة وعلتها الإسكار وعلى ذلك فكـــل ما أسكر حرام لوجود العلة، والقاعدة الأصولية إن العلة تدور مع المعلول جوداً وعدماً(١).

النـــــص :

ولا تقدم أقاويل الرجـــال على   نص الشريعة كالغالـــين إذ جحدوا

الشرح :

يختم الناظم -رحمه الله- هنا منظومته ، ويرى أن يجعل آخرها وصية للقـــارئ، فينصحـــه بعدم تقديم أقوال الرجال على النصوص الشرعية الثابتة ولا يفعل كما فعل المبتدعة الغالون، وهـــذا الذي قاله الناظم -رحمه الله- قد وقع فيه كثير من أهل ا لأهواء والفرق الضالة، فكم من نـــص صريح تخطوه إلى أقوال أئمتهم الضالين دون نظر أو تأمل، ومن ذلك أن الله تعـــالى قـــد مـــدح أصحاب نبينا محمد ﷺ في محكم التنـــزيل فقال عنـــهم : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾ [الفتح:٢٩] وقال عنهم أيضاً : ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

فجاء الرافضة وكفروا هؤلاء الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه بمجرد أقوال سمعوها من أســـلافهم تدعي أن الصحابة خانوا وصية النبي ﷺ في أمامة علي بن أبي طالب بعد النـــبي ﷺ مباشـــرة، وغيروها لأبي بكر رضي الله عنهما فكفروا بذلك الصحابة فأي ضلال أكبر من هذا حين قدمـــوا أقوال أئمتهم المتهافتة على نصوص الكتاب الصريحة ؟؟.

وهذا الذي فعله المبتدعة في تقديم أقوالهم على النصوص الصريحة ليس قاصراً على فرقة دون فرقـــة ولا جماعة دون جماعة، بل هو عام في جميع الفرق المنتسبة إلى الإسلام مـــن رافضـــة وخـــوارج وجهمية ومعتزلة ومن سلك مسلكهم وإن لم يتسم بأسمائهم وغيرهم، في القديم والحديـــث، و لم

(١) أصول الفقه ص ٢٠٢-٢١٥ .

يسلم من هذا الغلو إلا أهل السنة الذين أتبعوا و لم يبتدعوا، وهم الذين بقوا على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه في العقيدة والعبادة والسلوك والمنهج ، كما أخبر عنهم النبي ﷺ وسماهم الفرقة الناجية .

النص :

ولا تقلد وكن في الحق متبعا   إن اتباعك فلتعلم هو الرشد
إذ لأئمة بالتقليد ما أذنوا   لكن رد المورد العذب الذي وردوا
ولتستعن بفهوم القوم إن لهم   بصائركم بها ينحل منعقد

الشرح :

في هذه الأبيات يحذر الناظم -رحمه الله- من التقليد، ويدعو إلى الإتباع لأن فيه السلامة لدين المرء.

والتقليد هو : (العمل بقول الغير من غير حجة ملزمة)(١)

فالناظم ينهي عن هذا التقليد ويدعو إلى الإتباع ، لأن فيه الخير والرشاد.

ثم يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن أئمة المسلمين لم يأذنوا بالتقليد ونهوا عنه.

ثم يدعو الناظم -رحمه الله- إلى الإستعانة بما قاله الأئمة من آراء في فهم النصوص الشرعية في الأحكام وغيرها ، ورد المورد العذب الذي وردوه واستقوا منه وهو الكتاب والسنة ، مع الاستفادة مما دونوه في مصنفاهم من مسائل ، وذلك لقوة استنباطهم ولامتلاكهم أكثر من غيرهم أدوات الإجتهاد من تفسير وحديث وأصول ولغة ومعرفة بأسرار الشريعة وغوامضها ، وفي التنزيل يقول الله تعالى :

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣].

وقال أيضاً : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١٢٢]

وقال أيضاً : ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝﴾ [النحل:٤٣ والأنبياء ٧]

ولا شك أن الأئمة قد ذللوا الكثير من الصعاب لفهم الشريعة وتبسيطها للناس، فقد قاموا بحفظ حديث الرسول ﷺ فنفوا عنه الكذب والتحريف، كما حفظوا أقوال الصحابة وما كان منهم

---

(١) انظر الإحكام في أصول الأحكام ج/٤ ص ٢٧٧-٢٤٣ ، الوجيز في أصول الفقه ص ٤١٠-٤١٣ .

من اتفاق واختلاف ووقفوا على غريب القرآن والحديث، وعرفوا الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد، فكل هذا الجهد الذي بذله الأئمة لا يمكن أن يتخطاه من أراد التفقه في الدين، بل هو في أمس الحاجة لجهود هؤلاء الأئمة الأعلام والسير على نهجهم وهداهم، كما أوصى الناظم -رحمه الله- بذلك حين قال : (لكن رد المورد العذب الذي وردوا) أي الكتاب والسنة، فهو مدين بالكثير لما بذلوه من جهد في حفظ الشريعة وإبقاء علومها زاهرة نضرة على مر القرون ، فجزاهم الله عن الأمة خير الجزاء .

النص :

وأعلم الأمة الصحب الأولى حضروا ... مواقع الشرع والتنزيل قد شهدوا
أدرى الأنام بتفسير الكتاب وأفعال الرسول وأقوال له ترد

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم -رحمه الله- إلى أن أعلم الأمة بعد نبينا محمد ﷺ هم الصحابة رضوان الله عليهم ، وكيف لا يكونون كذلك وهم الذين عايشوا التنزيل ساعة بساعة، فعلموا أين نزل؟ وكيف نزل؟ وما سبب نزوله؟ وما معنى مفرداته؟ وما مقصوده؟ وهل يظن عاقل أن هناك من يفهم كلام الله أكثر من الذين نزل عليهم وخاطبهم أولاً ، وهم أهل الفصاحة واللسان العربي المبين.

إن فضيلة الصحابة رضوان الله عليهم تكمن في أنهم هم الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، وهم الذين أوكل لهم بعد موته حفظ الدين ونقله إلى من يأتي بعدهم ، وهذا لا يتأتى إلا لمن هيئه الله لهذه المهمة واختاره اختياراً ، وقد قال عنهم الرسول ﷺ : (خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم . . . الحديث) (١)

فالصحابة هم أهل المعرفة بالتنزيل ، كما أنهم أهل المعرفة بالسنة بأقسامها المختلفة، وقد أمروا بأدائها لغيرهم لفهمهم إياها وأمانتهم في نقلها وروايتها .

وهم أعلم الناس بتفسير القرآن وأفعال الرسول ﷺ وأقواله وتقريراته رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٠٣.

النـــــــص :

إجماعهم حجة قطعـــاً وخلفــهموا	لم يعــدة الحــق فليعلمــه مجتــهد
إردد أقاويلهم لنحو النصــوص فمــا	يوافق النص فــهو الحــق معتضــد
ما لم تجد فيــه نصــا قــدم الخلفــا	إذ هم بنص رسول الله قد رشـــدوا

الشرح :

في هذه الأبيات يشير الناظم -رحمه الله- إلى حجية أقوال الصحابة ، فيقــول إن إجمــاع الصحابة حجة قطعية ،أما إذا اختلف صحابيان فيرد قول كل منهما إلى نصوص القرآن والســـنة، فما كان موافقاً لهما فهو الحق، فإن لم نجد نصاً في ذلك فعلينا بسنة الخلفاء الراشدين لأن الرســول ﷺ أمرنا بذلك حيث قال : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعـدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ) (1).

النـــــــص :

فالتــابعون بإحســان فتابعـــــهم	من الأئمــة للحــق المبــين هــدوا
كالسبعة الأنجم الزهر الذين يـــرى	إجماعهم مــالك كــالنص يعتمــد
وابن المبارك والبصري هو الحسن ال	مرضي حقاً وحــاداً هــوا حمــدوا
كذاك سفيان مع سفيان ثم فــتى الأ	وزاع فأعلم ومــن أقرانهــم عــدد
ثم الأئمــة نعمـــان ومالكـــهم	والشافعي أحمـــد في ديننــا عمــد

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم -رحمه الله- الصحابة في الأبيات السابقة شرع في هـــذه الأبيــات في ذكر التابعين وأتباعهم ، فيذكر منهم الأنجم الزهر يعني بهم فقهاء المدينة السبعة وهم :

---

(1) أبو داود في كتاب السنة ح ٤٦٠٧ – وابن ماجة في المقدمة ح ٤٢ وصححه الألباني أنظر صحيح سنن بن ماجـــه ج١ ص ١٣ ومشكاة المصابيح ج ١ ص ٥٨ ح ١٦٥.

سعيد بن المسيب[١] وخارجة بن زيد[٢] والقاسم بن محمد[٣] وأبو بكر بن عبد الرحمن[٤] وعروة بن الزبير[٥] وعبيد الله بن عبد الله[٦] وسليمان بن يسار[٧] وهؤلاء السبعة يرى مالك إجماعهم حجة كالنص. ويذكر الناظم -رحمه الله- أيضاً الإمام عبد الله بن المبارك[٨]، والحسن البصري [٩]،

---

(١) هو أبو محمد سعيد المسيب بن حزن القرشي المخزومي ، ولد في خلافة عمر وسمع عثمان وعلياً وزيد بن ثابت وعائشة وكثيراً من الصحابة ، روى عنه خلق كثير ، توفي سنة أربع وتسعين . انظر : سير أعلام النبلاء ج٤ / ص ٢١٧، وتذكرة الحفاظ ج١ / ص ٥١ .

(٢) هو أبو زيد خارجة بن زيد الأنصاري ، تابعي جليل وفقيه كبير ، لم يكن بالمكثر في الحديث ، روى عن أبيه وعمه يزيد وأسامة بن زيد وغيرهم ، توفي سنة مائة من الهجرة . انظر : سير أعلام النبلاء ج٤ / ص ٤٣٧، وتذكرة الحفاظ ج١ / ص ٥٨.

(٣) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ولد في خلافة علي وتربى في حجر عمته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وتفقه منها وروى عنها، قال مالك عنه : كان من فقهاء هذه الأمة ، توفي سنة سبع ومائة بقديد. انظر: سير أعلام النبلاء ج٥ / ص ٥٣ ، وتذكرة الحفاظ ج١ / ص ٩٦ .

(٤) هو أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، من فقهاء التابعين ويقال له راهب قريش، وكان ضريراً ولد في خلافة عمر رضي الله عنه ، وروى عن أبيه وعمار بن ياسر ، وعائشة ، وأبو هريرة رضي الله عنهم وغيرهم توفي سنة أربع وتسعين بالمدينة . انظر : سير أعلام النبلاء ج٤ / ص ٤١٦ ، وتذكرة الحفاظ ج١ / ص ٥٩ .

(٥) هو أبو عبد الرحمن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشي ، عالم المدينة وفقيهها ، ولد سنة ثلاث وعشرين ، روى عن أمه أسماء وخالته عائشة ، وبها تفقه ، توفي سنة ثلاث وتسعين . انظر : سير أعلام النبلاء ج٤ / ص ٤٢١ ، وحلية الأولياء ج٢ / ص ١٦٧.

(٦) هو أبو عبد الله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الهذلي المدني، مفتي المدينة وعالمها ، ولد في خلافة عمر أو بعدها بقليل روى عن عائشة ، وفاطمة بنت قيس ، وأبي هريرة وغيرهم ، كان ثقة عالماً فقيها كثير الحديث والعلم بالشعر، وقد ذهب بصره ، توفي سنة ثمان وتسعين ، انظر : سير أعلام النبلاء ج١ / ص ١١٦، وحلية الأولياء ج٢ / ص ١٨٨.

(٧) هو أبو أيوب سليمان بن يسار، ولد في خلافة عثمان ، روى عن زيد بن ثابت، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وآخرين توفي سنة سبع ومائة . انظر سير أعلام النبلاء ج٤ / ص ٤٤٤ وتذكرة الحفاظ ج١ / ص ٥٨ .

(٨) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم التركي ثم المروزي ، أحد أتقياء الأمة ومجاهديها، وحفظتها وعلمائها ، وجوادها ، ولد سنة ١١٨ هـ ، وروى عن الأكابر ، وصنف المصنفات الجليلة منها كتاب الزهد والجهاد ، توفي سنة إحدى وثمانين ومائة . انظر : تاريخ بغداد ج١٠ / ص ١٥٢، وسير أعلام النبلاء ج٨ / ص ٣٧٨.

(٩) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار، مولى زيد بن ثابت الأنصاري ، سبيت أمه من ميسان وهي حامل به ، فولدته بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر، رأى عثمان وطلحة والكبار، وروى عن خلق من الصحابة والتابعين ، توفي سنة عشر ومائة . انظر : سير أعلام النبلاء ج٤ / ص ٥٦٣ ، وتذكرة الحفاظ ج١ / ص ٦٦.

وحماد بن سلمه[١] ، وسفيان بن عيينة[٢] ، وسفيان الثوري[٣] ، والأوزاعي[٤] ، ثم ذكر أصحاب المذاهب الأربعة المشهورين وهم أبو حنيفة النعمان[٥]، ومالك بن أنس[٦]، ومحمد بن إدريس الشافعي[٧]، وأحمد بن حنبل رحم الله الجميع[٨].

النص :

وغيرهم من أولي الفتوى الذين لهم	بصائر بضياء الوحي تتقد
أولئك القوم يحيى القلب إن ذكروا	ويذكر الله إن ذكراهموا ترد
أئمة النقل والتفسير ليس لهم	سوى الكتاب ونص المصطفى سند

الشرح :

بعد أن ذكر الناظم –رحمه الله– الأئمة الأعلام المشهورين شرع هنا في ذكر بقية العلماء إجمالا من أئمة الحديث والتفسير الذين تحيي القلوب بذكرهم ويذكر الله حين يذكرون وما ذلك إلا لصلاحهم وورعهم وتقواهم فالناظم رحمه الله يثني عليهم وينوه بصلاحهم ويشيد بالدور الذي قاموا به في حفظ الدين ومنهجهم في إتباع الكتاب والسنة.

النص :

أحبار ملته أنصار سنته	لا يعدلون بها ما قاله أحد
أعلامها نشروا أحكامها نصروا	أعداءها كسروا نقالها نقدوا

---

(١) هو أبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار البصري، روى عن ابن أبي مليكة ، وثابت البناني ، وأبا عمران الجوني وغيرهم ، توفي سنة ١٦٧ هـ ، وهو في الصلاة . انظر : سير أعلام النبلاء ج٧/ ص ٤٤٤، وحلية الأولياء ج٦ / ص ٢٤٩ ، وتذكرة الحفاظ ج١ / ص ٢٠٢.

(٢) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ، الهلالي الكوفي ثم المدني ، من أئمة الحفاظ، ولد سنة ١٠٧هـ، روى عن عمرو بن دينار والزهري وزيد بن أسلم وغيرهم، توفي سنة ثمان وتسعين ومائة . انظر سير أعلام النبلاء ج٨/ص ٤٥٤، وتاريخ بغداد ج٩ / ١٧٤ ، وحلية الأولياء ج٧/ص ٢٧٠.

(٣) هو أبو عبد الله سفيان بن مسروق بن حبيب الثوري الكوفي شيخ الإسلام وإمام الحفاظ والفقهاء والزهاد، ولد سنة ٩٧هـ ، روى عن ستمائة شيخ، اتفق العلماء على أنه أمير المؤمنين في الحديث وتوفي سنة ست وعشرين ومائة . انظر: سير أعلام النبلاء ج٧ ص ٢٢٩ وحلية الأولياء ج٦ ص ٣٥٦ وتاريخ بغداد ج١ ص ١٧٨ .

(٤) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، فقيه الشام وحافظها ، ولد في حياة الصحابة سنة ٨٨هـ ، روى عن عطاء بن أبي رباح وعمرو بن شعيب ، ومكحول ، وقتادة وغيرهم ، توفي سنة سبع وخمسين ومائة . انظر : سير أعلام النبلاء ج٧ / ص ١٠٧ ، وحلية الأولياء ج٦ / ص ١٣٥ ، وتذكرة الحفاظ ج١ / ص ١٧٧٨.

(٥) أبو حنيفة النعمان صاحب المذهب المشهور توفي ١٥٠هـ .أنظر تهذيب التهذيب ج١٠ص٤٠١.

(٦) سبق الحديث عنه في المقدمة ص ٦٧ .

(٧) هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب المشهور توفي عام ٢٠٤هـ المرجع السابق ج٩ص٢٢٥

(٨) هو الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة صاحب المذهب المعروف توفي سنة ٢٤١هـ .انظر سير أعلام النبلاء ج١١ ص١٧٧.

الشرح :

في هذين البيتين يشير الناظم -رحمه الله- إلى صفات أئمة الحق وجهودهم في حفظ الدين ونشر العقيدة، فيقول إنهم علماء الدين، وأنصار السنة ، وإنهم يعظمون سنة الرسول ﷺ ولا يعدلون بها قول أي أحد من الخلق ، وأنهم قاموا بنشر هذه السنة، ونصروا أحكامها ، ودافعوا عنها حين تصدوا لأعدائها ووقفوا في وجوههم وردوا أقوالهم المخالفة لهذه السنة، وقاموا أيضاً بنقد الرجال الذين نقدوا هذه السنة حتى بينوا صحيحها من ضعيفها وذلك بنقد الرجال ومعرفة أحوالهم من العدالة والصدق ، والضبط ، والحفظ وغير ذلك .

النص :

هم الرجوم لسراق الحديث كما   لكل مسترق شهب السما رصد

الشرح :

لا يزال الناظم -رحمه الله- في هذا البيت يتحدث عن صفات هؤلاء الأئمة الأعلام وجهودهم في حفظ السنة فيقول إنهم قد نفوا الكذب والتحريف عن السنة النبوية المطهرة ، وذلك بنقد الأسانيد وتمحيص الرواة ، فميزوا للناس ما صح عن النبي ﷺ عن ما أدخله الوضاعون من أحاديث مختلقة مكذوبة عليه ، فهؤلاء الأئمة كانوا للوضاعين بمثابة الشهب الثاقبة التي تتبع الشياطين فتحرقها قبل استراق السمع.

النص :

بدور تم سوى أن البدور لها   غيبوبة أبداً والنقص مطرد

وهم مدى الدهر مازالت مآثرهم   في جدة والجلاء منذ ما وسدوا

الشرح :

لا يزال الناظم -رحمه الله- هنا يذكر صفات هؤلاء الأئمة العلام فيقول إنهم كالبدور في ليلة تمامها إلا أنهم فاقوا البدور بديمومتهم ، ففي الوقت الذي نرى فيه البدور تنقص أشكالها وتغيب من وقت لآخر ، نجد أكثر هؤلاء الأئمة في تجدد دائم وظهور مستمر لم تغب ذكراهم منذ موتهم إلى اليوم .

النـــــص :

أولئك الملأ الغـر الأُلي مـــلأوا ... الأقطار علما وغير النص ما اعتقـدوا

كل له قـــدم في الديـن راسـخة ... وكلـهم في بيـان الحـق مجتـهد

فإن أصاب له أجـران قـد كمـلا ... والأجر مع خطئـه والعفـو متعـد

الشرح :

لا يزال الناظم -رحمه الله- في هذه الأبيات يتحدث عن هؤلاء الأعلام فيقول إنهم ملئوا أقطار الدنيا علما وفقها، وكل منهم راسخ في دينه حريص على إتباع النص فيما يقول، مجتهد في علمه ، فإن أصاب فله أجران تامان، وإن أخطأ فله أجر واحد وهو موعود بالعفو عن هذا الخطأ، لقوله ﷺ : (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران . وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر) (١) وإنما كان للمصيب أجران لأن له أجر في الاجتهاد وإعمال الفكر، وأجر في إصابته للحق، وأما المخطئ فله أجر واحد وهو أجر الاجتهاد وإعمال الفكر.

والعفو من الله سبحانه وتعالى عن الخطأ كما وعد الله سبحانه وتعالى . . . .

قال ﷺ (إن الله تعالى تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان) (٢)

النـــــص :

والحق ليس بفـرد قـط منحصـرا ... إلا الرسول هو المعصـوم لا أحـد

صلى عليـه إلـه العـرش فـاطره ... مسلما مـا بـأقلام جـرى المـدد

والآل والصحب ثم التـابعين لهـم ... والحمـد لله لا يحصـى لـه عـدد

الشرح :

---

(١) البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ، ج٦ / ص ٢٦٧٦ / ح ٦٩١٩، ومسلم في الأقضية باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ص ٧١٣ ح ١٧١٦.

(٢) سبق تخريجه ص ١٣٦ .

في هذه الأبيات الثلاثة وهي الأخيرة في هذه الجوهرة يشير المؤلف إلى أن الحق لا يعـــرف بالرجال وإن الكمال لله وحده والحق ليس محصورا في أحد من البشر إلا سيد البشر الرســـول ﷺ هو المعصوم بعصمة الله من الخطأ والزلل لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو وحي يوحــــى وكذلـــك رسل الله كلهم معصومون بعصمة الله .

قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

ثم كما بدأها ختمها بالصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله بعدد ما سطرت الأقـــلام وجرى المداد وكذلك آل النبي ﷺ والصحابة والتابعين لهم ثم أثنا على الله سبحانه بما هو أهلـــه على إكمال هذه المنظومة وتقدم في خطبة المؤلف شرحا مفصلا لذلك فليرجع إليه من شاء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد :

فإنني أحمد الله تعالى الذي وفقني لإكمال هذا البحث، الذي تناولت فيه : (الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة) للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي دراسة وتحقيقاً وشرحاً .

وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى بعض النتائج ومنها .

١- عظم قدرة الله سبحانه وتعالى حيث جعل الأبوين الأميين ينجبان حافظاً من الحفاظ وعالماً من علماء الدنيا هو الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي.

٢- فضل الله سبحانه وتعالى على الشيخ حافظ حيث منحه حافظة قوية ، وذكاءاً نادراً مما جعله يتفوق على أقرانه فيصبح معلماً لهم في فترة وجيزة ، بعد أن كان متعلماً معهم ، بل ويؤلف الكتب العلمية العظيمة، التي يستعصي على الكثير من أهل العلم تأليف مثلها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

٣- سعة علم الشيخ حافظ – رحمه الله تعالى- واطلاعه وتبحره في شتى العلوم، ويتضح ذلك من خلال مؤلفاته نظماً ونثراً .

٤- دور الشيخ حافظ رحمه الله في تأصيل العقيدة السلفية في منطقة الجنوب هو وشيخه عبد الله القرعاوي حيث أن لهما أكبر الأثر –بعد الله تعالى – في إخراج الناس من ظلمات الجهل والشرك إلى نور العلم والتوحيد وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة.

وإلى جانب هذه النتائج فإنه لا يفوتني أن أقدم بعض الوصايا والمقترحات التي أرى أنها نافعة في هذا المجال ومنها :

١- أن تقوم جامعات المملكة العربية السعودية بتحقيق ودراسة مؤلفات الشيخ العلامة حافظ بن أحمد ا لحكمي رحمه الله المطبوعة منها والمخطوطة حيث لا يزال قسم منها في أدراج بعض المكتبات مخطوطاً لم يطبع بعد، لأن في الإعتناء بها وطبعها إحياء لتراث عظيم اشتمل على الكثير من الموضوعات العلمية .

٢- أرى أنه لا غنى لطالب العلم في الدراسات العليا وغيرها من مؤلفات الشيخ حافظ بصفة عامة وكتب العقيدة بصفة خاصة ، لما اشتملت عليه من فوائد جمة وعلم غزير، ، ومنهج سليم مستمد من كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد/ وما صح من سنة رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، وفهم السلف الصالح رضوان الله عليهم لتلك النصوص ولذلك فإني أرى أن تقرر تلك المؤلفات للتدريس في الجامعات والدراسات العليا وخاصة كتب العقيدة.

٣- أرى أن تقوم الرئاسة العامة لتعليم البنات بفتح قسم خاص للدراسات العليا في منطقة جازان بجميع فروعها وأقسامها العلمية والأدبية تسهيلاً للطالبات الراغبات في مواصلة الدراسات العليا من عناء السفر والمشقة التي يواجهنها ومن عدم وجود محرم لمرافقتهن إلى المناطق الأخرى لاسيما وأن سفر المرأة بمفردها أمر محظور لا تقره الشريعة الإسلامية الغراء وذلك سوف يشجع الطالبات على مواصلة الدراسة العليا دون عناء أو مشقة ، مع العلم بحاجة المنطقة لمثل هذه الدراسة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

فهرس الآيات القرآنية

مرتباً حسب السور

فهرس الأحاديث

مرتباً حسب الحروف الهجائية

فهرس الآثـــــار

مرتباً حسب الحروف الهجائية

فهرس الأعلام

مرتباً حسب الحروف المعجمية لأسمائهم

فهرس المراجع

القرآن الكريم .

- أسد الغابة في معرفة الصحابة

لعز الدين بن الأثير ، دار الفكر .

- أسماء الله وصفاته

عبد الله بن صالح بن عبد العزيز الغصن ، دار الوطن ، الرياض / ط١ : ١٤١٧هـ .

- أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة

د. عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس – الأردن ، ط٣ : ١٤١٨هـ .

- أشراط الساعة

ليوسف بن عبد الله الوابل ، دار ابن الجوزي ، ط ١٠ : ١٤١٨هـ

- أصول الدين الإسلامي

محمد بن إبراهيم التويجري ، دار العاصمة – الرياض ، ط١ : ١٤١٤هـ

- أصول الفقه

للإمام محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي – القاهرة ، ١٩٧٩م .

- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة .

الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، خرج أحاديثه وعلق عليه : مصطفى أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي ، ط٣ : ١٤١٠ هـ .

- أهوال يوم القيامة

عبد الملك علي الكليب ، مكتبة المعارف – الرياض .

- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة .

حمود بن عبد الله التويجري ، دار الصميعي – الرياض ، ط١ : ١٣٩٦هـ ، ط٢ : ١٤١٤هـ

- اجتماع الجيوش الإسلامية في غزو المعطلة والجهمية

للإمام ابن القيم ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه : بشير محمد عون ، مكتبة المؤيد – الرياض ، ط١ : ١٤١٤هـ .

- اجتماع الجيوش الإسلامية ، للإمام ابن القيم ، مع بيان موقف ابن القيم من بعض الفرق

إعداد وتحقيق : د: عواد عبد الله المعتق ، مكتبة الرشد – الرياض ، ط٢ : ١٤١٥هـ .

- الإيمان أركانه وحقيقته ونواقضه

محمد نعيم ياسين ، دار الندوة الجديدة – بيوت – لبنان

- البداية والنهاية

للإمام جلال الدين السيوطي ، تحقيق : مصطفى عاشور ، مكتبة القرآن القاهرة .

- البدر الطالع للشوكاني

محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة بيروت – الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ

- بغية المرتاد

لشيخ الإسلام أحمد بن عباس ابن تيمية

تحقيق ودراسة : د. موسى بن سليمان الدويش ، مكتبة العلوم والحكم ، ط١: ١٤٠٨هـ

- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية

تصحيح وتكميل وتعليق : محمد بن عبد الرحمن قاسم ، مطبعة الحكومة – مكة المكرمة

ط١ : ١٣٩٢ هـ .

- تاريخ الأمم والملوك

للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر – بيروت ، طبعة ١٣٩٩هـ

- تاريخ بغداد

للحافظ أبي بكر أحمد بن علي البغدادي ، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان .

- تاريخ المذاهب الإسلامية

محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، طبعة ١٩٨٩ هـ

- التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين

للإمام أبي المظفر الإسفرايني ، مطبعة الأنوار ، ط١ : ١٣٥٩هـ .

- التبيان شرح نواقض الإسلام

سليمان بن ناصر العلوان ، دار المسلم – الرياض ، ط٦ : ١٣١١هـ .

- التخويف من النار والتعريف بدار أهل البوار

للحافظ أبي الفرج بن الجوزي ، المكتبة العلمية – بيروت .

- ترتيب القاموس المحيط

للفيروز آبادي ، رتبه الأستاذ الطاهر أحمد الزاوي دار الكتب العلمية ، ط١٣٩٩هـ

- تذكرة الحفاظ

لأبي عبد الله شمس الدين الذهبي، دار احياء التراث العربي بيروت مصورة عن الطبعة الهندية

- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة

للإمام القرطبي ، تحقيق : د. أحمد حجازي السقا، دار الجيل - بيروت - لبنان ، طبعة ١٤٠٦هـ .

- التصوف في تهامة

محمد بن أحمد العقيلي ، دار البلاد - جدة ، ط٢ .

- تعريف الخلف بمنهج السلف

د/ إبراهيم بن محمد البريكان ، دار بن الجوزي - الدمام ، ط١ : ١٤١٨هـ .

- التعليقات على كشف الشبهات

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، تعليق : الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، دار أولي النهي - بيروت ، ط٢ : ١٤١٧هـ .

- التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة ، والرافضة والخوارج والمعتزلة

للإمام محمد بن الطيب الباقلاني ، ضبطه وقدم له وعلق عليه : محمود محمد الخضري ، ومحمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار الفكر العربي - بيروت - لبنان .

- تقسيمات الواجب وأحكامه

د/ مختار بابا آدو ، راجعه ونشره : المحامي أحمد محمد عبد الله الشنقيطي ، ط١ : ١٤١٤هـ

- تفسير القرآن العظيم

للإمام ابن كثير دار المعرفة - بيروت - لبنان ، ط١ : ١٤٠٧ هـ .

- تفسير غريب القرآن

لأبي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١٣٩٨ هـ .

- تفسير المنار

للشيخ محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ط٢ .

- تقريب التهذيب

للإمام أبن حجر العسقلاني تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف – دار المعرفة بيروت لبنان

- تهذيب التهذيب

للإمام أبن حجر السقلاني دار الفكر للطباعة والنشر ط١: ١٤٠٤هـ .

- تيسير مصطلح الحديث

محمود الطحن مكتبة المعارف – الرياض ، ط٩ ١٤١٧هـ .

- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم الموسومة بالكافية الشافية في الانتصار

للفرقة النجية

أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، المكتب الإسلامي – بيروت – لبنان ، ط٣ : ١٤٠٦هـ

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن

للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، مطبعة الحلبي – مصر ، ط٣ ١٣٨٨هـ .

- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير

جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية – بيروت .

- جامع العلوم والحكم

للإمام بن رجب البغدادي الدمشقي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت لبنان ، ط٣ ١٤٢١هـ .

- الجامع لأحكام القرآن

لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، دار إحياء التراث العربي

- حادي الأرواح

للإمام ابن القيم ، قدم له علي السيد صبح المدني ، مكتبة المدني – جدة

- حاشية الروض المربع

لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي ، ط٤ : ١٤١٠هـ .

- حاشية الأصول الثلاثة

بقلم : عبد الرحمن بن محمد النجدي، الإدارة العامة للطبع والترجمة – الرياض، طبعة ١٤١١هـ .

- الحطة في ذكر الصحاح الستة

للسيد صديق حسن خان القنوجي ، دراسة وتحقيق : حسن الحلبي ، دار الجيل – بيروت، ودار عمار – عمان ، ط١ : ١٤٠٨هـ .

- الحور العين

لنشوان الحميري ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي .

- الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن

لأبي الحسن عبد العزيز بن يحيى الكناني ، حققه وعلق عليه : د. علي بن محمد ناصر الفقيهي ، طبعة ١٤١٢ هـ .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء

للحافظ أبي نعيم احمد بن عبد الله الأصفهاني ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل

للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣ : ١٤١١هـ .

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور

للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، لبنان – بيروت ، ط:٢ ، ١٤٠٣هـ .

- درء تعارض العقل والنقل

لشيخ الإسلام أبي العباس بن تيمية ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم .

- دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها

د. ناصر بن عبد الكريم العقل ، مركز الدراسات والإعلام – دار إشبيليا – الرياض ، ط١: ١٤١٨هـ .

- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة)

د. أحمد محمد أحمد جلي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض، ط٢ : ١٤٠٨هـ .

- الديباج المذهب لأبن فرحون

في معرفة أعيان علماء المذهب لبرهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المالكي - دار الكتب العلمية بيروت

- الدين الخالص

السيد محمد صديق النوحي ، ضبطه وصححه وخرج أحاديثه : محمد سالم هاشم دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط٥ : ١٤١٤هـ .

- الرد على الجهمية والزنادقة ، مع مقدمة في علم الكلام والمذاهب الهدامة

للإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق وتعليق : د. عبد الرحمن عميرة ، دار اللواء - الرياض - ط١ : ١٣٩٧هـ وط٢ : ١٤٠٢هـ .

- الرد على القائلين بوحدة الوجود

لعلي بن سلطان قاري ، دراسة وتحقيق : علي رضا بن عبد الله ، دار المأمون - دمشق ط١ : ١٤١٥هـ

- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة

السيد الشريف محمد بن جعفر الكتاني ، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة الثانية .

- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله

راجعة وأعد فهارسه: سيف الدين الكاتب، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان، ط٣: ١٤١٣هـ.

- زاد المسير في علم التفسير - لابن الجوزي - المكتب الإسلامي بيروت، طبعة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م

- سلسلة الأحاديث الصحيحة

محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الرياض ط١: ١٤١٢هـ

- السمط الحاوي لأسلوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي

علي بن قاسم الفيفي ، ط١ : ١٤١١هـ .

- سنن أبي داود

للإمام أبو داود سليمان بن الأشعث- دار الفكر مراجعة وضبط وتعليق محي الدين عبد الحميد.

- سنن النسائي

بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

- سير أعلام النبلاء

للإمام شمس الدين الذهبي ، حققه وضبط نصه وعلق عليه : د. بشار عـــواد معـــروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط١ : ١٤١٧هـ .

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب

عبد الحي بن عماد الحنبلي ، دار الآفاق الجديدة – بيروت – لبنان .

- شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة

سعيد علي القحطاني ، راجعه الشيخ : عبد الله الجبرين ، مؤسسة الجريسي – الريـــاض ، ط٤ : ١٤١٦هـ

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومـــن بعدهم

للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي ، تحقيق : د. احمد بن سعد بـــن حمدان الغامدي ، دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض ، ط١ : ١٤٢٠هـ

- شرح السنة

للإمام البغوي ، تحقيق / زهير الشاويش ، وشعيب الأرنؤوط ، المكتـــب الإســـلامي – بيروت، ط٢ ١٤٠٣هـ

- شرح صحيح مسلم

للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، راجعه فضيلة الشيخ : خليل الميـــس ، دار القلم – بيروت – لبنان .

- شرح العقيدة الطحاوية

لابن أبي العز الحنفي ، حققه ، وعلق عليه ، وخرج أحاديثه ، وقدم له : د. عبد الله بـــن عبد المحسن التركي ، وشعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٢ : ١٤١٣هـ .

- شرح الفقه الأكبر

للإمام السمرقندي ، عني بطبعه ومراجعته : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري .

- شرح القصيدة النونية للإمام ابن القيم

شرحها وحققها : محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط٢: ١٤١٥هـ .

- شرح نواقض التوحيد .

أبي اسامة حسن بن علي العواجي ، مكتبة لينة – دمنهور – مصر ، ط١ : ١٤١٣هـ.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى

للقاضي عياض ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل

للإمام ابن قيم الجوزية ، مكتبة السوادي – جدة ، ط١ : ١٤١٢هـ و ط٢ك ١٤١٥هـ.

- الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها

د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع ، دار أطلس – الرياض ، ط١ : ١٤١٧هـ .

- الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب

أحمد بن علوش مدخلي ، مكتبة الرشد – الرياض ، ط١ : ١٤١٤هـ .

- الشيعة وأهل البيت

إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة – لاهور – باكستان ، ط١٠: ١٤١٥هـ .

- الشيعة والتشيع

إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة – لاهور – باكستان ، ط١٠: ١٤١٥هـ .

- الشيعة والقرآن

إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة – لاهور – باكستان ، ط٧: ١٤١٥هـ .

- صب العذاب على من سب الأصحاب

لمحمود شكري الألوسي ، دراسة وتحقيق : عبد الله البخاري ، مكتبة أضواء السلف – الرياض ط١ : ١٤١٧هـ .

- صحيح أشراط الساعة

مصطفى أبو النصر الشلبي ، مكتبة السوادي – جدة ، ط٢ : ١٤١٨هـ .

- صحيح البخاري

للإمام عبد الله بن إسماعيل البخاري ، ضبطه ورقمه : د. مصطفى ديب البغا دار ابن كثير
- دمشق - بيروت ط٥ : ١٤١٤هـ .

- صحيح الترمذي

بشرح الإمام بن العربي المالكي ، دار الكتاب العربي - بيروت .

- صحيح أبن حبان

ترتيب الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي تقديم كمال يوسف الحوت- دار الكتب العليمة بيروت- لبنان ط١ : ١٤٠٧هـ

- صحيح سنن أبي داود

- صحيح سنن الترمذي

محمد ناصر الدين الألباني - إشراف زهير شاويش - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض الطبعة الأولى : ١٤٠٨هـ

محمد ناصر الدين الألباني - إشراف زهير شاويش - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض الطبعة الأولى : ١٤٠٨هـ

- صحيح سنن النسائي

محمد ناصر الدين الألباني - إشراف زهير شاويش - مكتب التربية العربي لدول الخليج- الرياض الطبعة الأولى : ١٤٠٩هـ

- صحيح مسلم

للإمام حافظ أبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار .

الدولية - الرياض ، ١٤١٩هـ

- الصفات الإلهية بين السلف والخلف

عبد الرحمن الوكيل ، مكتبة لينة - دمنهور - مصر ، ط٢ : ١٤٠٢هـ .

- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام

لجلال الدين السيوطي ، تعليق : علي سامي النجار ، دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان.

- ضوابط المعرفة

لعبد الرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم – دمشق ، ط٤ : ١٤١٤هـ .

- طبقات الحفاظ

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – تحقيق علي محمد عمر – مكتبة وهبه القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م .

- العبودية

لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق وتعليق : علي بن حسن الحلبي .

دار الأصالة – الإسماعيلية – مصر ط٢ : ١٤١٦هـ .

- عقائد الثلاث والسبعين فرقة

لأبي محمد اليمني ، تحقيق ودراسة : محمد بن عبد الله زربان الغامدي ، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ، ط١ : ١٤١٤هـ

- العقيدة السلفية في كلام رب البرية

عبد الله بن يوسف الجديع ، دار العصيمي – الرياض ، ط٢: ١٤١٦هـ .

- عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية

د: صالح بن عبد الله بن عبد الرحمن العبود ، مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة ، ط٣: ١٤١٧هـ .

- العقيدة في الله

د: عمر سليمان الأشقر ، مكتبة الفلاح – الكويت ، ط٥ : ١٩٨٤م .

- عقيدة المؤمن

أبو بكر الجزائري ، دار الشروق – جدة ، ط٥ : ١٤٠٧هـ .

- العلو للعلي الغفار

للإمام الذهبي ، اعتنى به : أبو محمد أشرف عبد المقصود.

- علوم الحديث

لابن الصلاح ، تحقيق وشرح : نور الدين عتر .

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء .

لموفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم السعدي المعروف بابن أبي أصيبعة شرح وتحقيق : د. نزار رضا ، مكتبة الحياة – بيروت ، طبعة ١٩٦٥م .

- غياث الأمم في التياث الظلم

لإمام الحرمين الجويني ، تحقيق : د. عبد العظيم الديب ، مكتبة إمام الحرمين – قطر ، ط١: ١٤٠٠هـ .

- فتح الباري

للإمام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قرأ أصله واشرف على مقابلة نسخه : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، دار الفكر.

- فتح القدير

للإمام الشوكاني، دار المعرفة – بيروت – لبنان .

- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد

الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض ، ط١ : ١٤٠٣هـ و ط٢ : ١٤١١هـ .

- الفتح الرباني

ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني – ترتيب وتأليف أحمد عبد الرحمن البنا– دار الشهاب القاهرة .

- فرحة النظر

للشيخ أحمد شعفي المعافا.

- الفرق بين الفرق

للعالم عبد القاهر طاهر بن محمد البغدادي الإسفراييني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد – المطبعة العصرية – بيروت ، طبعة ١٤١١هـ ، و ١٤١٣هـ .

- فرق معاصرة تنسب للإسلام وبيان موقف الإسلام منها

إعداد : غالب بن علي عواجي ، مكتبة لينة للنشر والتوزيع ، ط١: ١٤١٤هـ ، و ط٢: ١٤١٦هـ .

- الفرقان بين الحق والباطل

لشيخ الإسلام أحمد بن عباس ابن تيمية ، وثقه وخرج أحاديثه : عبد القادر الأرؤوط ، مكتبة دار البيان – دمشق – بيروت ، ط١ : ١٤٠٥هـ .

- الفصل في الملل والأهواء والنحل

للإمام ابن حزم الظاهري ، تحقيق د. محمد إبراهيم نصير ، د. عبد الرحمـــن عمـــيرة دار الجيل- بيروت – لبنان ، طبعة : ١٤٠٥هـ

- فضائح الصوفية

عبد الرحمن الوكيل ، مكتبة ابن تيمية – الكويت – ط١ : ١٤٠٤هـ .

- فقه السنة

سيد سابق ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الشرعية الثامنة .

- فقد جاء أشراطها

محمود عطية محمد ، تقديم الشيخ : حسين العوايشة ، رمادى للنشـــر – الدمـــام ، ط١: ١٤١٦هـ ، و ط٢ : ١٤١٧هـ .

- فوات الوفيات والذي عليها

محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق الدكتور: إحسان عباس، دار الثقافـــة – بـــيروت- لبنـــان، ١٩٧م

- القضاء والقدر

لمحمد بن إبراهيم الحمد ، تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز

- قاعدة جلية في التوسل والوسيلة

لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، دراسة وتحقيق : ربيع بن هادي عمير مدخلي ، مكتبة لينـة – دمنهور – مصر ط١ : ١٤١٢هـ .

- القاموس المحيط

للفيروز آبادي ، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان .

- القدرية والمرجئة نشأتها وأصولها وموقف السلف منها

د: ناصر بن عبد الكريم العقل ، دار ا لوطن – الرياض ، ط١ : ١٤١٨هـ

- القواعد الطيبات في الأسماء والصفات

ابن القيم ، الشنقيطي ، ابن عثيمين اعتنى به وعلق عليه : أبو محمد أشرف عبد المقصـــود مكتبة أضواء السلف – الرياض ، ط١ : ١٤١٦هـ .

- القول المفيد

شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، جمعه وخرج أحاديثه : د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل ، د. خالد بن عبد الله المشيقح دار ابن الجوزي – الدمام ، ط١ : ١٤١٨هـ .

- الكامل في التاريخ

للإمام ابن الأثير الجزري ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان ط ١ : ١٤٠٧هـ

- كتاب الأسماء والصفات

للإمام البيهقي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان

- كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث

للإمام أبي شامة الشافعي ، ضبط نصه ، وقدم له ، وعلق عليه ، وخرج أحاديثه: مشهور حسن سليمان دار الراية – الرياض ، ط١ : ١٤١٠هـ .

- كتاب التعريفات

لعلي بن محمد الجرجاني ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط٣ : ١٤٠٨هـ .

- كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد

للإمام أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن منده ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه : د. علي بن ناصر الفقيهي ، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة ، ط٢ : ١٤١٤هـ .

- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب

للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة ، راجعه وعلق عليه : محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، طبعة ١٤١٢هـ .

- كتاب الحوادث والبدع

أبو بكر الطرطوشي ، تحقيق : عبد الحميد تركي ، دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان.

- كتاب الرد على المنطقيين

لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، دار ترجمان السنة – لاهور – باكستان ، ط٢ ١٣٩٦هـ

- كتاب الرؤية

للإمام الدار قطني ، قدم له ، وحققه ، وعلق عليه ، وخرج أحاديثه : إبراهيم محمد العلي، وأحمد فخري الرفاعي، مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن ، ط١ : ١٤١١هـ .

- كتاب السنة

للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل ، تحقيق ودراسة : د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، رمادى للنشر – الدمام ، ط٢ : ١٤١٤هـ ، وط٣ : ١٤١٦هـ .

- كتاب السنة

للإمام أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني ، المكتب الإسلامي – بيروت – لبنان ، ط٢: ١٤٠٥هـ .

- كتاب الكبائر

للإمام الذهبي ، مكتبة الحياة – بيروت – لبنان ، طبعة ١٩٨٧م .

- كتاب الإيمان

للحافظ محمد بن إسحاق بن منده ، حققه ، وعلق عليه ، وخرج أحاديثه د. علي بن ناصر الفقيهي ، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان ، ط٣ : ١٤٠٧هـ .

- كتاب تهذيب التهذيب

للإمام الحافظ شاب الدين بن حجر العسقلاني ، دار الفكر ، ط١ : ١٤٠٤هـ .

- الكشف عن حقيقة الصوفية

محمود عبد الرؤوف القاسم ، دار الصحابة – بيروت – لبنان ، ط١ : ١٤٠٨هـ .

- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية

عبد العزيز محمد السلمان ، شركة الراجحي للصرافة والتجارة ، ط١٠ : ١٤٠١هـ .

- كشف الغمة ببيان خصائص رسول الله ﷺ والأمة

أبي الحسن مصطفى بن إسماعيل ، قدم له : الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط١ : ١٤١٤هـ .

- لسان العرب

للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور ، دار صادر – بيروت – لبنان ، ط١ : ١٣٧٤هـ .

- لسان الميزان

ابن حجر ، دار الفكر – بيروت – لبنان ، طبعة ١٤٠٧هـ .

- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد

للإمام ابن قدامه المقيشي ، شرح : محمد بن صالح العثيمين حققه وخرج احاديثه أشرف عبد المقصود ، مكتبة طبرية/الرياض ، ط ٣ : ١٤١٥هـ .

- لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية ، في عقيدة أهل الآثار السلفية .

للإمام محمد بن أحمد السفاريني ، دراسة وتحقيق : عبد الله بن محمد سليمان البصري مكتبة الرشد – الرياض ، ط١ : ١٤١٥هـ .

- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، بشرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية للعلامة محمد السافريني الحنبلي ، المكتب الإسلامي – بيروت – لبنان ، ط٣ : ١٤١١هـ.

- الماتريدية

احمد بن عوض الله الحربي ، دار العاصمة – الرياض ، ط١ : ١٤١٣هـ.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

للحافظ نور الدين الهيثمي بتحرير الحافظين الجليلين العراقي وأبن حجر – مؤسسة المعارف – بيروت لبنان ط٦ ١٤٠٦هـ

- مجموعة الرسائل والمسائل

لشيخ الإسلام أحمد بن عباس بن تيمية ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١: ١٤٠٣هـ .

- مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية

جمع وترتيب : عبد الرحمن بن القاسم وابنه محمد ، دار العربية – بيروت – لبنان ، ط١ : ١٣٩٨هـ .

- المحاضرات السنية

الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، حقق نصوصه ، وخرج أحاديثه ، وعلق عليه : اشرف بن عبد المقصود .

- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة

للإمام ابن قيم الجوزية ، اختصره الشيخ : محمد بن الموصلي ، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.

- مختصر منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية

اختصره : الشيخ عبد الله الغنيمان ، دار لينة للنشر والتوزيع دمنهور ، ط٢ : ١٤١٥هـ.

- مدارك السالكين

للإمام ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي بيروت – لبنان.

- مرآة الجنان وعبر الزمان

للإمام عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان، ط٢ : ١٣٩٠هـ .

- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة

جمع وتحقيق ودراسة : د: عبد الله بن سليمان الأحمدي، دار طيبة – الرياض، ط٢ : ١٤١٦هـ .

- المستدرك على الصحيحين

للإمام أبو عبد الله الحاكم النياسبوري – دار الكتاب العربي بيروت

- مسند الإمام أحمد بن حنبل

دار الفكر – بيروت – لبنان

- المسند للإمام أحمد بن حنبل

بشرح أحمد شاكر ، دار المعارف – مصر ، ط٣ : ١٣٦٨هـ .د

- مشكاة المصابيح

لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي – تحقيق محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي بيروت ط٣ : ١٤٠٥هـ

- مصرع التصوف

للعلامة برهان الدين البقاعي ، تحقيق وتعليق : عبد الرحمن الوكيل ، إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الرياض ، ط١ : ١٤١٥هـ .

- المعجم الكبير

للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني – حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي – دار احياء التراث العربي – بيروت لبنان ط٢ : ١٤٠٤هـ .

- مقالات الإسلاميين واختلافات المصلين

لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ، ط٢ : ١٩٦٩م .

- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث

تصنيف الإمام المحدث الحافظ أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

- منار السبيل في شرح الدليل

إبراهيم بن سالم ضويان ، مكتبة المعار - الرياض ، ط٢ : ١٤٠٥هـ .

- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول

للشيخ حافظ بن أحمد ا لحكمي، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه : عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم - الدمام ، ط١ : ١٤١٨هـ .

- معجم الأدباء

لياقوت الحموي ، دار الفكر ، ط٣ : ١٤٠٠هـ .

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

لمحمد فؤاد عبد الباقي ، دار المعرفة - بيروت - لبنان ، ط٤ : ١٤١٤هـ .

- المعجزة وكرامات الأولياء

لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط١ : ١٤٠٥هـ .

- الملل والنحل

للإمام محمد بن عبد ا لكريم الشهرستاني ، تحقيق : أمين علي مهنا ، وعلي حسن فاعور دار المعرفة - بيروت - لبنان ، ط٤ : ١٤١٥هـ .

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي - دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد الدكن الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ .

- من معجزات النبي ﷺ

عبد العزيز الحمد السلمان ، ط١٦ : ١٤١٠ هـ .

- منهاج السلامة في ميزان القيامة

لابن ناصر الدين الدمشقي ، تحقيق وتعليق: مشعل المطيري ، دار ابن حزم – بيروت- لبنان ، ط١ : ١٤١٦هـ .

- منهاج السنة النبوية

لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، تحقيق : د/ محمد رشاد سالم ط١ : ١٤٠٦هـ .

- منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة

سعود بن عبد العزيز الدعجان ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ط١ : ١٤١٦هـ

- منهج السلف في الأسماء والصفات

شاكر بن توفيق العاروري ، رمادى للنشر – الدمام ، ط١ : ١٤١٧هـ .

- موسوعة الحديث الشريف

جمع بعض طلبة العلم ، إشراف ومراجعة : فضيلة الشيخ / صالح بن عبد العزيز آل الشيخ دار السلام – الرياض ، ط١ : ١٤٢٠هـ .

- الموطأ

للإمام مالك بن أنس ، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث – القاهرة .

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال

للإمام الذهبي ، تحقيق علي بن محمد البجاوي دار المعرفة – بيروت – لبنان ، ط١ : ١٩٦٣م .

- النبوات

لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دراسة وتحقيق محمد عبد الرحمن عوض ، دار الريان – مصر ، ط١ : ١٤٠٥هـ .

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

لأبي المحاسن جمال الدين يوسف بن نفخ الطيب

- نفح الطيب

من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقري التلمساني – دار الفكر بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وأكرم المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما لقد اشتمل هذا البحث (الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة دراسة وتحقيقاً وشرحاً) على مقدمة وقسمين وخاتمة.

وقد تناولت في المقدمة أسباب اختيار هذا البحث والخطة التي اتبعتها فيه وتناولت في القسم الأول دراسة لحياة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي مؤلف هذه المنظومة.

وقد أشتمل هذا القسم على عدة مباحث، تناولت في المبحث الأول التعريف بالشيخ حافظ الحكمي من حيث اسمه ونسبه، ومولده ونشأته وصفاته وشيوخه، وتلاميذه وآثاره العلمية، ثم وفاته ورثاء العلماء له.

وتناولت في المبحث الثاني منهج الناظم في تقرير العقيدة.

وفي المبحث الثالث عرفت بالجوهرة الفريدة وأهم موضوعاتها.

وفي المبحث الرابع تناولت منهج الناظم الذي اتبعه في هذه المنظومة.

وفي المبحث الخامس تناولت مصدر المؤلف التي اعتمد عليها.

وفي المبحث السادس ذكرت موقف الناظم من المبتدعة.

أما القسم الثاني من هذا البحث فقد كان عبارة عن تحقيق وشرح لهذه المنظومة الفريدة التي تتناول أغلب عرى الإسلام وتبينها بياناً شافياً، وتفند ما قاله أعداء الإسلام من مقالات وبدع مستحدثة.

وقد اشتمل هذا القسم على عدة مباحث تناولت من خلالها وصفاً للنسخة المخطوطة والمطبوعة المعتمدة في التحقيق والشرح وذكرت فيها نظم الجوهرة الفريدة كاملاً، ثم تناولت أبواب هذا النظم بالتحقيق والشرح مستدلة على ذلك بما تيسر من أدلة القرآن الكريم والسنة النبوية، بالإضافة لبعض أقوال السلف الصالح في بعض المواضيع التي تحتاج لذلك.

كما تناولت شبه المخالفين لأهل السنة والجماعة، وذكرت ما يبطلها ويرد عليها ثم تناولت بالشرح شيئا من أمور الشرع وأصول الفقه وذلك حسبما ورد في أبيات المنظومة. ثم ذكرت في نهاية البحث بعض التوصيات التي رأيت أنها نافعة في هذا المجال. ثم ختمت البحث بذكر بعض الفهارس التي اشتمل عليها البحث.

والحمد لله رب العالمين